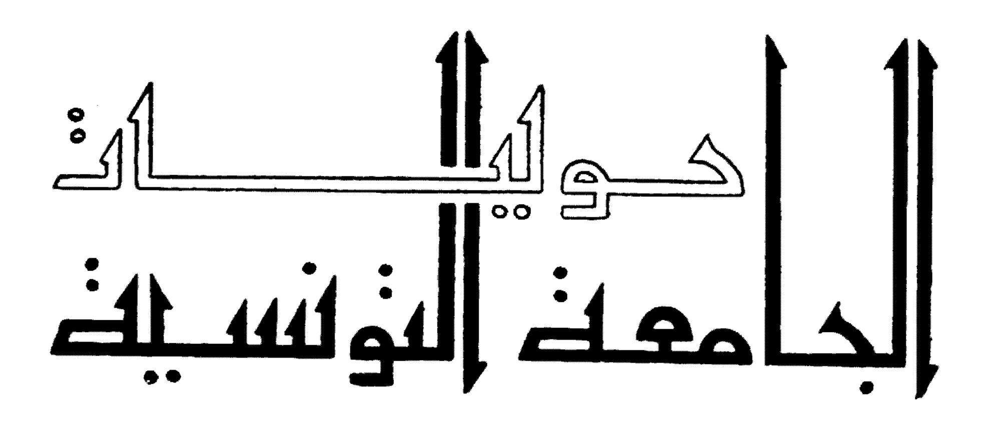
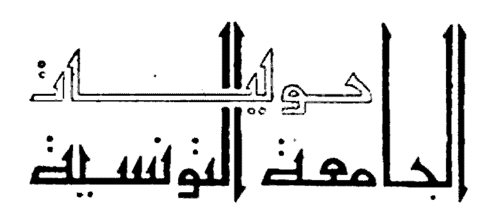


العدد الثامن

1971

تونس



مجلة للبحث العلمي

تصدرها الجامعة التونسية

الاشتراك :

- تونس وبلاد المغرب العربي وفرنسا .... 600 م
- غير البلاد المذكورة .... 700 م
- ثمن العدد الواحد .... 600 م

المراسلات المتصلة بالتحرير تكون بالعنوان التالي :

مدير حوليات الجامعة التونسية

الجامعة التونسية 94 شارع 9 افريل 1938 - تونس

الاشتراكات ومطالب المبادلات تكون بالعنوان التالي :

مصلحة النشر والمبادلات للجامعة التونسية

55 - نهج جامع الزيتونة - تونس -

المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية

الفهرس

الصفحة

الشاذلي بويحيى	:	حول نشر كتاب « قطب السرور »	7
محمد باقر علوان	:	من الذي جمع المعلقات ؟	21
الطيب المشاش	:	الأقيشر الأسدي : أخباره وأشعاره	29
محمد اليعلاوي	:	حساب الجمل أو التاريخ بالحروف	93
المنجي الشملي	:	مراجعات في ترجمة أحمد شوقي	109
عبد المجيد الشرفي	:	الحركة التبشيرية في تونس في القرن التاسع عشر	131
عبد المجيد الغنوشي	:	مقالة في قوى النفس لابن رشد (مخطوط) ..	157
علي الشنوفي	:	لفظة « أمر » في القرآن	167

تقديم الكتب

1 ـ « **البلاغة العامة** » تاليف دوبوا وكلنكنبارق وبير : (عبد القادر المهيري) . 2 ـ « **متخير الألفاظ** » ، تاليف أحمد بن فارس ، تحقيق هلال ناجي : (عبد القادر المهيري) . 3 ـ « **الجبال والأمكنة والمياه** » ، تاليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق ابراهيم السامرائي : (عبد القادر المهيري) . 4 ـ « **سرقات المتنبي ومشكل معانيه** » ، تاليف ابن بسام النحوي ، تحقيق الشيخ الطاهر ابن عاشور : (الحبيب الشاوش) . 5 ـ « **طبقات علماء افريقية وتونس** » ، تاليف أبي العرب محمد بن احمد بن تميم القيرواني ، تحقيق علي الشابي ونعيم حسن الياقي : (الحبيب الشاوش) . 6 ـ « **حلية المحاضرة في صناعة الشعر** » ، تاليف أبي علي محمد البغدادي المعروف بالحاتمي ، تحقيق جعفر الكتاني : (الحبيب الشاوش) . 7 ـ « **الطرق البيداغوجية** » ، تاليف بالماد ، ترجمة البشير الزريبي ومحمد الغدامسي : (أحمد بكير محمود) . 8 ـ « **الليث بن سعد فقيه مصر** » ، تاليف السيد أحمد خليل : (أحمد بكير محمود) . 9 ـ « **المحمدون من الشعراء** » ، تاليف علي بن يوسف القفطي ، تحقيق حسن المعمري ، (الشاذلي بويحيى) .

حــول نشــر كتــاب « قطب الســرور »

او من سوء حظ ابــراهيم الرقيق

بقلم : الشاذلي بويحيى

ما فتىء الأدباء والعلماء يتطلّعون بشغف منذ سنين إلى ما يشاع من حين إلى آخر من أخبار حول كتاب للرّقيق يُعلن العثور عليه أو بعض تراثه يُبشّر بقرب نشره أو ترجمة مستفاضة أو دراسة مستوعبة لمؤلّفاته تضبط منزلته العلميّة والأدبيّة فترفع عن الرقيق وتراثه ما تلبّس بهما من غموض وما نسج حولهما من أساطير حتى يدخل الرجل ومؤلّفاته في حيّز المعرفة الواضحة والعلم الصحيح ـ أو القريب من الصحيح ـ لما لا مناص منه من النقص في معرفة أدباء القيروان قبيل زحفة بني هلال وما نتج عنها من تلاش وضياع .

وفعلا فإنّ « دراسات » الرّقيق حظيت هذه السنوات الأخيرة بما قد يعين على تحقيق هذه الأماني . وأوّل من فتح الباب هو المرحوم حسن حسني عبد الوهاب على عادته في السبق إلى الكشف والإنجاز فضمّن الجزء الثاني من كتاب « الورقات » الصادر سنة 1966 دراسة موجزة إلا أنها صحيحة لا يشوبها الخلل ومستوفية تفتح أبواب الدّرس ومسالكه للباحثين بإبراز نقط الاهتمام وإثارة المشاكل والكشف عن مصادر البحث (1) .

(1) « ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية » . تونس 1966 . ص 438–447 . انظر تعريفنا بهذا الجزء الثاني من كتاب الورقات في « حوليات الجامعة التونسية » سنة 1967 العدد الرابع . ص 161–170 .

ثم كانت قضيّة القطعة التي اكتشفها السيّد المنّوني المكناسي من تاريخ الرّقيق ونشرها السيّد المنجي الكعبي بتونس سنة 1968 بعنوان « تاريخ إفريقية والمغرب » وذكرنا في إبّانه (2) ما تفيده هذه القطعة من زيادة في معرفة مذهب الرقيق في التاريخ وأسلوبه في الأدب . لكنّ « القضيّة » المناطة بمخطوطة هذه القطعة ونشرها السريع لعلّها عاقت المحقّق عن إتقان إخراج هذا النصّ ولعلها كذلك حرمتنا ثمرة بحث طويل وتنقيب عن تاريخ الرقيق نعلم أنّ السيّد المنّوني كان قد اعتنى به قصد جعله تقديما للتحقيق الذي كان ينوي القيام به لهذه القطعة فأعرض عن ذلك لمّا عوجل وطبع النصّ وهو في غفلة عنه (3) .

ولسبب ما — لعلّها تلك المسارعة في نشر النصّ — لم يطّلع محقّق « تاريخ إفريقية والمغرب » على بحث ح. ح. عبد الوهاب في « الورقات » فيفوته من بين ما فاته من أمر حياة الرقيق ومؤلّفاته أنّ نسخا عديدة من كتاب « قطب السرور » توجد في مختلف المكتبات فيقول : (4) « كتاب قطب السرور في الأنبذة والخمور (كذا) . وهذا الكتاب تحتفظ المكتبة الوطنية بباريس بنسخة فريدة منه » . بينما المعروف منذ كتاب « تاريخ الأدب العربي » لبروكلمان Brockelmann أنّ لهذا الكتاب نسخا عديدة . ونسخة باريس تحتوي على الجزء الأوّل من الكتاب فقط وعنوانه بها : « قطب السرور في وصف الأنبذة والخمور » وهو العنوان الصحيح للكتاب .

وشبيه بهذه « المعاجلة » في نشر قطعة من تاريخ الرقيق ظهور الفصل المتعلّق بهذا الكاتب في الطبعة الجديدة من « دائرة المعارف الإسلاميّة »

(2) في « حوليات الجامعة التونسية » سنة 1968 العدد الخامس ص 125—131 .

(3) انظر بعض تفصيل هذه « القضية » بجريدة « العمل » التونسية عدد 29 مارس سنة 1968 تحت عنوان « قضية كتاب الرقيق » بقلم السيد عيسى المعموري .

(4) ص 23 من مقدمة « تاريخ إفريقية والمغرب » .

Encyclopédie de l'Islam بقلم الأستاذ محمد الطالبي (5) والمعاجلة تبدو هنا في ظهور الفصل قبل أوانه من دائرة المعارف في مادّة «ابن» فيسمّى الكاتب «ابن الرقيق» عوض «الرقيق» والمشهور أنّ «الرقيق» لقب له يصحب نعته بالكاتب فيقال « الكاتب الرقيق » لا اسم لأبيه ولا لقب . واسم الأب « القاسم » وإنما وردت تسمية الكاتب بابن الرقيق ورودا قليلا شاذّا لا يُعمل به . ثم إنّ بالفصل هنات وأخطاء لعلّ مرجعها إلى هذه المعاجلة أيضا . فمن ذلك أنّ كلام ابن رشيق المعتمدَ في تحديد مدّة اشتغال الرقيق بالكتابة لأمراء بني زيري جاء في كتاب « الأنموذج » لا في كتاب « العمدة » . وأنّ مخطوطة « قطب السرور » بمكتبة باريس الوطنيّة تقع تحت عدد 3302 وليست أعداد 4829 و4830 و4831 الواردة له في الفصل بشيء . كما أنّ عبارة التعريف بكتاب قطب السرور من أنّه « من نوع [كتب] الخمريّات على ما هي شائعة عليه بالمشرق » لا تتّفق ومحتوى الكتاب لأنّه لا يخفى على من اطّلع عليه مجرّد الاطلاع أنه لا يوجد له مثيل في نوعه بين مؤلّفات المشرق . أمّا شكّ صاحب الفصل في نسبة القطعة المنشورة بعنوان « تاريخ إفريقية والمغرب » للرّقيق فلا يبرّره مبرّر بعد البحث الذي قام به محقّق الكتاب في مقدّمته وتعاليقه بتتبّع فقرات من هذه القطعة في كتب المؤرّخين الذين يصرّحون أنهم اقتبسوها من كتاب الرقيق . فوجودها بحرفها في هذه الكتب أو مختصرة بها عمّا جاء منها في القطعة المنشورة دليل على أنّ القطعة للرّقيق . وتواتر الأمثلة التي أوردها السيد الكعبي في مقدّمته للكتاب وتعاليقه لا يترك مجالا للشكّ في هذا الباب . ثمّ إنّ الغموض يستفحل حول مذهب الرقيق وعقيدته . فبينما يرجّح محقّق « تاريخ إفريقية والمغرب » — بعد تردّد — أنّه سنّيّ (6) ينبّه صاحب فصل « دائرة المعارف » إلى ميل الرقيق إلى الشيعة .

(5) الجزء الثالث ص 927 .

(6) ص 31 .

وأخيرا يُطبع كتاب « قطب السرور » بتحقيق السيد أحمد الجندي في دمشق سنة 1969 بإشراف مجمع اللّغة العربيّة بدمشق . ويخرج الكتاب في مظهر خلاّب رائق جميل في 835 صفحة منها 725 للنص و20 للمقدمة و90 للفهارس مع حواش ضافية أسفل الأوراق ممّا يبعث على توقّع العناية الفائقة ويطمع بالغنم الكبير . فلمّا تصفّحنا الكتاب كشفنا منه عن خضراء الديم . فهو تشويه لقطب السرور ومسخ بل لا نتردّد في أن نقول إنه ليس « قطب السرور » كما ألّفه الرقيق . وكلّ ذلك ناتج عن تقصير المحقّق مع إدّعاء منه كبير وعن تسرّعه إلى النشر بدون تروّ ولا تضلّع مع مزيد الرضى على النفس .

هذه اتّهامات نعلم خطورتها ونقدّرها حقّ قدرها وكان من شأنها أن نُعرض من أجلها عن التصدّي للكتاب بالتقديم بل وبالذكر لولا ما سبق ممّا قلنا من تشوّف أهل العلم والأدب إلى تراث الرقيق ومن مظهر لهذا الكتاب خلاّب تخفى به حقيقته — إلاّ على من اطلع على تراث الرقيق المخطوط وهم قليل — فخشينا بسكوتنا عنه عاقبة التضليل على أهل العلم والأدب والناشئة خاصّة وبالأخصّ أبناء هذا القطر منهم لولعهم بآثار نبغاء الفكر والقلم من أجدادهم . والرقيق من هؤلاء .

وتقديم هذا الكتاب يتطلّب تتبّع مقدّمته بالنقد خطوة خطوة لبيان ما بها من الأغلاط العلميّة والأخطاء المنهجيّة والادّعاء الزائف وما يسبّبه كلّ ذلك من سوء النتيجة وتضليل القارىء . ثم هو يقتضي الرجوع بالنصّ إلى الأصول الموجودة من كتاب الرقيق وهو عمل المحقق لا عمل الناقد . وهو يستوجب أخيرا تنبيها مستمرّا لما يسمح به المحقّق لنفسه من تغيير في النصّ بدون أن يتسنّى غالب الأحيان للقارىء مراقبة ذلك التغيير حتّى يوافق عليه أو لا يوافق . فلهذا كلّه أعرضنا عن تقديم الكتاب تقديما كاملا على أنّنا لم نر بدّا من الإشارة إلى هذه العيوب التي زعمنا أنها تمسخ كتاب الرقيق

مسخا وتفرض على كلّ قارىء أو باحث نزيه أن لا يعتبر هذا المطبوع صورة للكتاب الذي وضعه إبراهيم الرقيق بعنوان « قطب السرور في وصف الأنبذة والخمور » .

أعظمُ ما يؤاخذ عليه المحقّق هو نشر هذا الكتاب بذلك العنوان دون التثبّت في هل هو ينشر الكتاب الذي وضعه الرقيق بذلك العنوان أم لا . والغريب أنه من الصفحة الأولى من مقدّمته ذكر حيرته لما رآه من قلّة مطابقة العنوان لمحتوى الكتاب . فعوض أن يبحث عن سبب ذلك الاختلاف علّه يهتدي به إلى حقيقة الأمر فإنّه فضّل ... انتقاد المؤلّف وعاب عليه سوء الاختيار — وما أسهل انتقاد الأموات ! فهو يقول (7) : « ولعلّ اسم الكتاب لا يدلّ عليه وهو (قطب السرور في أوصاف الخمور) بل لعلّ هذا العنوان قد ظلم الكتاب ظلما فادحا بما قد يوحيه من انصراف كاتبه إلى بحث الخمرة وشرّابها والعاكفين عليها وكان من الخير لنا وللمؤلّف لو أنه اختار اسما غير هذا يدلّ على فحوى الكتاب ومحتواه » . فالنزاهة العلميّة والمنهجيّة البسيطة في بحث النصوص القديمة ونشرها تفرضان على من يتصدّى لتحقيق نصّ قديم ان يسعى إلى معرفة ما قد يوجد من نسخ للنصّ الذي يعتزم نشره . وطرق هذا السعي معروفة لا يجهلها كلّ من تأهّل إلى هذه الصناعة . فهل يقدم باحث على نشر نسخة مخطوطة يدّعي أنّه لا ثانية لها دون الرجوع إلى كتاب بروكلمان Brockelmann على علاّته ؟ فلو فتح المحقّق هذا الكتاب لوجد فيه ذكرا للمخطوطات المعروفة لقطب السرور مع ذكر مواطنها من مكتبات العالم . ولو فعل ذلك وهو يعمل بإشراف مجمع اللّغة العربيّة بدمشق لمكّنه هذا المجمع من صور من تلك النسخ فيجتنب بذلك الغلط والتغليط ولو فعل ذلك وتحصّل على نسخة واحدة من هذه النسخ لتبيّن له أنّ ما ينشره بعنوان « قطب السرور » ليس « قطب السرور » أو هو ليس كلّ

(7) ص آ من المقدمة .

« قطب السرور » بل ليس ما وضعه إبراهيم الرقيق بعنوان « قطب السرور » . الغريب ان المحقّق لم يفعل ذلك وهو أدنى ما يطلب من محقّقي النصوص العربيّة القديمة وأوّل ما يتعلّمه طلبة العربيّة . فالمقارنة البسيطة بين ما نشره المحقّق عن صورة لنسخة المتحف البريطاني وبين نسخة مكتبة باريس الوطنيّة مثلا — وهي التي كنّا اطّلعنا عليها منذ سنوات وأخذنا عنها تقييدات اعتمدناها في هذا النقد — تبيّن أنّ الكتاب المنشور أبتر وأنّ الذي ينقصه هو معظم الكتاب وأقربه إلى عنوانه وإلى غرضه الذي يبسطه إبراهيم الرقيق بسطا مفصلا محكما في خطبة الكتاب — وهي مفقودة من مخطوطة المتحف البريطاني المطبوع عنها هذا الكتاب — فيتجلّى بذلك موضوعه ومحتواه وقيمته وهي عظيمة لا يدلّ عليها البتّة ما نُشر في هذه المطبوعة . فلذلك لم نتردّد عندما زعمنا أنّ هذه الطبعة مسخ لكتاب الرقيق .

ولئن استغربنا عدم تحرّي المحقق في البحث عن نسخ الكتاب بالرجوع إلى الأمّهات المتفق عليها عند جميع الباحثين وفي طليعتها كتاب بروكلمان فإنّ أغرب من هذا أنّ المحقّق يستخفّ بمن يعتني في تحقيق النصوص بالبحث عن النسخ المتعدّدة للكتاب المزمع نشره ويعيبه باهتمامه بمقابلة رواياتها ويحضّه على ترك هذه الطريقة العقيمة — في دعواه — ويحثّه على الاعتناء بدلها ... بشرح ألفاظ النصّ ! ويجعل من هذا العبث كلّه مذهبا وطريقة في تحقيق النصوص يدعو إلى اتّباعها بعد التنويه الفائق بطريقته وبما قام به من عمل في تحقيق هذا النصّ . فيقول (8) :

« ولقد حاولت الحصول على نسخة أخرى من الكتاب في خزائن الكتب
« المعروفة فلم أوفّق إلى شيء من هذا وقد وردتني نسخة من المغرب
« تحمل العنوان ذاته خطها مغربيّ ولكن سرعان ما تبيّنت أن العنوان
« قد أقحم على هذه المصوّرة إقحاما وأن ما في المصوّرة لا يمتّ بأيّة

(8) صفحة ح من المقدمة وما بعدها .

« قرابة أو صلة لكتاب « قطب السرور » ويبدو أن هناك خطأً في النسبة
« وإن كان الموضوع الذي اشتمل عليه الكتابان متشابها . ورأيت للوهلة
« الأولى المصورة التي رجعت إليها واضحة الخط ظاهرة الكلمات وضيئة
« السطور فلمّا خوّضت فيها عرفت أنني خضت في بحر لجّـيّ يغشاه
« موج من فوقه موج من فوقه سحاب لا يستطيع المحقّق معه أن يتبيّن
« ما وراءه إلا بصعوبة بالغة ومع ذلك أقدمت وأعتبر أنني قد وُفّقت
« بحمد الله إلى ما أردت وأرجو أن يكون الكتاب الذي خرج من هذه
« المعركة قد أصبح كتابا سويّا يُقرأ بلذّة وفهم ويسر وأن ما فيه من
« العبارات القليلة جدّا الغامضة بعض الشيء لا يذكر أبدا بالقياس إلى
« ما فيه من فائدة عملت في سبيل تقديمها زهاء سنتين متواليتين دون
« راحة أو جمام . لقد قمت ما استطعت إلى ذلك سبيلا بشرح الكلمات
« الغامضة والأبيات المضطربة وهي قليلة . كما قمت بترجمة الكثير من
« الشخصيّات التي وردت أسماؤها وأشرت فيما أشرت إليه إلى
« التصحيحات التي لجأت إليها بعد ان تبيّنت صحّتها في المراجع التي
« أوردت أصولَ الأبيات بالرغم من أنّ هذه المراجع لم تكن كافية
« وافية وبالرغم من أن الكثير من الأبيات الواردة في الأصل لم يُعثر
« عليه في مصدر أو مرجع . ولاحظت الكلمات أو التعبيرات التي لم
« يكن بالإمكان الرجوع إلى صحيحها وبذلك أعطيت للكتاب الصورة
« التي تقرب من الكمال وإن كان الكمال بعيدا . وممّا حداني على
« الإكثار من الشروح وتوضيح النصّ أن يكون عملي في تحقيق الكتاب
« مفيدا في قراءة الكتاب لأنّ عمل المحقّق ينحصر في نقل الأفكار
« القديمة إلى قوالب جديدة يسيغها القارىء الجديد **وهذه الشروح**
« **والتفسيرات والتخريجات كانت عندي وستظلّ كذلك أهمّ بكثير**
« **من البحث عن نسخ عديدة للمخطوط الواحد والمقابلة بين هذه النسخ**
« **وتبيان الصور المتعدّدة التي وردت فيها الكلمات** ومن هذه الصور

« الكثير مما لا يهمّ القارىء وقد يهمّ المشتغلين في تصنيف المخطوطات
« وجمعها . بل وجدت الكثيرين من المحقّقين يكتفون بهذه المقابلات
« ويهملون التفسير والشرح وهما أهم لدى القاوىء من كل شيء آخر » .

هذا قول خطير نقلناه بحذافره ليعلم الرّيّض وخيم عاقبته -- وهي ظاهرة جليّة في هذا المطبوع -- فيحذره . فهل يجدر بهذا المحقّق أن يتباهى بعمله الذي يدّعي أنه « أعطى للكتاب الصورة التي تقرب من الكمال » عندما يسمح لنفسه بالتّصرف في النصّ بأن يبدل منه ما هو صحيح بما يقترحه هو ولعلّه خطأ (9) . وبأن يجرأ على تغيير عبارة النصّ كأنّه يريد إصلاح لغة الرقيق (10) وبأن يجتهد في ما تعسر عليه قراءته من خطّ الناسخ فيقترح « على وجه التقريب » -- على حدّ اعترافه (11) -- لفظةً أو ألفاظا ليس له البتّة ان يفترضها خاصّة ونحن لا نعلم هل هو يخبر دائما بهذا التصرّف أم هل يخبر به تارة ويسكت عنه طورا وأنّ الناظر في كثير من تلك الاقتراحات التي يعلنها المحقّق قد لا يوافق عليها بل منها ما يرفضه النقد والعقل (12) .

وليس له أن يدّعي أنه « أعطى للكتاب الصورة التي تقرب من الكمال » عندما يلاحظ القارىء أنّه تكاد لا تخلو صفحة واحدة من الكتاب من الأغلاط المطبعيّة وغير المطبعيّة وأنّ من الشروح -- وهو الذي يرى أنّ لها شأنا وأي شأن -- ما هو من قبيل قوله : « أقام فلانا : ضدّ أجلسه » (13) . ومن التعريف بالأعلام الذين يذكرهم الرقيق المتوفّى بعيد سنة 417 أن يكون أحدهم قد توفّي سنة 533 (14) أي أكثر من قرن بعد وفاة الرقيق ! وأن يتكرّر مثل

(9) مثلا : ص 211 تعليق عدد 2 . وص 216 عدد 3 .
(10) مثلا : ص 278 عدد 1 .
(11) ص 310 .
(12) الأمثلة لهذه التصرفات عديدة جدا منها ص 75 و79 و92 و123 و308 و310 و314 و318 و320 و467 و480 و490 وهلم جرا .
(13) ص 337 عدد 1 . وانظر أيضا التعليق الذي بعده في الصفحة 337 ذاتها .
(14) ص 560 . وآخر توفي سنة 440 في ص 309 تعليق 4 .

قوله « عبيد الله بن المهدي » وقوله « باديس بن زيري » (15) وغير ذلك من الهنات التي لا تحصى ومنها ما نتساءل لم تهاون المحقّق عن تلافيها وإصلاحها وهو لا شكّ قادر على ذلك لو تروّى لأن من شروحه وتخريجاته للشعر وأسماء الرجال ما يدلّ على تضلّع ورواية وذوق أدبيّ لا جدل فيه . لكن ما دمنا نعرّف بنشره لهذا الكتاب فإنّنا ننظر إلى عمله ونتيجته ونحكم بما نرى فنقول .

ولا يجدر بهذا المحقّق أن ينوّه بعمله بينما يلاحظ الناقد بل والقارىء أيضا انّ أبسط عمليّات فحص النصوص لم ينتبه إليها صاحب هذا التحقيق . فهي على بساطتها جديرة بأن تنبّهه إلى أن النصّ الذي بين يديه ليس الكتاب المزعوم . وكان يستطيع الانتباه إلى ذلك دون معونة نسخ أخرى للمخطوط . فمن ذلك انّ النصّ المنشور وإن بدأ بالحمدلة فهو أبتر ما في ذلك من شك لأنّه لا يُعرف كتاب يبدأ مباشرة بخبر هذه صورته : « قال العتابي : بعث إليّ طاهر بن الحسين في يوم دجن فدخلت عليه وبين يديه خادم يسقيه فقال ... » الخ... وهو خبر فيه شراب وإنشاد شعر يتلوه خبر مثله على الطريقة المعهودة في غضون كتب الأدب لا في استهلالاتها .

وممّا يؤيّد ما ادّعيناه من أنّ كلّ قارىء للكتاب جدير بالانتباه إلى أنه ناقص دون أن يكون له سابق معرفة بأصل الكتاب أو بنسخة أخرى منه أو نسخ هو أنّ الرقيق يذكر أحيانا أن خبرا ممّا يسرده كان قد مرّ في ما سبق من الكتاب أو أنّ بابا طرقه إنما طرقه حسب ما شرط على نفسه في أوّل الكتاب الخ ... والقارىء لا يجد شيئا من ذلك في ما مرّ به قبل هذا القول ممّا لا يترك مجالا للشكّ في أنّ الكتاب قد اعتراه النقص . نضرب لذلك أمثلة على سبيل الاختصار . فمن ذلك قول الرقيق ص 106 : « وأبو دلامة (...) وقد ذكرنا خبره مع أبي العباس السفّاح ... » لكن لم يأت في الكتاب المنشور ذكر أبي

(15) « عبيد الله بن المهدي » ص 43 عدد 2 وفي الفهرس . والصحيح : عبيد الله المهدي ؛ « باديس ابن زيري » ص ج من المقدمة . ومعروف أن باديس ابن المنصور بن بلقين بن زيري .

دلامة ولا السفّاح قبل هذه الصفحة (16) . ومن ذلك قول الرقيق ص 439 : « ويروى أنّ سبب تحريم الخمر أوّل الإسلام كان من حمزة بن عبد المطلب وعقره بعيري علي (رض) وقد تقدّمت هذه الحكاية مشروحة في صدر هذا الكتاب » . والحكاية لا وجود لها في المطبوعة بل ولا ذكر لحمزة بن عبد المطلب في الكتاب إلا في صفحة 439 هذه (17) . ومن ذلك أيضا ما جاء ص 440 — وهو أغرب الغرائب — يقول الرقيق : « ... وقد تقدّم خبر جذيمة الوضاح وعربدته على نديميه ملك وعقيل حتى قتلهما بعد أن نادماه أربعين سنة ما أعادا عليه فيها حديثا . وقد تقدّم فيما مضى في بدء الكتاب » . ولا وجود لهذا الخبر في ما قبل هذا من المطبوع (18) . فماذا أفاد منه المحقّق يا ترى ؟ إنّه علّق على الجملة الأخيرة بقوله : « يلاحَظ أنّ هذه الجملة الأخيرة مكـرّرة » . فكأنّه ضجر من تكرارها . نعم لقد نبّهه الرقيق إلى حدّ الإضجار فلم ينتبه ! نبّهه وألحّ على تنبيهه أنّ هذا الخبر كان قد تقدّم ذكره في ما سبق من الكتاب فلم ينتبه . ولم يتحيّر مرّة واحدة فيبحث عن هذه الأخبار وهذه الأسماء التي يُنبّه إلى أنها سبق ورودها بالنصّ هل كان ذلك فعلا أم لا وإن لم يكن فلماذا وهو بداية الاهتداء إلى سبيل الكشف واليقين . ونضرب مثالا أخيرا — والأمثلة من هذا القبيل كثيرة — قد يعين على ما سنعرض له بعدُ من أمر مخطوطة المتحف البريطاني التي اعتمدها وحدها محقّق الكتاب : جاء في هذا المطبوع في ختام فصل من فصول الكتاب عنوانه « منافع الأشربة ومضارّها على مذاهب الفلاسفة » (19) قـول الرقيـق : « قـد أثبتّ لك أعـزّك الله من قول الفلاسفة والحكماء بعض ما شرطته لك في أوّل هذا الكتاب ... » (20) فإنّه لم يأت شيء

(16) راجع فهرس الأعلام حيث ورد اسم أبـي دلامة ص 106 و215 والسفاح ص 106 و119 و136 .
(17) انظر الفهرس .
(18) راجع الفهرس . والناظر في ما جاء ص 433 من تعليق به ذكر كلمة جذيمة يرى مثالا غريبا للشرح في صورته ومضمونه .
(19) يبتدىء الباب ص 225 . والعنوان من أصل الكتاب .
(20) ص 274 .

من هذا الشرط ولا غيره من الشروط في أوّل الكتاب المنشور وكلّ قارىء ينتبه إلى هذا فيستنتج منه ما لابدّ من استنتاجه من أنّ الكتاب أبتر على أقلّ تقدير . فهذا الشرط الذي اشترطه الرقيق على نفسه للقارىء في أوّل الكتاب نجده في نسخة باريس في الورقة الثانية (وجه) ونصّه : « ... ولمّا كانت الخمر بهذه المنزلة العليّة وفاقت المشروبات بما فيها من الفضل والمزية دعانا ذلك إلى تكثير خصائصها ولطائفها وذكر عجائبها وظرائفها **وما جاءت به للفلاسفة من منافعها ومضارّها ...** » .

فبهذا يتبيّن الباحث أن النسخة المعتمدة لطبع هذا الكتاب ليست كاملة بل هي لا تعطي من كتاب الرقيق صورة صحيحة . فما هي إذن هذه النسخة ؟ ليس علينا نحن أن نجيب على هذا السؤال . هو من واجبات من تصدّى لطبعها . ثم لا يكون الجواب إلا بعد مقارنتها بنسخ عديدة بل بجميع النسخ المعروفة إذ تبيّن من الأمثلة التي ضربناها أنّ نسخة باريس وحدها – ولم نطّلع على سواها – لا تكفي للبتّ في الموضوع لأنّها لا تشتمل إلاّ على الجزء الأوّل من كتاب الرّقيق . وحتّى إذا ما تسنّى لباحث مقارنة مخطوطة المتحف البريطاني بغيرها من النسخ فالمشكل ما يزال قائما لمعرفة نوع هذه المخطوطة إذ هي – في اعتقادنا – ليست بتراء فحسب ولا ناقصة فقط بل نعتقد أنه دخلها تغيير جذريّ أبعدها عن صورة كتاب الرقيق الأصليّة . ذلك أنها رغم جزأيها كأنّها لا توافق في شيء الجزء الأوّل من قطب السرور حسب ما نعلمه عنه من نسخة باريس . إلا أنّنا نقول هذا بكلّ احتراز لأننا ليس بين يدينا – ونحن بصدد تحرير هذا – الا تقييدات أخذناها عن هذه النسخة منذ سنوات إلاّ أنّها تقييدات مفصّلة مدقّقة تنبىء بسهولة عن البون الشاسع الذي يفصل بين المخطوطتين . ومن الذي تتّفق فيه النسختان – وهو قليل – عبارة جاءت في نهاية نسخة باريس وهي (21) : « تمّ هذا

(21) ورقة 263 وجه .

الجزء الأوّل والله سبحانه وتعالى أعلم ويليه الجزء الثاني أوّله : قيل لأعرابيّ كم تشرب من النبيذ قال على قدر النديم ... » . وهي عبارة وردت في المنشور في صفحة 187 هكذا : « وقيل لأعرابيّ : كم تشرب من النبيذ فقال على قدر النديم » . لكنّ الذي يؤيّد ما ذهبنا إليه من أنّ ما يميّز مخطوطة المتحف البريطاني التي وقع نشرها ليس النقص فقط هو أنّ ما سبق هذه العبارة يختلف باختلاف النسختين ولا يأتلف من قريب ولا من بعيد . ثم إنّ حجم ما سبقها بالمنشورة — وهو 187 صفحة — أقلّ بكثير مما سبقها في مخطوطة باريس — وهو 263 × 2 = 526 صفحة .

فالمشكل ما زال إذن كاملا طالبا للبحث . غير أننا نتقدّم هنا بافتراض ريثما تتسنّى مقابلة نسخ كتاب « قطب السرور » . وهو أنّ مخطوطة المتحف البريطاني قد تكون ذلك المختصر الذي تشير إليه المصادر والدراسات التي ذكرناها آنفا (22) إذ أنّ حجمها — بجزأيها وهو جملة المطبوع — يبدو أقل بكثير من الكتاب الكامل . لكنّ افتراضنا يتجاوز هذا إلى نوع هذا الاختصار . فالاختلاف الذي لاحظناه يذهب بنا إلى أنّ هذا الذي يسمّى « اختصارا » ليس مجرّد حذف أشياء مع إبقاء أشياء أخرى على حالها وفي محلّها من الكتاب أي على ترتيبها بل لعلّه تصرّف في الكتاب بالحذف والتغيير من حيث المكان على الأقلّ فيصير الاختصار نوعا ممّا يسمّى « بالاختيار » . وهو ما كنّا لاحظنا في بحث بالفرنسيّة لقطعة اكتشفناها من كتاب « الممتع » لعبد الكريم النهشلي تعرف « باختيار الممتع » . (23) .

فهذه المشاكل التي يثيرها كتاب « قطب السرور » للرّقيق وغيرها ممّا لم نتعرّض له هنا موضوع لبحث مدقّق يتطلّبه نشر الكتاب ويعتمد فيه صاحبه حتما المناظرة بين النسخ ليبرز كتاب « قطب السرور » — وهو على حدّ قول

(22) كتاب « الورقات » ص 445 ؛ « تاريخ إفريقية والمغرب » ص 23 .
(23) أنظر مجلة « أرابيكا » ARABICA سنة 1963 ج 10 ص 237–252 .

ح. ح. عبد الوهّاب (24) الكتاب الوحيد الموجود (للرّقيق) الان — في صورة مرضيّة لهذا التراث الأدبيّ الفذّ .

أمّا عن الرّقيق ودراسة حياته وتراثه العلميّ والأدبيّ ومنزلته بين أدباء القيروان وفي الأدب العربيّ عامّة من خلال المصادر المعروفة وممّا بقي من هذا التراث نثرا وشعرا فقد خصّصنا لذلك كلّه فصلا ضافيا في الكتاب الذي درسنا فيه « الحياة الأدبيّة بإفريقية زمن بني زيري من صنهاجة » (25)

الشاذلي بويحيى

(24) « ورقات » ج 2 ص 445 .
(25) أطروحة دكتورا دولية بهذا العنوان هي الآن تحت الطبع .

من الــذي جمع المعلقـــات ؟

بقلم : محمد باقر علوان

على الرغم من اهتمام كتاب العرب قدمائهم ومحدثيهم بالمعلقات لا نعرف لحد الان ، على وجه التحديد ، من هو الذي جمع المعلقات ، ومن هو الذي أعطاها هذه التسمّية ، ومن هو الذي حدد عددها وأصحابها . وفي هذا المقال أرجو أن أسلط شيئًا من الضوء على جزء صغير من مشكلة المعلقات ، لعلي أستطيع أن أزيل الوهم الذي علق بأذهان الكثير من الكتاب العرب .

لقد تكرر القول بأن الذي جمع المعلقات هو حمّاد الراوية (95هـ/714م 155هـ/776م) ، ودليل المتشبثين بهذه النظرية هو ما ذكره ابن سلاّم الجمحي (150هـ/767م — 232هـ/846م) ، وما ذكره أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت 338هـ/950م) . ولكي نستطيع أن نفهم هذه المشكلة ، وأن نحللها ، وأن نستخرج منها نتائج صحيحة ينبغي لنا أن نعرف بالضبط ما ذكره ابن سلام وما ذكره النحاس .

قال ابن سلام في « طبقات فحول الشعراء » (1) : « كان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها : حماد الراوية » . ولو وقفنا قليلاً عند قول ابن سلام للاحظنا ، أولاً ، انه لم يقل إن حمادًا هو أول من جمع المعلقات ،

(1) طبقات فحول الشعراء 40 ، راجع أيضا : المزهر 1 : 175 .

بل قال ان حماداً «أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها» ،ولَلاَحظنا ، ثانيا ، أن العمل الذي قام به حماد ، على ما ذكر ابن سلام ، هو عمل جمع لا أكثر ولا أقل .

وقال النحاس في مجال الحديث عن المعلقات (2) : « واضح ما قيل في هذا ان حماداً الراوية لما رأى زهد الناس في الشعر جمع هذه السبع وحضهم عليها وقال لهم : هذه المشهورات فسميت القصائد المشهورة لهذا » . هذا وقد نقل ما ذكره النحاس كتاب آخرون من بينهم : أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الانباري (513ه/1119م — 577ه/1181م) (3) وياقوت الحموي (574ه/1178م — 626ه/1229م) (4) ، وابن خلكان (608ه/1211م 681ه/1282م) (5) . إذن ، ربما كان النحاس أول من ذكر ، صراحةً ، ان حماداً الراوية هو الذي جمع المعلقات ، ما دمنا نفتقر لحد الان إلى نص يومىء إلى غيره .

السؤال الذي ينبغي طرحه الان هو : ماذا يعني ابن سلام بقوله : « كان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها : حماد الراوية » ؟ وماذا عنى النحاس بقوله ان حماداً الرواية هو الذي جمع السبع المشهورات ؟ إذا كان ذلك يعني ان حماداً هو الذي أعطى المعلقات شكلا نهائياً بجمع قصائدها ، وتقديمها للناس ، فلا يمكننا إلا ان نشك في هذا أكبر الشك .

(2) نقلنا هذا النص من مقال محمد عبد السلام « في القصائد السبع » المنشور في « حوليات الجامعة التونسية » ، العدد الثاني ، سنة 1965 ، ص 7 ، نقلا عن « شرح القصائد السبع المشهورات » لأبي جعفر بن النحاس ، مخطوط المكتبة الصادقية بالجامعة التونسية رقم 2605 ، الورقة 213 . والغريب أنني لم استطع العثور على هذا النص في مخطوطة « شرح السموط السبع » للنحاس في جامعة ييل 632— . راجع أيضا : تاريخ اداب اللغة العربية 1 : 105—106 .

(3) نزهة الالباء 22—23 .

(4) معجم الأدباء 4 : 140 .

(5) وفيات الأعيان 1 : 205 .

فمن المعروف ان الخليفة معاوية بن أبي سفيان (20 ق‌ه/603م – 60ه/680م) الذي كان له بعض الالمام بالشعر الجاهلي قد قال (6) : « قصيدة عمرو ابن كلثوم ، وقصيدة الحارث بن حلزة ، من مفاخر العرب ، كانتا معلقتين بالكعبة دهراً » .

وهناك خبران آخران في « خزانة الأدب » للبغدادي (1030ه/1620م 1093ه/1682م) يؤكدان على أن المعلقات كانت معروفة في زمن بني أمية ، وأنها لم تأخذ شكلا نهائياً حينئذ . يروي الخبر الأول (7) : « ان بعض بني أمية أمر من اختار له سبعة أشعار فسماها المعلقات » . ويصرح الخبر الثاني في مجال الحديث عن أصحاب المعلقات (8) : « وقد طرح عبد الملك بن مروان شعر أربعة منهم وأثبت مكانهم أربعة » . من يدري ، ربما كان لبني أمية غاية سياسية في إثبات شاعر وطرح آخر .

على اية حال ، فلو تذكرنا أن عبد الملك بن مروان قد عاش من سنة 26ه/646م إلى سنة 86ه/705م أدركنا أن المعلقات كانت معروفة قبل ظهور حماد على المسرح الأدبي بزمن طويل .

نستطيع ان نستخلص من هذه الأخبار على أن القصائد المشهورة بالمعلقات كانت معروفة قبل حماد ، وانها كانت تنتقل على ألسنة الناس في زمن معاوية ابن أبي سفيان ، كما انها – بلاشك – قد انتقلت على ألسنة الناس قبل ذلك لمدة طويلة من الزمن . ومما لم يتفق عليه الناس هو أية هذه القصائد الجاهلية تقع ، حقا ، ضمن المعلقات . ومن الأكيد أن الناس كانوا يؤمنون بشهرة أو بروعة قصيدة من هذه القصائد طبقا لنزعتهم ، وعصبيتهم ، وأهوائهم الأدبية والاجتماعية والسياسية ، وبقي الأمر كذلك إلى ما بعد عصر حماد

(6) خزانة الأدب 3 : 181 .
(7) المصدر السابق 1 : 127 .
(8) المصدر السابق 1 : 127 .

الراوية ، وقد أومأابن سلام إلى اختلاف الرواة في أمر شعراء الجاهلية والإسلام والمخضرمين فقال (9) : « وقد اختلف الناس والرواة منهم ، فنظر قوم من أهل العلم بالشعر ، والنفاذ في كلام العرب ، والعلم بالعربية ، إذا اختلف الرواة ، فقالوا بارائهم ، وقالت العشائر بأهوائها ، ولا يُقنع الناس معَ ذلك إلا الرواية عمن تقدم » .

هذا وقد فسّر بعض الكتاب المحدثين قول ابن سلام والنحاس بشكل يجانب الحقيقة والواقع ، حيث استنتجوا من قولهما أن حماداً قد وضع ، فعلا ، كتابًا بعنوان « السموط » أو « المعلقات » . فقد ذكر بروكلمان (10) : « وأقدم ما بقي من مجموعات القصائد الكاملة هو الاختيارات التي جمعها حماد الراوية وسماها على غرار عناوين الكتب الأخرى : السموط ، أو الاسم الاخر المألوف وهو : المعلقات . وأراد حماد من هاتين التسميتين الدلالة على نفاسة ما اختاره ، والافتخار بخالص اختياره » .

وكذلك استنتج محمد عبد السلام من نص النحاس أن « القصائد السبع » مصنف صنعه حماد الراوية (11) .

وحين نرجع إلى ترجمة حماد الراوية في « الفهرست » لابن النديم (ت 438ه/1047م) نقف على هذه الجملة (12) : « ولم ير لحماد كتاب ، وإنما روى عنه الناس وصنفت الكتب بعده » .

ويظهر أن أول محاولة لجمع هذه القصائد في كتاب قد تم على يد الأصمعي (122ه/740م – 216ه/831م) حين كتب كتابه « القصائد

---

(9) طبقات فحول الشعراء 21–22 .

(10) تاريخ الأدب العربي 67 .

(11) راجع مقاله : « في القصائد السبع » المنشور في « حوليات الجامعة التونسية » ، العدد الثاني ، سنة 1965 ، ص 8 .

(12) الفهرست (فلوجل) 92 .

الست » (13) ، وبما أن هذا الكتاب قد ضاع فيما ضاع من التراث العربي لم نعد نعرف ماذا عنى الأصمعي بالسّت ، ما هي ، ولمن تعود .

ومما يؤيد قولنا بأن القصائد المعروفة بالمعلقات لم تجمع قُبيل زمن حماد الراوية ، ولا في زمنه ، ولا من قبله أن ابن النديم لم يذكر شيئاً عن المعلقات في فهرسته . فلو كانت هذه القصائد مدونة في كتاب خاص لعرفه ابن النديم ، ولاسيما أن هذه القصائد كانت مشهورة تتناقلها الألسن ، وتلقى أبياتها في المجالس والأندية .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فلو كانت هذه القصائد مدوّنة حقا في كتاب بالذات لما اختلف الأدباء العرب هذا الاختلاف الكبير في شأن عددها وأصحابها . كل ذلك يشير إلى عدم وجود القصائد المعروفة بالمعلقات ككتاب منفرد موحد ، ويشير إلى ان الرواة قد روت هذه القصائد بأشكال مختلفة ، وعنهم أخذت الاجيال التالية ، فاتسعت رقعة الاختلاف بحيث أصبحت معرفة حقيقة هذه القصائد عسيرة جداً .

من كل ما تقدم نستطيع أن نستخلص على أن المعلقات كانت معروفة منذ زمن طويل قبل حماد الراوية وأنها لم تدون بشكل نهائي ، ولذلك فقد تلاعبت بها الأيدي والأهواء ، فمن أضاف إليها ، ومن طرح منها . وجاء حماد فالتقطها من أفواه الناس ، ورواها كما روى غيرها من القصائد والدواوين . وهذا هو التفسير المعقول لما ذكر ابن سلام وما ذكر النحاس عن حماد الراوية وجمعه للشعر . إلاّ انه من الأكيد أن حماداً لم يضع هذه القصائد في كتاب مُصنّف ، وهذا لا ينفي ، طبعاً ، ما قد كان لحماد من يد في شهرتها وذيوعها بين الناس (14) .

(13) الفهرست (المكتبة التجارية الكبرى) 88 .
(14) راجع في هذا : معلقات العرب 23 .

وكان أول من أعطى المعلقات شكلاً سداسيا هو الأصمعي ، ولكن تسجيل الأصمعي لها لم يعطها شكلاً نهائيا ، فبعده بقليل ظهرت « جمهرة أشعار العرب » لابن زيد القرشي (عاش في القرن الثاني أو الثالث الهجري) فأعطت المعلقات شكلاً سباعيا ، وبقيت هذه القصائد بعد ذلك موضوع مناقشة واختلاف لشراحها وعاربيها إلى يومنا هذا .

ايًّا كان الأمر ، فمن الأكيد ، على الرغم من الرأي الواسع الانتشار القائل بالضد ، فإن حمادًا الراوية لم يجمع المعلقات بكتاب خاص ثابت .

محمد باقر علوان

***

مصادر البحث :

1) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة ، دار الهلال ، 1957 .

2) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار . الجزء الأول . القاهرة ، دار المعارف ، لات .

3) خزانة الأدب للبغدادي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة ، دار الكتاب العربي ، 1967 — 1969 .

4) شرح السموط السبع للنحاس ، مخطوط جامعة ييل 632

5) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، تحقيق محمود محمد شاكر . القاهرة ، دار المعارف ، 1962 .

6) الفهرست لابن النديم ، تحقيق فلو جل ، لا يبتزج ، 1871 .

7) الفهرست لابن النديم . القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، لات .

8) في القصائد السبع لمحمد عبد السلام ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد الثاني ، سنة 1965 ، 5—15 .

9) المزهر للسيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ، عيسى البابي الحلبي ، لات .

10) معجم الأدباء لياقوت الحموي ، تحقيق مرجليوث . القاهرة ، مطبعة هندية ، 1923—1931 .

11) معلقات العرب لبدوي طبانة . الطبعة الثانية . القاهرة ، مكتبة الانجلو مصرية ، 1967 .

12) نزهة الالباء في طبقات الأدباء للانباري ، تحقيق عطية عامر . ستكهولم ، 1962 .

13) وفيّات الأعيان لابن خلكان . بولاق ، 1299 .

الأقيشـــر الأســـدي

أخبـــاره وأشعـــاره

بقلم : الطيب العشاش

قـائمة المصادر والمـراجع والـرموز *

اتّجاهات هدّارة : اتّجاهات الشعر العربـي في القرن الثاني الهجريّ. تأليف محمّد مصطفى هدّاره . ط. دار المعارف بمصر 1963 .

أدب الشيعة : أدب الشّيعة إلى نهاية القرن الثّاني الهجريّ : تأليف عبد الحسيب طه حميده . ط مطبعة السعادة بمصر 1956/1376 .

الأعـــلام : كتاب الأعلام : تأليف خير الدين الزركلي ط III /بيروت 1969/1389 .

(*) رتبنا المصادر والمراجع ترتيبا أبجديا معتبرين عنوان الكتاب فى القسم العربي واسم المؤلف فى القسم الفرنسي ووضعنا أمام كل كتاب رمزا هو الذى استعملناه فى التعاليق على الدراسة وفى تخريج الأشعار والتعليق عليها . وقد وضعنا رقم 1 بعد بعض الرموز هي رموز الكتب التي بها ترجمة الأقيشر أو نصيب وافر من أخباره . وقد أهملنا من القائمة بعض ما أشرنا إليه إشارة عابرة مثل شعر دعبل فى التعليق رقم 56 من الدراسة أو ما ذكرته بعض المصادر ولم نطلع عليه مثل شرح الشواهد الكبرى للعيني وقد طبع بهامش خزانة الأدب طبعة بولاق أو شرح مقامات الحريري للشريشي . وقد استعملنا بالنسبة لكتاب الأغاني بعض الطبعات الأخرى غير التي ذكرنا فنبهنا إلى ذلك فى الهوامش . ونقر أن هذه المجموعة من المراجع قد تكون غير تامة ولعلنا نعود إليها يوما إذا ما طبعت بعض الكتب المخطوطة أو أعيد طبعها طبعا مفهرسا علميا يمكن الباحث من البحث الصحيح .

الأغـانـي 1	: كتاب الأغانـي : تأليف أبـي الفرج الأصفهاني ط 1 مطبعة التقدّم 1322 و1323/1904 و 1905 (والفهارس بمطبعة الجمهور) .
أمَالي القالي	: كتاب الأمالي : تأليف أبـي علي القالي ط III مطبعة السعادة بمصر 1373هـ .
تاج العروس	: تاج العروس من جواهر القاموس : شرح القاموس المحيط للفيروزابادي تأليف محبّ الدّين الزبيدي : ط 1 المطبعة الخيرية بمصر 1306 و1307هـ .
تاريخ (آداب نالينو)	: تاريخ الآداب العربيّة : تأليف كارلونالينو ط 1 دار المعارف بمصر 1954 .
تاريخ (أدب فروخ)	تاريخ الأدب العربي . تأليف عمر فرّوخ . دار العلم للملايين ط II بيروت 1969
تاريخ ابن عساكر	: التّاريخ الكبير : تأليف أبـي القاسم ابن عساكر ط مطبعة روضة الشام 1331هـ .
تاريخ الذّهبـي	: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام : تأليف شمس الدّين الذّهبـي .ط. مطبعة السعادة بالقاهرة 1368هـ .
تاريخ (الشّعر السّياسي)	: تاريخ الشعر السّياسي إلى منتصف القرن الثاني : تأليف أحمد الشائب ط IV/1956 مكتبة النهضة المصرية
تاريخ الطبري	: تاريخ الرّسل والملوك : تأليف أبـي جعفر محمد بن جرير الطبري ط. دار المعارف بمصر 1960 .
تنبيه البكـري	: كتاب التنبيه (على أوهام أبـي على القالي في أماليه) تأليف أبـي عبيد البكري ط III مطبعة السعادة القاهرة 1373هـ .

حركات الشيعة : حركات الشّيعة المتطرّفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والأدبيّة لمدن العراق ابّان العصر العبّاسي الأوّل . تأليف محمّد جابر عبد العال . ط . مطبعة السنّة المحمّدية القاهرة 1954 .

الحماسة البصرية : الحماسة البصرية : تأليف صدر الدّين بن ابي الفرج بن الحسين البصري ط. حيدر ا باد الدكن بالهند 1964/1383 .

حياة (شعر الكوفة) : حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة تأليف يوسف خليف ط. دار الكاتب العربي . القاهرة 1968/1388 .

حيوان الجاحظ : كتاب الحيوان : تأليف أبي عثمان عمر وبن بحر الجاحظ ط 1 مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده بمصر 1938/1356 .

خزانة الأدب : خزانة الادب ولبّ لباب لسان العرب : تأليف عبد القادر البغدادي ط المطبعة السلفيّة القاهرة 1347هـ .

الخصائص : كتاب الخصائص صنعة أبي الفتح عثمان بن جنّي ط مطبعة دار الكتب المصريّة 1952/1371 .

سمط اللالئي : سمط اللآلئ (اللآليء في شرح أمالي القالي) تأليف أبي عبيد البكري ط . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1936/1354 .

شرح التّبريزي : شرح ديوان الحماسة (حماسة أبي تمّام) تأليف أبي زكريا بحيى بن علي الخطيب التبريزي ط. القاهرة (محمّد محيي الدين عبد الحميد . بدون تاريخ).

الشّعر والشّعراء 1 : كتاب الشّعر والشّعراء : تأليف أبي محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ط. دار الثقافة بيروت 1964 .

العقد الفريد : العقد الفريد : تأليف أحمد بن محمّد بن عبد ربّه ط. مطبعة الإستقامة بمصر 1940/1359 .

عيون الأخبار : عيون الأخبار : تأليف أبي محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ط 1. مطبعة دار الكتب المصرية 1928/1346 .

غفران المعرّي رسالة الغفران . لأبي العلاء المعرّي . دار المعارف 1963.

قطب السّرور : قطب السرور في أوصاف الخمور : تصنيف أبي اسحاق إبراهيم المعروف بالرقيق النديم ط 1 مطبعة التعاونيّة . دمشق 1969/1389 .

اللسان : لسان العرب : لابن منظور . طبعة مصوّرة عن طبعة دار الكتب .

المؤتلف : كتاب المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكُنَاهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم : تأليف أبي القاسم بن بشر الامدي ط. مكتبة القدس القاهرة 1354هـ .

مجالس ثعلب : مجالس ثعلب : تأليف ابي العبّاس أحمد بن يحيى ثعلب ط مطبعة دار المعارف بمصر 1948 .

مجمع الأمثال : كتاب مجمع الأمثال : تأليف أبي الفضل أحمد بن محمّد ... الميداني ط. مطبعة السنّة المحمّديّة القاهرة 1955/1374 .

معاهد التنصيص : معاهد التنصيص على شواهد التلخيص : تأليف عبد الرحمان ابن أحمد العبّاسي ط. مطبعة السعادة بمصر 1947/1367 .

معجم البلدان : معجم البلدان : تأليف أبي عبيد الله ياقوت بن عبد الله الحموي طبع ليبسيك 1871/1866 .

معجم الشعراء : معجم الشعراء : تأليف أبي عبيد الله محمّد بن عمران المرزباني ط. مكتبة القدس القاهرة 1354ه .

مغنى اللبيب : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : تأليف ابن هشام الأنصاري ط. القاهرة (محمّد محيي الدين عبد الحميد بدون تاريخ) .

ملائكة المعرّي : رسالة الملائكة : تأليف أبي العلاء المعرّي : مطبعة الشرق دمشق 1944 .

الموشّح : الموشّح : مأخذ العلماء على الشعراء : تأليف أبي عبيد الله المرزباني دار نهضة مصر 1965 .

نهاية الأرب : نهاية الأرب في فنون الأدب : تأليف أحمد بن عبد الوهاب النويري (نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب) .

الوساطة : الوساطة بين المتنبّي وخصومه : تأليف علي بن عبد العزيز الجرجاني ط. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ط 1966/1386 بالقاهرة .

المـــراجع الفـــرنسية

أدب بـلاشيـر : Regis Blachère : Histoire de la littérature arabe des origines à la fin du XVe siècle de J.L. (3 volumes parus), Paris Maisonneuve : 1952, -964 et 1966.

أعشـى بلاشير : Le même : Un problème d'histoire littéraire Acsa Maymùn et son œuvre, Arabica, janvier 1963.

لامنس : خلافة معاوية : Henrì Lammens : Etudes sur le règne du Calife Omaiyade Mocawia 1er Paris, London, Leipzig 1908.

ماسينيون : كوفة ا ثار : Louis Massignon : Opéra Minora (3 tomes) Dar el Macàrif, Beyrout 1963.

نالينو بـــلاّ : Carlo Alfonso Nallino : La littérature arabe des origines à l'époque de la dynastie umayyade.
Traduction française de Charles Pellat.
Paris Maisonneuve 1950.

مقدمة

بينما لم يذكر أحمد الشائب في كتابه الخاص بتاريخ الشعر السّياسي إلى منتصف القرن الثاني الأقيشر الأسدي من بين شعراء السّياسة ولا ذكره عبد الحسيب طه حميدة في كتابه الخاصّ بأدب الشّيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري من بين شعرائهم — والكتابان في موضوعيهما شهيران — فقد رأى الأستاذ بلاشير (1) أن هذا الشاعر هو الثاني من بين خمسة (2) مثّلوا الحركة العلويّة في الشعر العربي من سنة 670/50 إلى سنة 725/107 غير أنّ الزركلي (3) قد عدّه في كتابه الأعلام من رجال عثمان بن عفّان كما ذُكر ذلك أيضا في تعليق (4) على ما كتبه عنه نالينو في كتابه تاريخ الآداب العربيّة » . وقد دعاني إهمال بعض النّقاد لهذا الشاعر من ناحية واختلاف آخرين حول مذهبه من ناحية ثانية إلى التساؤل فالبحث عن أخباره وأشعاره قصد المساهمة في بيان معالم الأدب العربي عامّة والشعر السياسي في العهد الأمويّ خاصّة . وهذه ترجمة الشّاعر كما اتّضحت من خلال أهم المصادر وما أمكنني جمعه من أشعاره مرجئا دراستها من حيث أغراضُها ومعانيها وأسلوبُها إلى أن يحين حينها .

---

(1) أدب : بلاشير III /515 .

(2) هم : عوف [بن عبد الله] بن الأحمر والأقيشر وأعشى همدان وحمزة بن بيض والكميت المصدر السابق III /514–521 .

(3) الأعلام VIII /200 .

(4) نالينو : بلا : 226 : تعليق 5 : والملاحظ أن هذه الإشارة إلى مذهبه غير موجودة في آداب نالينو 250 تعليق 3 . فكأنها في النص الفرنسي زيادة من الأستاذ بلا مترجم الكتاب من الإيطالية إلى الفرنسية إذ هي تأتي بعد ملاحظة ابنة المرحوم نالينو مترجمة الكتاب من العربية إلى الإيطالية وذكر الحرف الأول لكل من إسمها ولقبها ولكن لم يذكر الحرف الأول من إسم الأستاذ بلا ولقبه كما ذكر ذلك في تعاليق أخرى فهل هذه الملاحظة في النهاية له وهل هذا هو رأيه في الأقيشر أو رأي ماريا نالينو ؟ وانظر التعليق رقم 69 .

1 ـ أخبار (5) الأقيشر الأسدي (6)

1. تقديمه :

اختلف الرواة (7) في ذكر اسمه وبيان تسلسل نسبه وهو على الأغلب المغيرة بن عبد الله بن معرض أو المغيرة بن أسود بن وهب اوالمغيرة بن اسود بن عبد الله بن معرض وهو إمّا من بني ناعج بن عمرو بن أسد أو ـ وهو الأغلب ـ من بني معرض بن عمرو بن أسد .ثم يصل الرواة نسبه نخزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار .

وكنيته أبو مُعْرِض بضمّ فسكون فكسر كما جاء ذلك في شعر (8) له وكنّاه بذلك غيره (9) أيضا . وكان يلقب بالأقيشر (10) وهو تصغير الأقشر أي من انقشر جلده وكان لهذا قبيح المنظر وكان رغم اعترافه بلقبه هذا يغضب إذا قيل له .

2. ولادته :

لم يذكر الرّواة مكان ولادته ولكنّنا نعرف أنّه شبّ بالكوفة بعد تمصيرها حيث كان قومه بنو عمرو بن أسد قد استقرّوا (11) .

---

(5) معروف أن الكثير من شعراء العرب في القرون الأولى يلوحون لنا من خلال ما دون الرواة في صورة أشباح فقط . انظر مثلا : أعشى بلاشير فلعل الرأي أن نحاول تبويب أخبار الشعراء المتفرقة في مراكز إهتمام بصرف النضر عن الترتيب التاريخي .

(6) أهم المصادر لترجمة الأقيشر : كتاب الأغاني والشعر والشعراء والكتب المتأخرة والتي وضعنا أمامها رقم 1 في قائمة المصادر والمراجع إنما هي في أغلبها عالة على الكتاب الأول .

(7) آداب نالينو 250 تعليق 3 . وفي نالينو بلا 226 تعليق 5 ذكر مفصل لهذه الروايات

(8) المصدر السابق نفس الصفحة ونفس التعليق والمقطوعة رقم 21 .

(9) الأغاني X /83 والتعليق على القطعة رقم 39 .

(10) مختلف المصادر وخاصة تاج العروس III /483 والمقطوعة رقم 8 .

(11) أدب بلاشير III /515 وكوفة ماسينيون آثار III /37 (الخريطة صفحة 36) وبنو أسد من بين قبائل السبع الخامس من الأسباع السبعة أو المجموعات السبع التي كونت سكان الكوفة (وبنو أسد في الجنوب الغربي منها) .

ولم يذكر الرّواة كذلك سنة ولادته وليس هذا بالغريب وتفيد بعض الرّوايات أنّه ولد في الجاهلية إذ قال الإصفهاني (12) مثلا « ... ما أخلقه أن يكون ولد في الجاهليّة ونشأ في أوّل الإسلام » وأكّد الزركلي (13) هذا التاريخ لكن البكري (14) قال : « إنّه شاعر إسلاميّ » وقال الذهبيّ (15) إنّه « ولد في حياة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم » وليس بين هذه الأقوال فرق كبير ويمكن قبولها مبدئيّا ولعلّ ما سنقوله (15) عن تاريخ وفاته يؤيّد أيضا ولادته في نهاية العهد الجاهليّ أو في بداية العَصْرِ الإسلاميّ .

3. أهل الأقيشر الأسدي :

لم يذكر الرّواة أمّ الأقيشر ولا أباه ولكنّهم ذكروا (17) عمّة له كانت تدعوه إلى الصّلاة فيمانع وترضى أن يصلّي بلا وضوء كما ذكروا (18) عمّا له كان يريد منعه من إفساد ماله في شرب الخمر وابن عمّ له (19) يقال له أسيد يمنعه من الخروج إلى الحيرة للشراب في شهر رمضان وذكروا (20) لنا كذلك أنّه خطب أو تزوّج إبنة عمّ له يقال لها الرّباب وذكر هو أهله (21) وعياله في شعر نُسب له . وجميع هذه الرّوايات نتف يمكن أن نفيد منها أنّه كأنّ يتمرّد على أهله أو يميل إلى حياة لا يرضونها له .

---

(12) الأغاني X /80 .
(13) الأعلام VIII /200 .
(14) سمط اللآلىء I/261 وتنبيه البكري 37 .
(15) تاريخ الذهبي III /224 .
(16) انظر التعليق رقم 43 مثلا أو ما قيل عن وفاته بصورة عامة .
(17) الأغاني X /85–86 .
(18) الأغاني X /88 والمقطوعة رقم 38 والتعليق عليها .
(19) معاهد التنصيص III/7–246 والقطعة رقم 10 والتعليق عليها .
(20) الأغاني X /86 والمقطوعة رقم 42 .
(21) البيت 5 من المقطوعة 40 وعجز البيت اليتيم أو المقطوعة 38 .

4. حياته اللاهية :

من أهمّ ما اتصفت به حياة الأقيشر كما تبدو لنا من خلال المصادر القديمة أنّه كان كما قال الإصفهاني مثلا (22) « خليعا ما جنا مدمنا لشرب الخمر » . وللأقيشر في تحصيل المال طرق عديدة (23) والشواهد كثيرة على أنه كان يشرب بما يحصّله في الكوفة أو « يركب إلى الخمارين بالحيرة » (24) وكأنه كان يحظى بعطف الشرطة أو كان يتخلّص منهم بأن يسقي بعضهم بطريقة طريفة « بأنبوب القصب » (26) أو يعطيه درهمين (26) أو بإجابة طريفة هي أيضا عن بعض أسئلتهم (27) إذا ما وجدوه سكران وكأن بعضهم (28) كان يجزل ُله العطاء خوف هجائه .

وقد جمع الأقيشر إلى لذّة الخمر الإقبال على الزنا وقد أثِرَ عنه أنه — وهو غازٍ — قد باع حماره للشراب والزّنا (29) واستهتاره ببعض الفرائض سبقت (30) الإشارة إليه وكأن بعض الأمراء أو الخلفاء كانوا له على ذلك من المساعِدين فكيف كانت صلاته بهم بصورة عامّة ؟

5. أهم صلات الأقيشر بالأمراء والخلفاء وغيرهم من ذوي الشأن :

سبقت الإشارة إلى « حسن علاقاته » بالشرطة ولم تورد المصادر أخبارا عديدة عن صلاته بالأمراء والخلفاء ويمكن تحديدها كما يلي :

(22) الأغاني X /81 (عن ابن سلام) .
(23) السؤال أو الإلحاح فيه أو الهجاء أو بيع حماره أثناء الغزو وصلات الخلفاء وغير ذلك . الأغاني : X/85 أو 90 ...
(24) الأغاني X /81 .
(25) الأغاني X /1—82 والمقطوعة رقم 5 .
(26) الأغاني X /82 .
(27) سؤال عن الصلاة وسؤال عما شرب : المقطوعة رقم 23 والمقطوعة رقم 37 .
(28) أبو العريان الهيثم بن الأسود النخعي المتوفى عام 718/100 خدم بني أمية وخاصة عبد الملك بن مروان . الأغاني X /85 والمقطوعة رقم 3 .
(29) الأغاني X /90—91 . والمقطوعة رقم 40 .
(30) التعاليق رقم 17 و18 و19 ثم الأغاني X /90 والمقطوعة رقم 7 مثلا .

رغم ما قيل من أنّه يمكن أن يكون ولد في الجاهلية فلم تأتنا أخبار تفيد أنّه إتّصل بالخلفاء الرّاشدين (31) أو بمعاوية بن أبي سفيان وابنه وحفيده أو بالأُوَل من خُلفاء بني أميّة غير أنّ بعض المصادر تنصّ على أنّه اتّصل (32) بعبد الملك بن مروان أثناء خلافته من 684/65 إلى 705/86 كما اتّصل (33) ببشر بن مروان والي الكوفة من 71—691/72 إلى 694/74 وكان من شعرائهما ويبدو من ناحية ثانية أنّ الحجّاج بن يوسف المشهور قائد عسكر عبد الملك بن مروان وواليه على الحجاز ثمّ العراق لمدّة عشرين سنة والمتوفّى سنة 714/95 قد خالف الشرطة في موقفهم من الأقيشر وفرق (34) بينه وبين ندمائه . ويبدو أنّ الأقيشر قد جنّد (35) لمحاربة أهل الشام في « خلافَة » عبد الله بن الزّبير من 683/64 إلى 692/73 من قبل واليه على الكوفة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المعروف بالقباع وذلك سنة 67 أو 68 للهجرة فهرب . وقد استخلص (36) لامانس من هذا الهروب موالاة الشاعر للأمويّين وبعض الأخبار أيضا تفيد أنّه اتّصل (37) بزكريا (بن اسحاق) بن طلحة لمدحه وبأخيه عبد الله لهجائه (38) ولم نتبيّن مكانتهما .

والواقع أنّ هذه الصلات تبدو ضعيفه فلعلّ همّ الأقيشر كان غير هذا كما سنتبينه من موقفه السّياسيّ أو في موقفه من الحياة بصورة عامّة (39) .

(31) التعليق رقم 59 ، سئل عن رأيه فيهم ولم نفهم أنه ناصر بعضهم أو حارب معه .

(32) الأغاني X /83 .

(33) الأغاني X /88 .

(34) الأغاني X /84 والمقطوعة رقم 45 .

(35) الأغاني X /90 والمقطوعة رقم 40 وفي هذه الواقعة تاريخ الطبرى VI/135 .

(36) لامانس : خلافة معاوية 265 والتعليق رقم 82 والمقطوعة رقم 40 والتعليق عليها .

(37) المقطوعة رقم 27 ومصادرها .

(38) فصل « وفاة الأقيشر » والتعليق رقم 45 .

(39) فصل : على أي أساس ندرس شعر الأقيشر وخاصة الفقرة التي ختمنا بها البحث .

6. وفاة الأقيشر الأسدي :

الحاصل من مختلف الرّوايات أنّه مات سنة 80ه (40) أو في حدودها (41) أو أنّه « بقي إلى أن وفد على عبد الملك بن مروان » (42) أو أنّه « مات في اخر خلافته (إذن قبل سنة 705/86) (43) ويمكن قبول هذه التواريخ التقريبيّة إذ الضبط في مثل هذه الأمور يصعب أو يستحيل وتاريخ الوفاة هذا لا يتنافى مع تاريخ الولادة لأنّ الثمانين بلوغها عاديّ .

ولقد أضافت بعض (44) المصادر المتأخّرة مكان الوفاة وسببها وصورتها وأبينها ما قال (45) النويري ومفاده أنّ الأقيشر كان مولعا بهجاء عبد الله بن اسحاق (بن طلحة بن عبيد الله) فطلب هذا من غلمانه أن يريحوه منه فقتلوه حرقا بظاهر الكوفة وهو عائد من الحيرة سكران . ونتساءل لمَ لم يذكر هذه الرّواية بعض المصادر القديمة وخاصّة كتاب الشعر والشعراء وكتاب الأغاني وما هو مصدرها الأوّل وإن لم تكن في حدّ ذاتها مستبعدة جدّا .

وأضافَ النويري (46) أنّ بني أسد اجتمعوا وادّعوا على عبد الله بن اسحاق قتل الأقيشر فافتدى منهم بديته وإذا كانت هذه الدّية هي بعض ما غنمه أهله منه فما هو غنم الأدب العربيّ أي ماذا بقي لنا من أشعاره ؟

(40) ملائكة المعرى 4 تعليق رقم 6 .
(41) الأعلام VIII /200 وآداب نالينو 251 .
(42) تاريخ الذهبي III /224 .
(43) أدب بلاشير III /515 .
(44) معاهد التنصيص III /250 ونهاية الأرب IV /55–56 .
(45) المصدر السابق نفس الجزء ونفس الصفحة .
(46) المصدر السابق نفس الجزء ونفس الصفحة .

2 — أشعار الأقيشر :

1. ملاحظات عامّة :

لوحظ أن الأقيشر عمّر طويلا واستخلص (47) نالينو مثلا أنّه « ابتدأ يقول الشعر في أيّام الخلفاء الرّاشدين » وفي بعض الأخبار (48) أنّ له شعرا كثيرا وقد شهد له من الخلفاء عبد الملك بن مروان إذ يروى (49) أنّه قال وقد غنّته جارية ببعض شعر الأقيشر « وأشعر النّاس الأقيشر » وشهد له من الشعراء الكميت بن زيد 60/680—126/744 إذ يروى (50) أنّه قال له بعد أن سمع منه أبياتا واستعادها ولعلّه يشير إلى عبد الملك بن مروان « ما كذب من قال إنّك أشعر النّاس » .

وبديهي أنّه يجب ألاّ نغترّ بمثل هذه الشّهادات إذ هي في الأدب العربيّ أكثر من أن تحصى (51) ولكنّنا نتساءل رغم ذلك أو لأجل ذلك عمّا جاءنا من شعر الأقيشر .

2. ديوان الأقيشر :

سبق (52) أن لاحظ الأستاذ بلاشير أن لا ذكر في فهرست ابن النديم لأيّة محاولة لجمع ديوان الأقيشر غير أنّ القاضي الجرجاني قال (53) عن قطعة نسبت لهذا الشاعر « لم أرها في ديوانه » كما نصّ على وجود الدّيوان أبو عبيد البكري أيضا إذ قال (54) كذلك عن شعر نسب له « وهو ثابت في ديوانه » .

---

(47) آداب نالينو ، 250 .
(48) تاريخ الذهبي III /224 .
(49) الأغاني X /82 والمقطوعة رقم 27 .
(50) الأغاني X /82 والمقطوعة رقم 48 .
(51) لعل أطرفها ما يلي ، قيل أنشد مروان بن أبي حفصة يوما جماعة من الشعراء وهو يقول في واحد بعد واحد هذا أشعر الناس فلما كثر ذلك عليه قال : « كل الناس أشعر الناس » .
(52) أدب بلاشير III /515 .
(53) الوساطة 198 والمقطوعة رقم 33 .
(54) تنبيه البكري 37 والمقطوعة رقم 17 .

والسّؤال هو لِمَ لم يذكر الدّيوان في القرن الثالث من قبل الأدباء وخاصّة ابن قتيبة ؟ ولِمَ لم يذكره في القرن الرّابع ابن النديم والأصفهاني وذكره الجرجاني ؟ ولماذا ذكره أبو عبيد البكري في القرن الخامس ثمّ أهمل المتأخّرون ذكره والمعاصرون ؟ ولعلّ هذا الدّيوان يكتشف يوما إن كان حقا قد صُنع ورا ء الجرجاني وأبو عبيد البكري .

والرّجاء أن يجد مؤرّخو الأدب العربيّ ونقّاده في انتظار الدّيوان بعض الكفاية في هذه المجموعة التي حصّلناها من أهمّ المصادر أو ما وصلت إليه أيدينا منها .

3. مجموعة أشعار الأقيشر :

تتمثّل هذه المجموعة الأولى في 48 مقطوعة اقصَرها ذات البيت الواحد أو اليتيم واطولها قصيدة ذات 19 بيتا وعدد ابيات المقطوعات جميعها 178 بيتٍ كما يلاحظ في هذا الجدول :

القافية	عدد المقطوعات	عدد الابيات
الهمزة	1	1
الباء	5	14
الجيم	2	6
الدال	5	13
الراء	9	36
السين	3	12
الشين	1	2
الضاد	1	5
العين	2	7
القاف	4	18
الكاف	1	1
اللام	6	32
الميم	3	11
النون	4	17
الياء	1	3
15	48	178

ولقد شُكّ في نسبة بعض هذه الأشعار إلى الأقيشر الأسدي وكان يمكننا ان نخرج من هذه المجموعة هذا القسم المشكوك فيه ولكن من قال إنّ هذا القسم الباقي ليس فيه المنحول ايضا ثمّ إنّ بعض (55) ما شُكّ فيه الأغلب انّه للأقيشر ولذلك لم نر وجوب تقسيم (56) هذه المجموعة إلى قسمين او اكثر واكتفينا بالتنبيه إلى المشكوك فيه (57) ولعلّنا سنعود إليها يوما إذا افدْنا من مصادر اخرى اشعارا اخرى او افاد غيرنا من الباحثين .

4. على ايّ اساس ندرس شعر الأقيشر ؟

سبق (58) ان ذكرنا ان ليست غايتنا دراسة اشعار الأقيشر الأسدي من حيث اغراضها ومعانيها واساليبها ولكنّنا لا نستطيع الاّ نتساءل — وقد جمعنا ما امكننا جمعه من اشعاره — في ايّ لون من الوان الشعر او في ايّ صنفٍ من اصناف الشعراء يجب ان ندرسه وإن كان من المعلوم ان تصنيف الشعراء اصنافًا ودراسة اشعارهم على هذا الإعتبار من الصعب إلاّ إذا راعينا ما غلب على كلّ واحد منهم او ما برزوا فيه . فما الغالب على اشعار الأقيشر ؟

أ) هل الأقيشر شاعر سياسيّ ؟

1. هل كان شاعرا شيعيًّا ؟

ليس في أخباره وأشعاره ما يشير إلى ذلك ولقد كان يمكنه أن يبيّن موقفه لمّا حكّمه (59) قوم اختصموا في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي .

---

(55) اىقطوعة رقم 33 .

(56) طريقة الفصل بين الشعر الصحيح النسبة والشعر المنحول أو المشكوك في نسبته اتبعها بعض الذين نشروا بعض الدواوين القديمة أو حققوها ولعل أحسن مثال لذلك ما فعله عبد الكريم الأشتر في طبعه « شعر دعبل بن علي الخزاعي » بدمشق سنة 1964/1384 وهي طبعة مثالية .

(57) الإشارة إلى بيان طريقة ذلك في هامش المقطوعة الأولى من المجموعة .

(58) انظر الجملة الأخيرة من المقدمة .

(59) الأغاني X/86 والمقطوعات رقم 31 .

ولكن هل يمكن أن نفهم من قوله في عَجُزٍ «ودعني من بنيّات الطريق» (60) أنّه يفضّل عليّا ؟ لعلّ بعض من يغالون في التأويل يفهمون ذلك وليس كونه أسديّا ممّا يجعلنا نقول بتشيّعه فمن بني أسد (61) بالكوفة من كان على عليّ بن أبي طالب وعلى الشّيعة بصورة عامّة — فمن الغريب إذن أن يعدّه الاستاذ بلاشير (62) من شعراء الشيعة ويقوّي استغرابنا اراء غير (63) الأستاذ بلاشير من ناحية ورأيه هو في ما كتب عنه في متن (64) فصله من ناحية ثانية ففيه أنّ الأقيشر تلوّن أوْ شايع أحزابا مختلفة وحاول الإفلات من قيود الدّين والشعر (65) . ولقد اطلعنا على جميع المراجع التي ذكرها الأستاذ وليس فيها ما يشير إشارة واضحة إلى تشيّعه .

2. هل كان شاعرا عثمانيّا ؟

الملاحظ أنّ ما قيل أو ما وصلنا من شعر في عثمان بن عفّان قليل (66) بصُورَةٍ عامة وليس في أخبار الأقيشر ما يشير إلى مشايعته عثمان إلاّ إذا فهمنا ذلك من العجز المذكور (67) .

فمن الغريب ان يذكر الزركلي انّه كان (68) «من رجال عثمان بن عفّان» ومن الغريب كذلك ما جاء في التعليق على ما كتبه عنه نالينو وقد

(60) عجز البيت الثالث من المقطوعة رقم 31 ويمكن كذلك تأويل الصدر .
(61) كوفة ماسينيون : آثار III /59 . (الملحق II) والتعليق رقم 70 .
(62) أدب بلاشير III /514 انظر عنوان الفصل عن الحركة العلوية والتعليق رقم 1 بمقدمتنا .
(63) انظر التعليق رقم 3 ثم رقم 4 بمقدمتنا وما يلي في ب ج و د .
(64) أدب بلاشير III /515 وخاصة من السطر الثالث إلى السطر الثامن .
(65) هذا الرأي الأخير هام وقد تضمنته الجملة الأخيرة من الفصل وسنعود إليه . انظر لهذا الغرض التعليق رقم 89 .
(66) أو هكذا يبدو أو هو لم يدرس بعد .
(67) انظر التعليق رقم 60 .
(68) التعليق رقم 3 .

سبقت (69) الإشارة إليه وتعريبه كاملا هنا مفيد « إنّ ما قاله لا مانس في كتابه حكم الخليفة الأمويّ معاوية الأول [خلافة معاوية بن أبي سفيان] صفحة 265 لا أساس له فلا شيء يظهره [يعني الأقيشر] إلى بني اميّة اميل منه إلى سواهم فما كان إلاّ رجلا مدمنا على الشراب وملذات من قبيله و[لكنّنا] نعلم فقط أنّه كان عثمانيّا وأنّه كان يعيش إذن في عهد علي » والحقّ أنّه إن كان من السّهل أن نفهم من قول لامانس وقد عدنا إلى المرجع المذكور أنّ الأقيشر كان مع شعراء اخرين من شيعة بني أميّة كما أشار إلى ذلك صاحب التعليق وقد أصاب فإنّه من الصّعب أن نفهم لماذا أشار هذا الأخير إلى تلوّن الشاعر ثمّ أقر « عثمانيته » إن صحّ التعبير ولم ندرك مصدر هذا الرّأي الأخير « إن لا شيء يظهر الأقيشر أميل إلى حزب منه إلى حزب اخر اللهمّ إلاّ أن يكون صاحب هذا الرّأي اعتمد على كون بعض أهل الكوفة كانوا عثمانيّة إذ أنّ بها مسجدا (70) بناه عثمانيّ هو من بني عمرو بن أسد أي من عشيرة الأقيشر ولكن التعميم صعب وكأنّ قيمة هذا التعليق تكمن بالإضافة إلى ما تقدّم في الجملة الأولى (71) والجملة الثانية (72) وسنعود إليهما .

3. هل كان الأقيشر أمويّا ؟

سبق أن ذكرنا من اتّصل بهم الأقيشر من خلفاء (73) بني أميّة وأُمَرائهم (74) ولكن لم يصلنا ممّا يمكن أن يكون قد قاله فيهم من مدح

(69) التعليق رقم 4 .
(70) مسجد سماك بن مخرمة الأسدي « بناه صاحبه في أيام عمرو وقد كان عثمانيا وأهل تلك المحلة إلى اليوم كذلك » الأغاني X /80 والمقطوعة رقم : 13 والتعليق رقم 61 .
(71) فقرة « هل كان الأقيشر أمويا ؟ » وهي الموالية .
(72) فقرة « الأقيشر شاعر الخمرة » .
(73) عبد الملك بن مروان : التعليق رقم 32 .
(74) بشر بن مروان : التعليق رقم 39 .

اللهمّ إلاّ البيت اليتيم في فاتك بن فُضاله بن شريك (75) أحد أعوان بني أميّة فليس في شعره بقطع النّظر عن هذا البيت ما يدلّ على أنّه كان من شيعة بني أميّة غير أنّ الأستاذ بلاشير (76) لاحظ انضمام الأقيشر إلى الأمويّين بعد أن شارك في ثورة مصعب بن الزّبير سنة 691/72 كما ذكر « لامنس » (77) تشيّعهُ إليهم ولاحظ أنّه هرب لمّا جنّد ضدّهم (78) ولكنّ المرزباني (79) قد ذكر — وأعاد الملاحظة الزّركلي (80) — أنّ الأقيشر قد هجا « عبد الملك » ولم يصلنا من هذا الهجاء شيء وهل يكفي البيت المذكور في بعض أعوان بني أميّة ووجود الأقيشر في بلاط عبد الملك في وقت غير معلوم (81) وهروبه الطريفُ (82) من جند القباع المحارب ضدّ « أهل الشام » لكي نعتبره شاعرا امويّا ؟ الجواب بنعم صعب خاصّة وأنّ المصادر تذكر أنّ له بابن الزّبير صلات .

4. هل كان الأقيشر زبيريّ الهوى ؟

ذكرت بعض (83) المصادر أنّه رثى مصعب بن الزّبير وَالِـي أخيه « الخليفـَة » عبد الله على البصرة والكوفـَة . لكنّ هذا الرّثاء لم يصلنا هذا من ناحية وإذا ما تذكّرنا من ناحية ثانية هروب الأقيشر من جيش القباع وإلى ابن الزّبير

(75) المقطوعة رقم 34 والتعليق عليها .
(76) أدب بلاشير III /515 .
(77) خلافة معاوية : لامنس 265 والتعليق رقم 35 و36 .
(78) إن تفسير تخلف الأقيشر عن جند القباع هذا التفسير السياسي غريب فلعل ضعف إيمان الأقيشر هو الذى جعله يهرب أو لعل القصيدة منحولة أو لعله العبث وإن كان لهذ العبث بالسياسة صلة .
(79) معجم الشعراء 370 .
(80) الأعلام VIII /200 .
(81) ضبط ذلك وإن كان مفيدا هو جد عسير .
(82) التعليق رقم 35 ورقم 36 ثم 77 .
(83) معجم الشعراء 370 والأعلام VIII/200 وأدب بلاشير III /515 .

وتفسير بعضهم (84) لذلك الهروب إن صحّ فإننا لا نجيب بالإيجاب عن السؤال المطروح أعلاه . ولعلّنا نرى لزاما علينا وقد حاولنا استعراض مواقف الأقيشر في حياته وأشعاره من أهمّ الأحزاب السّياسية في عصره أن نفكّر في الإعراض ولو إلى حين عن دراسة شعر الأقيشر باعتباره شعرا سياسيّا فما هو إذن ؟

ب) الأقيشر شاعر الخمرة :

إذا لم يكن في شعر الأقيشر ما يدلّ دلالة واضحة على أنّه شاعر سياسيّ فإنّ فيه ما يدلّ على أنّه واحد من شعراء الخَمْرَة وقد اعترفَ له بهذا من اعتمدنا مصادرهم غير أنّ بعض المعاصرين وكأنّه قد بالغ قال (85) : « وإذا كان مؤرّخو الأدب العربيّ قد اتفقوا على أن يجعلوا من الوليد بن يزيد شاعر الخمر في العصر الأمويّ فإننا لا نتردّد في أن نعدّل هذه الفكرة فنجعل الوليد شاعر الخمر في أواخر هذا العصر ونجعل من الأقيشر شاعرها في أوائله » . كما لاحظ آخر (86) أنّ شعر الأقيشر من الأدلّة على تطوّر شعر الخمرة من حيث الفنّ الشعريّ أو الأسلوب فهل ندرس شعر شاعرنا على هذا الإعتبار وليس لنا بعد إلاّ هذه المجموعة القليلة من أشعاره وإن كان فيها والحقّ يقال ما يدلّ على ذلك وليست قلّتها بضائرتها إذكم من قليل أغنى غناء الكثير أو أربى عليه ؟

خاتمة :

وبعد أليس من الغريب أن نبدأ دراستنا والأقيشر الأسدي شاعر سياسيّ وننهيها وهو شاعر من شعراء الخمرة ؟ كأن بعض التفكير واستقراء التاريخ

(84) لامنس : خلافة معاوية 265 والتعليق رقم 34 و35 ثم 82 .
(85) شعر : كوفة ، خليف : 594 .
(86) اتجاهات : هدارة : 488 .

يفضيان بنا إلى القول بأنْ لا غرابة في الأمر . وقد « كان موقف الكوفيين كمعارضين وكارهين لبني أميّة ومطيعين لهم ولقوادهم في السلم والغزو قد خلق فيهم في ما يبدو حالة نفسيّة دفعت بعضهم أن يجد في الأشربة سبيلا لنسيان ما هم فيه من قلق نفسيّ فانطلقوا إلى الحانات والأديرة يَنْسَوْنَ في ميادين اللذّة ما أقلق نفوسهم » (87) . ولقد أصاب لامنس هذه المرّة إذ قال عن الأقيشر ما تعريبه : « كان من الممكن أن تحتوي قصائده اثارا أكثر (مما احتوت) تدلّ على ارائه السياسيّة لو لم يكن قد اثر على البروز (في هذا الميدان) أن يحيا حياة بوهيميّة ووقف مقدرته الشعريّة يُثْنِي على الخمر » (88) .

وعلى كلّ فإنّ اثاره كما لاحظ ذلك الأستاذ بلاشير : « ثمينة على قلّتها إذ هي مع كثير من الاثار الأخرى شهادة على محاولات جماعة من البوهيميين للأفلات من قيود الدّين والشعر » (89) . وإن كان الأصمعيّ قد « طعن في الأقيشر وقال ذاك مولّد ، لم يلتفت إلى شعره » (90) . فإن الواجب اليوم الإعتناء بهذه الأشعار إذْ أن صلة الحياة اللاهية العابثة بالحياة السياسيّة عامّة والتشيّع بالكوفة وغيرها من بلاد الاسلام في ذلك العصر خاصّة لا يمكن ادراك أبعادها وتبيّن معالمها إلاّ بدراسات مفردة في مختلف ميادين الحياة تتبعها الدراسة العامّة الشاملة . والله ولي التوفيق .

***

(87) حركات الشيعة 103 .
(88) لامنس : خلافة معاوية 265 .
(89) أدب بلاشير : III 515 (الجملة الأخيرة من الفقرة المخصصة للاقيشر .
(90) الموشح : 345–346 .

مجموعـــة أشعـــاره (حسب القوافي)

قـــافيـة الهمـــزة *

— 1 —

(الطويل)

1. وَمُـسَـوَّفٍ نَشَدَ الصَّبُوحَ صَبَحْتُهُ
قَبْـلَ الصَّبَاحِ وَقَبْـلَ كُلِّ نِـدَاءِ

التخريج :

اللسان : مادّة : نشد .

قـافية البـاء

— 2 —

(الطويل)

1: تُريكَ القَذَى من دونِهَا وهـي دونَهُ
لوجْـه أخِيهَـا في الإنَـاء قُطُـوبُ

(*) رتبت ما توصلت إلى جمعه من أشعار الأقيشر الأسدي ترتيبا أبجديا معتبرا القوافي مبتدئا بالمضموم منها فالمفتوح فالمكسور فالساكن فما قيد بالهاء وراعيت الحروف الأولى من البيت الأول في حالة تعدد القوافي ذات الروي الواحد والمجرى الواحد . وذكرت لكل مقطوعة بحرها ثم ذكرت الأبيات مرقمة ثم التخريج ورتبت المصادر في هذا القسم ترتيبا زمنيا وذكرت رمز المصدر كما بينته في قائمة المصادر والمراجع والرموز ويشير الرقم الروماني إلى الجزء والعربي إلى الصفحة والرقم أو الأرقام التي بين قوسين إلى ترتيب الأبيات في المصدر المذكور ثم وضعت بين معقفين [ ] عبارة « بدون عزو » أو ذكرت إسم الشاعر إن كان صاحب المصدر المذكور لم يعز الشعر إلى أحد أو نسبه إلى غير الأقيشر . وقد استدعت بعض المقطوعات بعض العناصر الأخرى فكان لنا مثلا : اختلاف الروايات . ولم أرد إدماجه ضمن العصنر السابق كما يفعل بعض المحققين ولكني فصلته عنه كما يفعل آخرون مصيبين رغبة في الإيضاح وقد أضفت لبعض المقطوعات عنصرا آخر هو « التعليق » إذ لم أرد أن أقدم لكل مقطوعة بما يبين ظروفها أو يعرف ببعض أشخاصها إن تضمنت ذكر أعلام بل فضلت أن أذكر ذلك في التعليق بالنسبة للمقطوعات التي ستدعي فهمها ذلك وترددت طويلا قبل أن أشرح في التعليق أيضا بعض الألفاظ أو العبارات التي رأيت من المستحسن شرحها إذ أنه من الصعب تقدير ما يستدعي الشرح في مثل هذه الأعمال وقد حافظت على عناوين مختلف هذه الفقرات ، التخريج واختلاف الروايات والتعليق للفصل بينها قصد الإيضاح على سنة « صناع الدواوين » في أيامنا هذه .

2: كُمَيْتٌ إذَا فُضَّت وفي الكَأس وَردَةٌ
لهَا فِي عظَـام الشّاربينَ دَبِيبُ

التخريج :

الأغاني X /88 (1—2)
نهاية الأدب IV /54 .
تاريخ الذهبي III /224 .

اختلافُ الرّوايات :

2) نهاية الأرب وتاريخ الذهبي : إذَا شُجَّت .

— 3 —

(الكامل)

1: وَسَألتَنِي يَومَ الرَّحِيلِ قَصَائِدًا
فَمَلأتُهُنَّ قَصَائِدًا وكِتَابَا

2: إنّي صَدَقتُكَ إذْ وَجَدتُكَ كَاذِبًا
وكَذَبْتَنِي فوَجَدتَنِي كَذّابَا

3: وَفتَحْتُ بَابًا لِلْخِيَانَة عَامدًا
لَمّا فتَحْتَ مِنَ الخِيَانَة بَابَا

التخريجُ :

الأغاني X /85 (1 — 3)

التعليق :

استكتب العريان بن الهيثم النخعي الأقيشر من ملحه ثم خرج إلى الشام وبعث إليه بخمسين درهما من مال أصابه فاستقلّها الأقيشر وقال فيه هذه الأبيات فبلغت الهيثم فبعث إليه بخمسمائة درهم وسأله الكفّ عن ابنه .

أنظر أيضا التعليق رقم 28 من الدّراسة .

— 4 —

(السّريع)

1: يَا أيُّهَا السَّائِلُ عَنَّا مَضَى
مِن عِلْمِ هَذَا الزَّمَنِ الذَّاهِبِ

2: إنْ كُنْتَ تَبْغِي العِلْمَ أوْ أهْلَهُ
أوْ شَاهِداً يُخْبِرُ عَن غَائِبِ

3: فَاخْتَبِرِ الأرْضَ بِأسْمَائِهَا
وَاعْتَبِرِ الصَّاحِبَ بِالصَّاحِبِ

التخريج :

البيان والتبيين 1 /54 (1—3) (أنشدها معاوية بدون ذكر الشاعر) .

الأغاني X /83 (1—3) .

معجم الشعراء : 370 (1) .

الحماسة البصريّة : II /80 (2—3) .

معاهد التنصيص III /249 (1—3) .

خزانة الأدب IV /375 (1—3) .

اختلاف الروايات :

1) البيان والتبيين والعلم.........العائب معجم الشعراء : من ريب هذا .

3) البيان والتبيين والأغاني وخزانة الأدب : « فاعتبر الأرض » وفي تعليق بخزانة الأدب أن « في المطبوعة فاختبر » والمطبوعة طبعة بولاق وفضلنا روايتها .

— 5 —

(الرّمل)

1: إنَّمَا لِقْحَتُنَا بَاطِيَــةٌ فَإِذَا مَا مُزِجَتْ كَانتْ عَجَبْ
2: لَبَنٌ أَصْفَرُ صَافٍ لَوْنُـهُ يَنْزَعُ الباسورَ من عَجْبِ الذَّنَب
3: سَأَلَ الشُّرْطِـيُّ أنْ نَسْقِيَهُ فَسَقَيْنَـاهُ بِأنْبُوبِ القَصَبْ
4: إنَّمَا نَشْرَبُ مِنْ أمْوَالِنَا فَسَلُوا الشُّرْطِيَّ ما هذَا الغَضَبْ

التخريج :

الأغاني X /83 (1—2—4) و86 (3—4) .

الموشّح : 346 (4) .

نهاية الأرب IV /52 (1—2—4) .

معاهد التّنصيص III /245 (3—4) .

اختلافات الروايات :

3) الأغاني ونهاية الأرب : سَأَلَنِـي

التعليق :

الباطية (البيت الأول) إناء فارسي معرّب والباسور : علة تحدث في المقعدة وداخل الأنف والعجْب : الطّرْفُ .

— 6 —

(الرمل)

1: حَضَرُ موتٌ فَتَشَتَّتْ أَحْسَابُنَا وَإِلَيْنَا حَضْرُ مَوْتٌ تَنْتَسِبْ
2: إخْوَةُ القِرْدِ وَهُـمْ أعْمَامُه بَرِئَتْ منْكم إلى اللّهِ العَرَبْ

التخريج :

الأغاني X /85 .

التعليق :

حَضْرُ مَوْتٌ : اسم موقع واسم قبيلة والمقصود هنا القبيلة وهي من أصل يمني من مجموعة القبائل التي تكوّن السبع الثاني أو المجموعة الثانية من أسباع الكوفة (كوفة : ما سنيون . اثار III / 40) وقيل : خطب رجل من حضرموت إمرأة من بني أسد فسأل عنها فقال فيه الأقيشر هذين البيتين » .

قافية الجيم

— 7 —

(البسيط)

1: إنْ كانت الخَمْرُ قَدْ عَزَّت وقدْ مُنِعَتْ
وحَالَ مِنْ دُونِهَا الإسْلاَمُ وَالحَرَجُ

2: فقد أبَاكرهَا صِرْفًا وَأشْرَبُهَا
أشفِي بِهَا غُلَّتِي صِرْفًا وأمْتَزِجُ

3: وَقَدْ تَقُومُ عَلَى رَأسِي مُغَنِّيَةٌ
لَهَا إذَا رَجَّعَتْ فِي صَوْتِهَا غَنَجُ

4: وَتَرْفَعُ الصَّوْتَ أحْيَانًا وَتَخْفِضُهُ
كَمَا يَطِنُّ ذُبَابُ الرَّوْضَةِ الهَزِجُ

التخريج :

الأغاني X /90 (1 ــ 4) [منسوبة للأقيشر ثم قال أبو الفرج : «ووجدتها في شعر أبي محجن الثقفي له لما تاب من الشراب] .

اختلاف الرّوايات :

2) الأغاني : الطابعة المصوّرة عن طبعة دار الكتب XI /273 التعليق رقم 1 في ديوان أبي محجن (نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية) :

فَقَدْ أبَاكِرُهَا رَيَّا وَأشْرَبُهَا صِرْفا وَأطْرَبُ أحيانا فأمْتَزِجُ ...

— 8 —

(الوافر)

1 : أتَدْعُونِي الأقَيْشِرَ ذَلِكَ اسْمِي
وَأدْعُوكَ ابْنَ مُطْفِئَةِ السِّرَاجِ

2: تُنَاجِي خِدْنَهَا بِاللَّيْلِ سِرًّا
وَرَبُّ النَّاسِ يَعْلَمُ مَا تُنَاجِي

التخريج :

الشعر والشعراء : 463 (1—2) .

الأغاني X /81 (1—2) .

معاهد التنصيص III /244 (1—2) .

خزانة الأدب IV /372 (1) و373 (2) .

اختلاف الرّوايات :

1) خزانة الأدب ومعاهد التنصيص : ذاك .

2) خزانة الأدب : تنادي .

التعليق :

قالهما في رجل من بني عَبْسٍ قال له : يا أقيشر وكان يغضب إذا قيل له ذلك .

قافية الدال

— 9 —

(الكامل)

1: وَلَقَدْ غَدَوْتُ بِمُشْرِفٍ ذِي مَيْعَةٍ
عَسِرِ المَكَرَّةِ مَاؤُهُ يَتَفَصَّدُ

2: مَرِحٍ يَطِيرُ من المِرَاحِ لُعَابُهُ
وَيَكَادُ جِلْدُ إهَابِه يَتَقَدَّدُ

3: حَتَّى عَلَوْتُ بِهِ مَشَقَّ ثَنِيَّةٍ
طَوْرًا أَغُورُ بِهَا وَطَوْرًا أَنْجِدُ

التخريج :

الأغاني X /82 (1—2) .

شرح التبريزي IV /356 (1—3) .

الحماسة البصريّة II /371 (1) .

معاهد التنصيص III /244 (1—2) .

خزانة الأدب IV /373 (1—2) .

اختلاف الروايات :

1) الأغاني ومعاهد التنصيص وخزانة الأدب : ولقد أرُوح والأغاني : ذي شعرة ؛ وشرح التبريزي والحماسة البصرية : بمشرف يَأُفوخُهُ .

2) الأغاني : جِلْدَتُهُ به ، شرح التبريزي : مرح يمُج .

— 10 —

(الكامل)

1: إمّا تَرَانِي قَدْ هَلَكْتُ فَإنَّمَا
رَمَضَانُ أهْلَكَنِي وَدِينُ أُسَيْدِ

2: هَذَا يُصَرِّدُنِي فَلَسْتُ بِشَارِبٍ
وَأخٌ يُؤَرِّقُنِي مَعَ التَّصْرِيدِ

التخريج :

معاهد التنصيص III /247 (1—2) .

التعليق :

التصريد هو السقي دون الريّ . وأسيد ابن عمّ الأقيشر وكان منعه من الخروج إلى الحيرة في رمضان ليشرب ، وانظر التعليق رقم 19 من الدّراسة .

— 11 —

(الطويل)

1: أيَا صَاحِبِي ابشِرْ بِزَوْرَتِنَا الحِمَى
وَأهْلَ الحِمَى من مُبْغِضٍ وَوَدُودِ

2: قدْ اخْتَلَجَتْ عَيْنِي فَدَلَّ اخْتِلاَجُهَا
عَلَى حُسْنِ وَصْلٍ بَعْدَ قُبْحِ صُدُودِ

التخريج :

— سمط اللالئى II /660 (2) (تابع للتعليق رقم 2 صفحة 659 للمحقق) .
— الحماسة البصريّة II /104 (1—2) .

اختلافُ الروايات :

2) سمط الآلىء : فدام اختلاجها .

— 12 —

(الطويل)

1: تُحِبُّكُمُ نَفْسِي حَيَاتِي فَإِنْ أَمُتْ
أُوَكِّلْ بِدَعْدٍ مَنْ يَهِيمُ بِهَا بَعْدِي

التخريج :

الشعر والشعراء : 324 .

عيون الأخبار : IV /146 [منسوب لنصيب] .

الأغاني XIX /160 (ذكر مرّتين منسوبا للنمر بن تولب وأضاف الإصفهاني والناس يروون هذا البيت لنصيب وهو خطأ) .

الموشح : 299 .

اختلاف الرّوايات :

— عيون الأخبار والأغاني أهيم بدعدٍ ما حييت فإن أمت :...

— عيون الأخبار : البيت المنسوب لواحد (وفي التعليق رقم 6 الواحد هو الأقيشر) .

هو :

أهيم بدعدٍ مَا حييت فـإن أمت فيا ليت شعري من يهيم بها بعدي

وهذا البيت : في الشعر والشعراء لنصيب مع : ... فياويح دعدٍ من . يهيم .. » وهو في الأغاني XI /18 لنصيب : مع ، فوّا كبدي من ذا يهيم » وفي XIV /167 : مع : فوّا حزنا من ذا » .

— 13 —

(الرّمل)

1: غَضِبَتْ دُودَانُ مِنْ مَسْجِدِنَا
وَبِهِ يَعْرِفُهُمْ كُل أحَدْ

2: لَوْ هَدَمْنَا غُدْوَةً بُنْيَانَهُ
لانْمَحَتْ أسْمَاؤُهُمْ طُولَ الأبَدْ

3: إسْمُهُمْ فيهِ وَهُمْ جِيرَانُهُ
وَاسْمُهُ الدَّهْرَ لِعمْرِ وبن أسَدْ

4: كُلَّمَا صَلَّوا قَدَمْنَا أجْرَهُ
فَلَهَا النِّصْفُ عَلَى كُلِّ جَسَدْ

5: وَبَنُو دُودَانَ حَيّ سَادَةٌ
حَلَّ بَيْتُ المَجْدِ فِيهِمْ والعَدَدْ

التخريج :

الأغاني X /80 (1ـ4 ثم 5) .

التعليق :

المسجد المذكور بناه بالجنوب الغربي من الكوفة (كوفة ماسينيون ا ثار III /36 الخريطة) سماك بن عمير أو ابن مخرمة ......بن عمرو بن أسد في أيّام عمر بن الخطّاب وكان عثمانيا والأبيات الأربعة الأولى قالها الأقيشر في بني دودان وهم بطن من بني أسد فحلفوا ليضربنّه فقال في مدحهم البيت الخامس .

قافية الراء

— 14 —

(الكامل)

1: أبنِي تَمِيمٍ مَا لِمِنْبَرِ مُلْكِكُمْ
لاَ يَسْتَقِرُّ قَرَارُهُ يَتَمَرْمَرُ

2: إنَّ المَنَابِرَ أنْكَرَتْ أسْتَاهَكُمْ
فَادْعُوا خُزَيمَةَ يَسْتَقِرَّ المِنْبَرُ

3: خَلَعُوا أمِيرَ المُؤْمِنِينَ وَبَايَعُوا
مَطَرًا لَعَمْرُكَ بَيْعَةٌ لاَ تَظْهَرُ

4: واسْتَخْلَفُوا مَطَرًا فَكَانَ كَقَائِلٍ
« بَدَلٌ لَعَمْرُكَ مِنْ يَزِيدٍ أعْوَرُ »

التخريج :

— الشعر والشعراء : 464 (1—4) [عجز البيت 4 هو عجز بيت ينسب أيضا لنهار بن توسعة ص 448 و464 تعليق] 4 .

— الأغاني X /89 (1—2) .

اختلاف الرّوايات :

1) الشعر والشعراء : لاَ يستقرُّ قُعُودُهُ .

التعليق :

قيل (في الأغاني) : قال الأقيشر هذه المقطوعة (أو 1و2) في رجل من بني تميم ولي الكوفَة فلَمَّا علا المنبر انكسرت من تحته الدرجة فسَقط عنها . وقيل (في الشعر والشعراء) مرّ الأقيشر بمطر بن ناجية اليربوعي حين

غلب على الكوفة أيام الضحّاك بن قيس الشاري ومطر يخطب الناس فقال الأبيات فَبَلَغَ ذلك جريرًا فشكاه إلى بني أسد فأخذوا الأقيشر فضربوه (وفي التعليق رقم 1 صفحة 464 ردّ لهذه الرواية لما بين مطر بن ناجية وقد غلب على الكوفة حوالي 82ه وبين الضحاك بن قيس وقد دخلها سنة 127ه من تفاوت في الزمن ...) وعجز البيت الرّابع مثل قيل لما صُرف يزيد بن المهلّب عن خراسان بقتيبه بن مسلم الباهلي و كان شحيحا أعور . أنظر مجمع الأمثال I /صفحة 90) .

— 15 —

(الكامل)

1: فِــي فِتْيَةٍ جَعَلُوا الصَّلِيبَ إلاَهَهُمْ
حَاشَايَ إنِّــي مُسْلِــمٌ مَعْذُورُ

الخريج :

اللسان : مادة حشا .

التعليق :

معذور : مختون .

— 16 —

(الكامل)

1: يَا بَغْلُ بَغْلَ أبِي مَضَاءَ تَعَلَّمَنْ
أنِّــي حَلَفْــتُ وَلِلْيَمِيــنِ نُذُورُ

2: لَتُعَسَّفَنَّ وَإنْ كَرَهْتَ مَهَامِهًا
فِــي مَا أحُلُّ وَكُــلُّ ذَاكَ يَسِيرُ

3: بِالرَّغْمِ يَا وَلَدَ الحِمَارِ قَطَعْتَهَا
عَمْدًا وَأَنْتَ مُذَلَّلٌ مَصْبُورُ

4: حَتَّى تَزُورَ مُسَمَّعًا فِي دَارِهِ
وَتَرَى المُدَامَةَ بِالأَكُفِّ تَدُورُ

5: لاَ يَعْرِفُونَ بِمَا يَسُوءُكَ نُعْرَةً
وَإِذَا إِسْتَخِطْتَ فَخَطْبُ ذَاكَ يَسِيرُ

التخريج :

الأغاني X /84 .

التّعليق :

أبو المضاء المذكور في القطعة كوفي كان له بغل يكريه وكان الأقيشر قد تَعَوَّدَ أن يُعْطِيَهُ درهمين ويأخذ بغله فيركبه إلى الحيرة للشراب . ومصبور (في البيت الثالث) بمعنى محبوس ويمكن أن يكون عن العلف . ومسمّع (في البيت الرّابع) يحتمل أن يكون المغنّي أو اسم علم لمغنّ أو لصاحب حانة .

— 17 —

(الطويل)

1: وصَهْبَاءَ جِرْجَانِيَّةٍ لَمْ يَطُفْ بِهَا
حَنِيفٌ ولَمْ تَنْغَرْ بِهَا سَاعَةً قِدْرُ

2: ولَمْ يَشْهَدِ القسُّ المهَيْنِمُ نَارَهَا
طروقًا وَلاَ صَلَّى عَلَى طَبْخِهَا حِبْرُ

3: أتَانِي بهَا يَحْيَى وَقَدْ نِمْتُ نومَةً
وقَدْ غابَتِ الشِّعْرَى وَقَدْ جَنَحَ النَّسْرُ

4: فَقلْتُ اصطَبِحْهَا أوْ لِغَيْرِيَ فَاسْقِهَا
فَمَا أَنَا بَعْدَ الشَّيْبِ وَيْبَكَ وَالْخَمْرُ
5: تعَفَّفْتُ عَنْهَا فِي العُصُورِ التي خلَتْ
فَكَيْفَ التَّصَابِي بعْدَمَا كَلأَ العمْرُ
6: إذَا المرءُ وفَّى الأربَعِينَ وَلَم يَكُنْ
لَه دونَ مَا يَأتِي حَيَاءٌ وَلاَ سِتْرُ
7: فَدَعْهُ وَلاَ تَنْفَسْ عَلَيْهِ الَّتِي أتَى
وَإن جَرَّ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ لَهُ الدَّهْرُ

التخريج :

الشعر والشعراء : 466 (1، 3، 4، 6، 7) .

العقد الفريد VII /79 (1، 3، 4، 6، 7) .

الأغاني XVI /44 (6، 7، ثم 1، 2، 3، 4، 6، 7) [لأيمن بن خريم] .

أمالي القالي :1 /77 (1–7) [لأيمن بن خريم] .

قطب السرور : 424 (1، 8، 4) و425 (5، 6، 7) [لأيمن بن خريم] .

تنبيه البكري : 37 (1، 3) .

سمط اللآلىء :1 /261 (1) و262 (3) (والتعليق رقم 3 صفحة 261 فيه التخريج واختلاف الروايات وحكم المحقق عبد العزيز الميمني : قال : نعم يرجّح الأقيشر في نسبة الشعر إليه لأنه كان مغرما بالشراب وله فيه عدّة كلمات) .

ملائكة المعرّي 5 (4، 5) (ص 4 ... قال الأسدي ، وص 5 (التعليق رقم 6 : الأسدي هو الأقيشر ...) .

تاريخ ابن عساكر : III /189 (1، 2، 3، 4، 6، 7) [لأيمن بن خريم].

معجم البلدان : جرجان II /51 (1–7) [للأقيشر أو لأيمن بن خريم] .
اختلافُ الروايات :

1) قطب السرور : وحمراء جرجانية ؛ معجم البلدان . ولم يطف ؛ العقد الفريد : ولم تغلي ؟ . معجم البلدان وتاريخ ابن عساكر : وَلَمْ ينْغَرْ .

2) أمالي القالي : ولم يحضر القسّ .... ولم يشهد على ؟ .

معجم البلدان : ولم يحضر على طبخها .

3) الشعر والشعراء والعقد الفريد : غارت الشعرى وقد خفق ؛ قطب السرور : وقد مالت الجوزاء أو جنح ؛ الأغاني وتاريخ ابن عساكر وقد غابت الجوزاء وانحدر ؛ معجم البلدان : وقد لاحت الشعرى وقد طلع .

4) الشعر والشعراء وأمالي القالي وقطب السرور : فقلت اغتبقها ؛ الشعر والشعراء والعقد الفريد : لغيريَ فاهدها ؛ الأغاني : لغيْرِيَ سَقِّهَا ؛ معجم البلدان : لغيري فأهْدِهَا .

العقد الفريد : وبيك والخمر ؛ الأغاني ومعجم البلدان وتاريخ ابن عساكر ويحك .

5) ملائكة المعرّي : تجاللت عنها ؛ ملائكة المعري ومعجم البلدان : التي مضت .

6) الأغاني حجَابٌ ولا ستْرُ .

7) أما لي القالي : الذي ارتأى ؛ الشعر والشعراء والعقد الفريد جرَّ أرْسان ؛ الأغاني وتاريخ ابن عساكر :

ولو مدّ أسباب الحياة له العمْرُ

التعليق :

قيل : كان يقال بالكوفة : منْ لَمْ يَرْوِ هذهِ الأبيَاتَ فَلا مروءةَ لهُ ، وقال بعض من ينسب الشعر للأقيشر : « كان له جار صالح يقال له

يحيى فقال له : يا فاسق وأنا جئتك بها ؟ فقال : يرحمك الله ما أكثر يحيى في الناس ! » ومثل هذا التخلّص كثير عنْدا لأقيشر .

— 18 —

(الطويل)

1: وَمُقْعَدِ قَومٍ قَد مَشَى مِنْ شَرَابِنَا
وَأَعْمَى سَقَيْنَاهُ ثَلاَثًا فَأَبْصَرَا

2: شَرَابًا كَرِيحِ العَنْبَرِ الْوَرْدِ رِيحهُ
وَمَسْحُوقَ هِنْدِيّ مِنَ المِسْكِ أَذْفَرَا

3: مِنَ الْقَرَبَاتِ الغرّ مِنْ أَرْضِ بَابِلٍ
إِذَا صَبَّهَا الحَانِيُّ فِي الْكَأسِ كَبَّرَا

4: لَهَا مِنْ زُجَاجِ الشَّامِ عنْقٌ غَرِيبَةٌ
تَأَنَّقَ فِيهَا صَانِعٌ وَتَحَيَّرَا

5: ذَخَائِرُ فِرْعَوْنَ الَّتِي جبِيَتْ لَهُ
وَكُلٌّ يُسَمَّى بِالْعَتِيقِ مُشَهَّرَا

6: إِذَا مَا رَآهَا بَعْدَ إِنْقَاءِ غُسْلِهَا
تَدُورُ عَلَيْنَا صَائِمُ القَوْمِ أَفْطَرَا

التخريج :

الأغاني X /84 (1—6) .

الحماسة البصريّة : II /391 (1، 2، 6، 3) .

نهاية الأرب IV /101 (1) و 102 (2) .

معاهد التنصيص : III /245 (1—2)

اختلاف الرّوايات :

1) الحماسة البصريّة : قد سعى .

2) نهاية الأرب : كميت كأن العنبر الورد ريحُه .

3: الأغاني : من الفتيات الغرّ .... إذا شفها الحاني من الدنّ ؛

— 19 —

(الطويل)

1: وَمَنْ لِـي بِأنْ أسْتَطِيعَ أنْ أذْكُرَ اسْمَهُ
وَأعْيَـا عِقَـالاً أنْ يُطِيقَ لَهُ ذِكْرَا

التخريج :

الأغاني X /89 .

اختلاف الرّوايات :

اسطيع كتبت بثبوت التاء وحذفها ضروري لاستقامة الوزن وفي الجزء XI صفحة 272 التعليق رقم 2 : (المصوّرة عن طبعة دار الكتب) « ويحتمل أن يكون صوابه : ......أن أطيق » . ولكن يمكن أن يكون عقال اسم رجل فصيح كما قديفهم من التعليق .

التعليق :

ضمير الغائب في البيت يعود على رجل من محارب يكنى أبا الذيّال ويدعى قريظة بن يقظة ، قال عنه الأقيشر لجماعة سألوه عنه « اسمه ونسبه أعظم من أن أقدر على ذكرهما في يوم واحد » فهجاه بقطعة مطلعها .

لِسَانُكَ من سكرٍ ثقيلٍ عن التُقَى وَلَكِنَّهُ بِالْمُخْزِيَاتِ طَلِيق

فأجابه الأقيشر بالمقطوعة رقم 30 من مجموعتنا .

— 20 —

(السريع)

1: تَقولُ يا شَيْخُ أمَا تَسْتَحِي مِنْ شُرْبِكَ الخَمرَ على المَكْبَرِ
2: فقلتُ : لوْ باكَرْتِ مَشْمولَةً صَهْبَا كَلَوْنِ الفرَسِ الأشْقَرِ
3: رُحْتِ وفي رِجْلَيْكِ عُقَّالَةٌ وَقَدْ بَدَا هَنْكِ مِنَ الْمِئْزَرِ

التخريج :

الكتاب II /297 (3) [بدون عزو] .

الشعر والشعراء 44 (3) [منسوب للفرزدق ، لكن ليس في ديوانه] .

مجالس ثعلب 110/I (2) [بدون عزو] .

الوساطة : 7 : (عجز البيت 3 وبنفس الصفحة ذكر الصدر في التعليق رقم 5) .

الخصائص 73/1 (3) و72 التعليق 7 (1—2) .

الحماسة البصرية II /368 (1—3) .

اللسان : مادّة هنو . (3) [عن سبيويه بدون عزو] .

خزانة الأدب IV /369 (3) و370 (1—2) و371 (3) .

اختلاف الروايات :

2) مجالس ثعلب : وانت لو ؛ الحماسة البصريّة : حمراء مثل الفرس الخصائص : صفرا كلون

3) الكتاب ، والوساطة والخصائص واللسان : رجليك ما فيهما .

التعليق :

قيل : سكر الأقيشر يوما فسقط فبدت عورته لامر أته فلامته فأنشدها الأبيات وقيل مرّ سكران بسكّة بني فزارة فجلس يريق الماء فمرّ به نسوة

فقالت إحداهنّ « هذا نشوان قليل الحياء » فأنشدها والبيت الثالث من الشواهد على تسكين النون من (هن) في الإضافة وقيل هو للضرورة أو من أقبح الضرورة وفي هامش الكتاب « وبعض النحويين لا يجيزه وينشد البيت : وقد بَدَا ذَاكَ ... » والهَنُ هو الحِرُ أو الفَرْجُ .

— 21 —

(التقارب)

1: فَإِنَّ أبَا مُعْرِضٍ إذْ حَسَا — مِنَ الرَّاحِ كَأْساً عَلَى المِنْبَرِ

2: خَطِيبٌ لَبِيبٌ أبُـو مُعْرِضٍ — فإنْ لِيمَ فِـي الخَمْرِ لَمْ يَصْبِرِ

3: أحلَّ الْحَرَامَ أبُو مُعْرِضٍ — فَصَارَ خَلِيعاً عَلَى المَكْبَرِ

4: يُجِلِ اللِئَامَ وَيَلْحى الكِرَامَ — وَإنْ أَقْصَرُوا عَنْهُ لَمْ يُقْصِرِ

التخريج :

الأغاني X /80 (1—2) و81 (1—4) .

تنبيه البكري : 37 تعلية رقم 6 (1) و38 تعليق 1 (1—2) .

سمط اللآلىء I/261 تعليق رقم 5 (1) والبيت تابع للتعليق بصفحة 262 .

معاهد التنصيص III /244 (1—4) .

نهاية الأرب IV /56 (1—4) .

اختلاف الروايات :

1) الأغاني وسمط اللآلئ ونهاية الأرب : إذا حَسَا ؛ وتنبيه البكري : من الكأس .

2) معاهد التنصيص : إذا ليم .

4) معاهد التنصيص ونهاية الأرب : يحب اللئام .

— 22 —

(الرّمل)

1: رُبَّ نَدْمَانٍ كَرِيمٍ مَاجِدٍ سَيِّدِ الجَدَّيْنِ من فَرْعَيْ مُضَرْ
2: قد سَقَيتُ الكَأسَ حتى هَرَّهَا لم يُخَالِطْ صَفْوَهَا مِنْهُ كَدَرْ
3: قُلتُ قُمْ صَلِّ فَصَلَّى قَاعِدًا تَتَغَشَّاهُ سَمَادِيرُ السُّكَرْ
4: قَرَنَ الظهْرَ مَعَ العَصْرِ كَمَا تُقْرَنُ الحِقَّةُ بِالحِقِّ الذَّكَرْ
5: تَرَكَ الفَجْرَ فَمَا يَقْرَؤُهَا وَقَرَا الكَوْثَرَ مِنْ بَيْنِ السُّوَرْ

التخريج :

الأغاني X /88 (1—5) .

اختلاف الرّوايات :

2) في طبعة الأغاني التي اعتمدنا « حتى هرما » وفي الجزء XI صفحة 268 التعليق رقم 7 من الطبعة المصوّرة عن طبعة دار الكتب « هَرَّهَا : كرهها ووردت هذه الكلمة في الأصول محرّفة ففي بعضها هرما وفي بعضها مرها » فأصلحنا عن الصّفحة الأخيرة وإن كان يمكن قبول « هرما » بمعنى شاخ أو شيخ .

قافية السين

— 23 —

(الوافر)

1: يُسَائِلُنِي هُشَيْمٌ عَنْ صَلاَتِي
صَلاَةِ المُسْلِمِينَ فَقُلْتُ : خَمْسُ
2: صَلاَةُ العَصْرِ والأُولَى ثَمَانٍ
مُوَاتَرَةً فَمَا فِيهِنَّ لُبْسُ

3: وَعِنْدَ مَغِيبِ قَرْنِ الشَّمْسِ وِتْرٌ
وَشَفْعٌ بَعْدَهَا فِيهِنَّ حَبْسُ

4: وَغُدْوَةَ إثْنَتَان مَعًا جَمِيعًا
وَلَمَّا تَبْدُ لِلرَّائِينَ شَمْسُ

5: وَبَعْدَهُمَا لِوَقْتِهِمَا صَلاَةٌ
لِنُسْكٍ بِالضَّحَاءِ إذَا تَبُسُّ

6: أأحْصَيْتَ الصَّلاَةَ أبَا هِشَامٍ
فداك مكدّر الأخلاق حبسُ

7: تَعَوَّدَ أن يُلاَمَ فَلَيْسَ يَوْمًا
بِحَامِدِهِ إلَى الأقْوَامِ إنْسُ

التخريج :

الأغاني X /87 (1 — 7) .

اختلاف الرّوايات :

1) في الجزء XI /76ﻫ من الطبعة المصوّرة عن طبعة دار الكتب هشام . وفي التعليق رقم 3 بنفس الجزء والصفحة ، في كلّ الأصول هنا هشيم وقد حافظنا على رواية الأصول .

التعليق :

انظر التعليق على القطعة رقم 37 و تَبُس « لعلّها من بَسَسْتُ المال فانْبَسّ أي أرْسَلته فتفرّق ويمكن أن يكون الشاعر يشير إلى الآية 10 من سورة الجمعة : فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض .... » .

— 24 —

(الطويل)

1 : فَلَيْتَ زيادا لا يَزَلْنَ بَناتُهُ يَمُتْنَ وَألقى كلَّ ما عشتُ عابِسًا
2 : فذلك يومٌ غابَ عَنِّيَ نَحْسُهُ وأنجحتُ فيه بَعْدَ ما كنتُ ا يِسًا

التخريج :

الأغاني X /82 .

التعليق :

قيل عاد الأقيشر مِنْ دَفْنِ ابنة رجل يُدْعَى زيادا العصفري فلقيه عابس مولى عائذ الله وذهب به إلى منزله فغدّاه وَسَقَاه فقال الأقيشر البيتين .

— 25 —

(الخفيف)

1 : يَا خَلِيلَيَّ اسْقِيَانِيَ كَاسًا ثم كَأسًا حتّى أخِرَّ نُعَاسًا
2 : إنَّ في الغرْفة التي فَوْقَ رَأسِي لأنَاسًا يُخَادِعُونَ أنَاسًا
3 : يشربون المُعَتَّقَ الرَّاحَ صِرْفًا ثُمَّ لاَ يَرْفَعُونَ للزَّوْرِ رَاسًا

التخريج :

الأغاني : X /88 (1—3) .

نهاية الأرب IV /54 (1) و55 (2—3) .

اختلاف الروايات :

3) الأغاني : بالزور .

التعليق :

كان الأقيشر ينادم جَمَاعة حَتَّى نفد ماله فملّوه وطلبوا يوما من صاحب الحانة أن يصعدهم إلى غرفة حتّى لا يراهم . فشرب الأقيشر بِرَهْنٍ ثيابه ثم قال الأبيات ففدّاه أصحابه وصعد إليهم .

قـافية الشين

— 26 —

(المتقارب)

1 : يُرِيدُ النِّسَاءَ وَيَأبَى الرِّجَالْ فَمَالِي وَمَا لأَبِي عَائِشَهْ

2 : أدَامَ لَهُ اللّهُ كَدَّ الرِّجَالْ وَأَثْكَلَهُ ابْنَته عَائِشَهْ

التخريج :

الأغاني : X /83 (1—2) .

التعليق :

كان الأقيشر جار طحّان يكنى أبا عائشه كان يُنْسِيء الناس فسأله الأقيشر فلم يُعْطِهِ فهجاه فأعطاه ما أراد واستعفاه من أن يزيد شيئا .

قـافية الضـاد

— 27 —

(الخفيف)

1 : قَرَّبَ اللّهُ بِالسَّلاَمِ وَحَيَّا زَكَرِيَّا بْنَ طَلْحَةَ الفَيَّاضِ

2 : مَعْدِنَ الضَّيفِ إن أناخوا إليهِ بَعْدَ أيْنِ الطَّلاَئِحِ الأنْقَاضِ

3: ساهماتُ العيونِ خوصٌ رَذايَا قد بَرَاهَا الكَلاَلَ بَعْدَ إيَاضِ
4: زَادَهُ خَالِدُ ابنُ عَمِّ أبيهِ مَنْصِبًا كان في العُلا ذا انْتِقاضِ
5: فَرْعُ تَيْمٍ من تيم مُرَّةَ حَقًّا قد قضَى ذاك لإبْنِ طَلْحَةَ قاض

التخريج :

الأغاني : X /82 (1–5) .

ختلاف الروايات :

2) في طبعة الأغاني التي اعتمدنا : بعد ابْن الطّلائع » . وأصلحنا باعتماد الطبعة المصوّرة عن طبعة دار الكتب XI /255 .

التعليق :

قيل : هذه الأبيات قالها الأقيشر في زكريّا بن طلحة بن عبيد الله التيمي القرشي وطلحة هو المعروف بطلحة الجود وطلحة الخير وطلحة الفياض ولم أصل بعد إلى تبيّن مكانة زكريا بن طلحة وانظر التعليق رقم 37 من الدراسة والمقطوعة رقم 48 من المجموعة الشعرية .

قافية العين

— 28 —

(البسيط)

1: إني أتاني مَقالٌ كُنتُ آمنَهُ فجاءَ من فاحِشٍ في الناس مَخلوعِ
2: عبدُ العزيزِ أبو الضَحاك كُنْيَتُهُ فيه من اللّؤْمِ وهيَ غَيْرُ مَمْنوعِ
3: ولَمْ تَبِتْ أمُّهُ إلاَّ مُطَاحِنَةً وأن تُوَاجِرَ في سُوقِ المَرَاضيعِ
4: ينسابُ ماءُ البرَايا في استها سربا كأنَّما انْسَابَ في بَعْضِ البَلاَليعِ
5: من ثَمَّ جاءتْ به وَالبظرُ حنّكه كأنّه في استِها تمثال يُسْرُوعِ

التّخريج :

الأغاني X /81 (1—3) و82 (4—5) .

التعليق :

انظر التعليق على المقطوعة رقم 44 .

— 29 —

(الطويل)

1: سَرِيعٌ إلى ابْنِ العَمّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ
وَلَيْسَ إلَى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعِ

2: حَرِيصٌ عَلَى الدُّنْيَا مُضِيعٌ لِدِينِهِ
وَلَيْسَ لِمَا فِي بَيْتِهِ بِمُضِيعِ

التخريج :

معاهد التنصيص III /242 (1—2) .

خزانة الأدب IV /373 (1—2) .

التعليق :

للأقيشر ابن عمّ موسر كان يسأله فيعطيه فسأله مرّة فمنعه فشكاه إلى قومه فلطمه فقال فيه البيتين .

قافية القاف

— 30 —

(الطويل)

1: عَدِمْتَ أبَا الدَّيَّالِ مِن ذِي نَوَالَةٍ
لَهُ فِي بُيُوتِ العَاهِرَاتِ طَرِيقُ

2: أبِالخَمْرِ عَيَّرْتَ امْرَءًا لَيْسَ مُقْلِعًا
وَذَلِكَ رَأْيٌ لَوْ عَلِمْتَ وَثِيقُ
3: سَأَشْرَبُهَا مَا دُمْتُ حَيًّا فَإِنْ أمُتْ
فَفِي النَّفْسِ مِنْهَا زَفْرَةٌ وَشَهِيقُ

التخريج :

الأغاني X /89 (1 – 3) .

اختلاف الروايات :

3) فإن مِتَّ : وأصلحنا باعتماد الطبعة المصوّرة عن طبعة دار الكتب XI /273 .

التعليق :

انظر التعليق على المقطوعة رقم 19 .

— 31 —

(الوافر)

1: إذا صَلَّيْتُ خمسًا كلَّ يوْمٍ فَإنَّ اللّهَ يَغْفِرُ لي فُسُوقِي
2: ولَم أشْرِكْ بِرَبِّ النَّاسِ شَيْئًا فَقَدْ أمْسَكْتُ بالحَبْلِ الوَثِيقِ
3: وَهذا الحَقُّ لَيسَ بِهِ خَفَاءٌ فَدَعْنِي مِنْ بُنَيَّاتِ الطَّرِيقِ

التخريج :

الأغاني X /86 (1–3) .

معاهد التنصيص III /246 (1–3) .

اختلاف الروايات :

3) الأغاني : وَدَعْنِي .

التعليق :

لهذه الأبيات قيمة كبيرة في مَعرفة مذهب الأقيشر السياسي . قيل : حكمه قوم بالكوفة اختصموا في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي فقال هذه الأبيات وانظر التعليق رقم 59 من الدّراسة ، وبنيات الطريق هي الفروع المتشعّبة عنه ويمكن أن يكون الشاعر قد قصد الأحاديث التي لا قيمة لها .

— 32 —

(الطويل)

1: إنِّي يُذَكِّرُنِي هِنْداً وَجَارَاتِهَا
بالطَّفِّ صَوْتُ حَمَامَاتٍ عَلَى نِيق

2: أفْنَى تِلادِي وَمَا جَمَّعْتُ مِنْ نَشَبٍ
قَرْعُ القَوَاقِيزِ أفْوَاهَ الأبَارِيق

3: كَأنَّهُنَّ وَأيْدِي الشَّرْب مُعْمَلَةٌ
إذَا تَلألأنَ فِي أيْدِي الْغَرَانِيق

4: بَنَاتُ مَاءٍ مَعًا بِيضٌ جَاجِئُهَا
حُمْرٌ مَنَاقِرُهَا صُفْرُ الْحَمَالِيق

5: هِيَ اللَّذَاذَةُ مَا لَمْ تَأت مَنْقَصَةً
أوْ تَرْم فِيهَا بِسَهْمٍ سَاقِط الفُوق

6: عَلَيْكَ كُلَّ فَتًى سَمْحٍ خَلائِقُهُ
مَحْضِ العُرُوق كَرِيمٍ غَيْرِ مَمْذُوقِ

7: وَلاَ تُصَاحِبْ لَئِيمًا فِيهِ مَقْرَفَةٌ
وَلاَ تَزُورَنَّ أَصْحَابَ الدَّوَانِيقِ

8: لاَ تَشْرَبَنْ أَبَدًا رَاحًا مُسَرَّدَةً
إِلاَّ مَعَ الغُرِّ أَبْنَاءِ البَطَارِيقِ

التخريج :

الشعر والشعراء 465 (2، 3، 4، 5) .

الأغاني : X /91 (8، 2 ثم 1 مع الإشارة إلى أنّ 1 هو المطلع) .

المؤتلف : 56 (2) .

غفران المعرّى 147 (2)

معجم البلدان : الطفّ III /539 (1، 4، 3، 2) .

الحماسة البصريّة : II /75 (8، 2، 3، 6) .

اللسان : مادّة قفز (2، 3، 4) .

مغنى اللبيب : II /536 (2) .

خزانة الأدب IV /375 (8، 2، 6) و376 (7) .

اختلاف الروايات :

3) الشعر والشعراء : وأيدي القوم ، الحماسة البصريّة : بِأَيْدِي ومعجم البلدان :

أيدي السقاة بهنّ الدَّهْرَ مُعْمَلَةٌ كأنّما لونها رجع المخاريق

4) الشعر والشعراء : بيض جناجنها ، واللسان : ماءٍ تُرَى بيض .

8) الأغاني : لا أشْرَبَنْ . وفي XI /276 التعليق 3 من الأغاني المصوّرة عن طبعة دار الكتب إثارة إلى وجود الأبيات 6، 7، 8، بالشواهد الكبرى للعيني مع : لا تَشْرَبَنْ « وهي أحسن (ولم نطّلع على هذا الكتاب) وفي

التعليق رقم 4 بنفس الصفحة والجزء » أنّ في حاشية الأمير على مغني اللبيب في الباب الخامس : مُسَرَّدَةً « وفسّر المسرّدة بالمتوالية » وهذه الرّواية في نظرنا أصوب فأثبتناهَا رغم أنّ المصادر المذكورة فيها « مسارقة » .

— 33 —

(الوافر)

1 : جرَيتُ معَ الصّبا طلْقَ العَتيقِ — وَهَانَ عليَّ مَأثُورُ الفُسُوقِ
2 : وَجدْتُ ألذَّعَارِيَةِ اللّيَالِي — قِرَانَ النَّغْمِ بِالوَتَرِ الخَفُوقِ
3 : وَمُسْمِعَةً إذا ما شِئتُ غَنَّتْ — « متى نزَلَ الأحِبَّةُ بِالعَقِيقِ »

التخريج :

الوساطة : 197 (1—3) و198 (4) .

التعليق :

ذكر الجرجاني الأبيات ثم أضاف (صفحة 198) « وأنا أرْتَابُ بِأبْيَاتِ الأقيشر فَإنَّهَا لاَ تُشْبِهُ شِعْرَهُ ...... » وريبة الجرجاني هذه غريبة إذ أنّ الأبيات لَشبيهة بشعر الأقيشر أو مَا نُسِبَ إليه . ويبدو أن العجز الأخير مضّمن ولم نتوصّل إلى معرفة صاحبه

قافية الكاف

— 34 —

(الكامل)

1 : وَفَدَ الوُفودُ فكنتَ أوَّلَ وَافدٍ — يا فاتِكُ بْنُ فُضَالَةَ بْنِ شُرَيْك

التخريج :

الأغاني : X /89 ثم 163 .

التعليق :

فاتك بن فضالة : أسدي وفد على عبد الملك بن مروان قبل أن ينهض إلى حرب إبن الزّبير فضمن له على أهل العراق طاعتهم وتسليم بلادهم إليه وأن يُسَلِّمُوا مصعبا إذا لقيه ويتفرقوا عنه .

قافية اللام

— 35 —

(الطويل)

1: أَلَمْ تَرَ قَيْسَ الأَكْمَهَ بْنَ مُحَمَّد
يَقُولُ وَلاَ تَلْقَاهُ لِلْخَيْرِ يَفْعَلُ

2: رَأَيْتُكَ أَعْمَى الْعَيْنِ وَالقَلْبِ ممسكًا
وَمَا خَيْرُ أَعْمَى القَلْبِ وَالعَيْنِ يَبْخَلُ

2: فَلَوْ صُمَّ تَمَّتْ لَعْنَةُ اللَّهِ كُلُّهَا
عَلَيْهِ وَمَا فِيهِ مِنَ الشَّرِّ أَفْضَلُ

التخريج :

الأغاني X /86 (1—3) .

معاهد التنصيص III /246 (1—3)

خزانة الأدب IV /374 (1—3) .

التعليق :

قالها الأقيشر في رجل يدعى : قيس بن محمّد بن الأشعث وكان ضرير البصر . أعطى الأقيشر ثلاث مرّات متوالية ثلاثمائة درهم وقال له في الرّابعة : لا َ أبـًا لك كأنّك قد جعلت هذا خراجـًا علينا » فهجاه .

— 36 —

(الوافر)

1: ألا َ أبْلِـغ لَـدَيْـكَ أبـَا هِشَـامٍ
فَإنَّ الرِّيـحَ أبْرَدُهَـا الشَّمَـالُ

2: عِدَاتُكَ في الهِلاَلِ عِدَاتُ صِدْقٍ
فَهَلْ سَمِنَـتْ كَمَـا سَمِـنَ الْهِلاَلُ

التخريج :

نهاية الأرب IV /55 (1—2) .

التعليق :

أبو هشام رجل من تميم كان يجري على الأقيشر في كلّ شَهْرٍ عشرة دراهم فجاءه الأقيشر مرّة فَوَجَدَه قد أصيب في ابنته فردته امر أته مرّة ثم مرّة فكتب إليه رقعة فيها البيتان فلمّا قرأها قال : « لقد سمنت وما بقي إلاّ الهزال إن تأخَّرْت » وأمر له بها وزاد عليها .

— 37 —

(الطويل)

1: يَقُولُونَ لِـي انْكَهْ قَدْ شَرِبْتَ مُدَامَةً
فَقُلْتُ لَهُمْ : لاَ بَلْ أكَلْتُ سَفَرْجلاَ

التخريج :

الشعر والشعراء : 465 (1)

الأغاني : X /87 (1) .

اللسان : مادّة نكه (1) .

اختلاف الروايات :

الشعر والشعراء : لي إنكَهْ ؛ الأغاني : لِـي إنِّـي شربت ..... فقلت كذبتم بل ....

التعليق :

قيل : اجتاز الأقيشر وهو سكران بِرَجُلٍ يقال له هشيم كان على شرطه عمرو بن حريث أمير الكوفة المتوفّي سنة 704/85 وقال له : « أنت سكران فأنْكر فسأله عن رائحته فأجابه بالبيت المذكور فضحك وسأله عن صلاته فأجابه بالمقطوعة رقم 23 من مجموعتنا .

— 38 —

(الكامل)

1 : أبْلِـغْ أبَا مَرْوَانَ أنّ عَطَاءَهُ أزَاغَ بِهِ مَنْ لَيْسَ لي بِعِيال

التخريج :

الأغاني X /88 (1) .

التعليق :

قيل : مدح الأقيشر بشر بن مروان فأعطاه مالا فأخذه منه عمُّه لينهَاهُ عن الشراب فشكاه الأقيشر إلى بشر فأمر صاحب شرطته فأرجع إليه ماله وانظر التعليق 18 و33 من الدراسة .

— 39 —

(الطويل)

1 : تَمِيمُ بْنُ مُرّ كَفْكِفُوا عَنْ تَعَمُّدِي
بِذُلّ فَإِنِّي لَسْتُ بِالْمُتَذَلِّلِ

2 : أيَهْزَأُ بِي العَبْدُ الهُجَيْمِيُّ ضَلَّةً
وَمِثْلِي رَمَى ذَا النَّاذِرِ الْمُتَضَلِّلِ

3 : بِدَاهِيَةٍ دَهْيَاءَ لاَ يَسْتَطِيعُهَا
شَمَارِيخُ مِنْ أرْكَانِ سَلْمَى وَيَذْبُلِ

4 : وَبِاللَّهِ لَوْلاَ أنَّ حِلْمِيَ زَاجِرِي
تَرَكْتُ تَمِيمًا ضُحْكَةً كُلَّ مَحْفَلِ

5 : فَكُفُّوا رَمَاكُمْ ذُو الجَلاَلِ بِخَزْيَةٍ
تُصَبِّحُكُمْ فِي كُلِّ جَمْعٍ وَمَنْزِلِ

6 : فَأنْتُمْ لِئَامُ النَّاسِ لاَ تُنْكِرُونَهُ
وَألأمُكُمْ طُرًّا حُرَيْثُ بْنُ جَنْدَلِ

التخريج :

الأغاني X /83 (1) .

التعليق :

حريث بن جندل رجل من بني الهجيم بن عمرو بن تميم قال في الأقيشر قطعة يسخر فيها منه ويكنّيه بأبي معرض ومنها :

وأنت بحمد الله إنْ شئتَ مُفلتِي بِحزْمِكَ فاحْزَمْ يا أقيشرُ واعْجلِ

فقال فيه الأقيشر مقطوعته هذه فصار إليه شيوخ من بني الهجيم واستكفّوه فكفّ .

— 40 —

(الطويل)

01: خَرَجْتُ مِنَ الْمِصْرِ الْحَوَارِيِّ أَهْلُهُ
بِلاَ نُدْبَةٍ فِيهَا احْتِسَابٌ وَلاَ جُعْلِ

02: إِلَى جَيْشِ أَهْلِ الشَّامِ أُغْزِيتُ كَارِهًا
سَفَاهًا بِلاَ سَيْفٍ حَدِيدٍ وَلاَ نَبْلِ

03: وَلَكِنْ بِتُرْسٍ لَيْسَ فِيهَا حِمَالَةٌ
وَرُمْحٍ ضَعِيفِ الزُّجِّ مُنْصَدِعِ النَّصْلِ

04: حَبَانِي بِهَا ظُلْمُ الْقُبَاعِ وَلَمْ أَجِدْ
سِوَى أَمْرِهِ وَالسَّيْرِ شَيْئًا مِنَ الْفِعْلِ

05: فَأَزْمَعْتُ أَمْرِي ثُمَّ أَصْبَحْتُ غَازِيًا
وَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْغُزَاةِ عَلَى أَهْلِي

06: وقلتُ لَعَلِّي أَنْ أَرَى ثَمَّ رَاكِبًا
عَلَى فَرَسٍ أَوْ ذَا مَتَاعٍ عَلَى بَغْلِ

07: جَوَادِي حِمَارٌ كَانَ حِينًا لِظَهْرِهِ
إِكَافٌ وَإِشْنَاقُ الْمَزَادَةِ وَالحَبْلِ

08: وَقَدْ خَانَ عَيْنَيْهِ بَيَاضٌ وَخَانَهُ
قَوَائِمُ سُوءٍ حِينَ يُزْجَرُ فِي الْوَحْلِ

09: إِذَا مَا انْتَحَى فِي الْمَاءِ وَالوَحْلِ لم تَرِمْ
قَوَائِمه حَتَّى يُؤَخَّرَ بِالْحَمْلِ

10: أُنَادِي الرِّفَاقَ : بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمُ
رُوَيْدَكُمُ حَتَّى أَجُوزَ إِلَى السَّهْلِ

11 : فَسِرْنَا إلَى قِنِّينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً
كَأَنَّا بَغَايَا مَا يَسِرْنَ إلَى بَعْلِ

12 : إذَا مَا نَزَلْنَا لَمْ نَجِدْ ظِلَّ سَاحَةٍ
سِوَى يَابِسِ الأنْهَارِ أوْ سَعَفِ النَّخْلِ

13 : مَرَرْنَا عَلَى سُوْرَاءَ نَسْمَعُ جِسْرَهَا
يَئِطُّ نَقِيضًا عَنْ سَفَائِنِهِ الْفُضْلِ

14 : فلمّا بَدَا جِسْرُ السَّرَاةِ وَأعْرَضَتْ
لَنَا سُوقُ فُرَّاغِ الحَدِيثِ إلَى شُغْلِ

15 : نَزَلْنَا إلَى ظِلٍّ ظَلِيلٍ وَبَاءَةٍ
حَلاَلٍ بِرَغْمِ الْقَلْطَمَانِ وَمَا نَفْلِ

16 : بِشَارِطَةٍ مَنْ شَاءَ كَانَ بِدِرْهَمٍ
عَرُوسًا بِمَا بَيْنَ السَّبِيئَةِ وَالنَّسْلِ

17 : فَأتْبَعْتُ رُمْحَ السُّوءَ سُمْيَةَ نَصْلِهِ
وَبِعْتُ حِمَارِي وَاسْتَرَحْتُ مِنَ الثِّقْلِ

18 : تَقُولُ : ظَبَايَا : قُلْ قَلِيلاً ألاَلِيَا
فَقُلْتُ لَهَا اصْوِي فَإنِّي عَلَى رِسْلِ

19 : مَهَرْتُ لَهَا جِرْدِيقَةً فَتَرَكْتُهَا
بِمَرْهَا كَطَرْفِ الْعَيْنِ شَائِلَةَ الرِّجْلِ

التخريج :

الأغاني X /90 (1—12) و91 (13—19) .

التعليق :

أنظر في ظروف القصيدة التعليق رقم 35 و36 .

بصورة استثنائية جمعنا بالنّسبة لهذه القصيدة بين اختلاف الروايات والتعليق وقارنا بين رواية الطّبعة التي ذكرنا في قائمة المراجع وبين الطبعة المصوّرة عن دار الكتب ونرمز إليه هنا فحسب بالمصوّرة والقصيدة فيها على النحو التالي : XI /274 (1—3) و275 (4—17) و276 (18—19) . وطبعة الثقافة بيروت 1957 والقصيدة فيها على النحو التالي : XI /257 (1—2) و258 (3—19) ورمزنا إليه بـ : ثقافة .

1: الحواري : الصّديق وهذا المصر هو الكوفة .

7) الإكاف : شبه الرّحال والأقتاب (والهمزة مقلوبة عن واو) ؛ والإشناق جذب خطام الدابة حتى ترفع رأسها والبيت غير واضح كما لوحظ ذلك في المصوّرة » .

11: قنين : الواضح أنها اسم قرية وليست في معجم البلدان وقال محقق المصوّرة لم نهتد إلى هذه القرية في مظانّها .

13: سُوراء : موضع يقال هو إلى جنب بغداد وقيل هو بغداد نفسها (معجم البلدان III /184) .

الأطيط والنقيض من الأصوات وقيل النقيض الصوت مثل صوت المحامل والرّحال إذا ثقل عليها الركبان ، و« الفضل » لوحظ في المصوّرة أنها « كذا في الأصول » ولعلّها في الأصل فُضُلٌ فسكّنت الضاد والفُضُلُ المرأة التي تتفضّل أي تلبس في بيتها ثوبا واحدا . ويكون الشاعر قد شبّه بها السفينة ؟

15) القلطمان : في المصوّرة XI /275 التعليق 6 : كذا في الأصول وأحسب أنّها محرّفة عن القلطبان وهو الديوث الذي لا غيرة له على أهله مثل القرطبان » وهو رأي وجيه ؛ وما نفل : في المصوّرة نفس الجزء والصفحة والتعليق 7 . كذا في الأصول ولعلّ صوابه : وما نغلي أي نبلغ ما نريد من الباعة وغيرها

دون أن نعطي ثمنا غاليا وبجوزان يكون وما يغلي أي لا يطلب القلطبان ثمنا غاليا » ويمكن أن نكون النفل بالتحريك وسكّنت للوزن ومعناه الغنيمة والهبة .

16: الثقافة والمصوّرة : يُشَارطه .

18: في المصوّرة XI /276 التعليق 1 : كذا ورد هذا البيت في الأصول وأحسب أن بعض كلماته نبطيّ أورده الشاعر حكاية لما كان بينه وبين من ظفر بها من بنات النبط من حوار » .

19: في المصوّرة XI /276 التعليق 2 : كذا ورد هذا البيت في الأصول « ويمكن أن تكون » مرها « مكانًا والجرديقة » قطعة من مال .. ؟ وعلى كلّ فالملاحظ أن بعض أبيات هذه القطعة غامضة .

قافية الميم

— 41 —

(الوافر)

1: ألاَ يا دَوْمُ دَامَ لَكِ النَّعِيمُ وَأسْمَرُ مِلْءُ كَفِّكِ مُسْتَقِيمُ
2: شَدِيدُ الأسْرِ يَنْبِضُ حَالِباهُ يُحَمُّ كَأنَّهُ رَجُلٌ سَقِيمُ
3: يُرَوِّيهِ الشَّرَابُ فَيَزْدَهِيهِ وَيَنْفُخُ فِيهِ شَيْطَانٌ رَجِيمُ

التخريج :

الأغاني : X /89 (1 — 3) .

التعليق :

دوْمُ مرخّم دومة وهي خمّارة بالحيرة جوّدت للأقيشر الشراب فقال فيها الأبيات فقالت : « ماقيل فيَّ أحْسَنُ من هذا ولا أسَرُّ لي منه » .

— 42 —

(المتقارب)

1: كفاني المَجوسِيُّ مَهْرَ الرَّبابْ فِدًى لِلْمَجوسِيِّ خَالٌ وَعَمْ
2: شهدْتُ بأنكَ رَطْبُ المُشاشْ وَأنَّكَ بَحْرٌ جَوَادٌ خِضَمْ
3: وَأنَّكَ سَيِّدُ أهْلِ الجَحِيمِ إذَا مَا تَرَدَّيْتَ فِي مَنْ ظَلَمْ
4: تُجَاوِرُ هامَانَ فِي قَعْرِهَا وَفِرْعَوْنَ وَالمُكْتَنِي بِالحَكَمْ

التخريج :

الحيوان V /159 (2، 3، 4، 1) [قال ابن عبدل أو غيره والتعليق رقم 2 غيره هو الأقيشر] .

عيون الأخبار II /196 (2—3) (... قول أعرابيّ) .

الأغاني : X /86 (1—3) و84 (4) .

نهاية الأرب IV /53 (1—4) .

معاهد التنصيص III /249 (1—4) .

خزانة الأدب IV /375 (1—4) .

اختلاف الروايات :

1) نهاية الأرب : همّ الرّباب ؛ نهاية الأرَب وخزانة الأدَب : فدا ؛ معاهد التنصيص : فداء المحوسي ؛ الحيوان والأغاني وخزانة الأدب : خالي .

2) الحيوان وعيون الأخبار : شهدت عليك بطيب المشاش ؛ ومعاهد التنصيص وخزانة الأدب : بطيب الأروم ؛ نهاية الأرب بأنك رطب اللسان ؛ الأغاني : وأن أبَاك الجواد الخضم وخزانة الأدب : فإنّك أنت الجواد الخضم

4) الحيوان : نظير لهامان ؛ الأغاني : تجاور قارون .

التعليق :

قال الأقيشر هذه الأبيات في رجل يقال له ابن رأس البغل وهو دهقان الصين (؟) وكان مجوسيًا . سأله الأقيشر مهر ابنة عمّ له تدعى الرّباب تزوّجها على أربعة أو عشرة ألاف درهم فأعطاه الصّداق بعد أن طلبه من أهله فمنعوه ؛ وهامان وزير فرعون والمُكتني بالحكم هو أبو جهل عمرو بن هشام وكان من سادات قريش في الجاهلية ومن أشدّ الناس عداوة للرسول في صدر الإسلام .

— 43 —

(المتقارب)

1: سَألتُ رَبِيعَةَ مَنْ شَرُّهَا أبًا ثُمَّ أمًّا فَقَالُوا لِمَهْ

2: فَقُلْتُ لأعْلَمَ مَنْ شَرُّكمْ وَأجْعَلَ بِالسَبِّ فِيهِ السِّمَهْ

3: فقالوا لعِكْرِمَةَ المُخْزِيَاتُ وَمَاذا يَرَى النَّاسُ فِي عِكْرِمَهْ

4: فَإنْ يَكُ عَبْدًا زَكَا مَالُهُ فَمَا غَيْرُ ذا فِيهِ مِنْ مَكْرُمَهْ

التخريج :

الأغاني : X /87 (1—4) .

نهاية الأرب IV /54 (1—4) .

معاهد التنصيص III /249 (1—4) .

اختلاف الروايات :

2) نهاية الأرب ومعاهد التنصيص : لِلسَّبّ .

التعليق :

عكرمة (البَيْتُ الثالث) هو عكرمة بن ربعي التميمي سأله الأقيشر مَالاً فَلَمْ يُعْطِهِ فقال فيه هذه الأبيات .

قـافية النـون

— 44 —

(الوافر)

1: فَلاَ أَسَداً أَسُبُّ وَلاَ تَمِيماً وَكَيْفَ يَحِلُّ سَبُّ الأَكْرَمِينَا
2: وَلَكِنَّ التَّقَارُضَ حَلَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَا ابْنَ مُضْرِطَةِ العجينَا

التخريج :

الشعر والشعراء : 465 (1—2) .

الأغاني X /81 (1—2) .

اختلاف الروايات :

1) الشعر والشعراء : لاَ أَسَداً .

2) الأغاني : ولكنّ التميمي حَالَ .

1*2) الأغاني : الأكرمين ، العجين .

التعليق :

قيل قالهما الأقيشر في رجل من تميم يكنى أبا الضحّاك صادف الأقيشر عند أبي مضاء المكاري وقال فيه :

عجبت لشاعر من حي سوء ضئيل الجسم مبطانٍ هجين

— 45 —

(الخفيف)

1: غَلَبَ الصَّبْرُ فاعترَتْني هُمومٌ لِفِرَاقِ الثِّقاتِ مِنْ إخْوَانِي
2: مَاتَ هذَا وَغَابَ هَذَا وَهَذَا دَائِبٌ فِي تِلاَوَةِ القُرْآنِ
3: وَلقد كانَ قَبْلَ إظْهارِهِ النُّسْـكَ قَدِيماً من أَظْرَفِ الفِتْيَانِ

التخريج :

الأغاني X /84 .

التعليق :

قيل أشخص الحجّاج بعض ندماء الأقيشر إلى بعض النواحي ومات بعضهم ونسك بعضهم وهرب بعضهم فقال الأقيشر هذه الأبيات .

— 46 —

(الخفيف)

1: لَمْ يُغَرِّرْ بِذَاتِ خُفٍّ سِوَانَا
بَعْدَ أخْتِ الْعِبَادِ أمِّ حُنَيْنِ

2: وَعَدَتْنَا بِدِرْهَمَيْنِ نَبِيذًا
أوْ طِلاءً مُعَجَّلاً غَيْرَ دَيْنِ

3: ثمّ ألْوَتْ بِالدِّرْهَمَيْنِ جَمِيعًا
يَا لَقَوْمِي لِضَيْعَةِ الدِّرْهَمَيْنِ

4: عَاهَدَتْ زَوْجَهَا وَقَدْ قَالَ إنِّي
سَوْفَ أغْدُو لِحَاجَتِي وَلِدَيْنِي

5: فَدَعَتْ كَالْحِصَانِ أبْيَضَ جَلْدًا
وَافِرَ الأيْرِ مُرْسَلَ الخُصْيَتَيْنِ

6: قَالَ : مَا اجْرُ ذَا هُدِيت فَقَالَتْ
سَوْفَ أعْطِيكَ أجْرَهُ مَرَّتَيْنِ

7: فَابْدَإِ الان بِالسِّفَاحِ فَلَمَّا
سَافَحَتْهُ أرْضَتْهُ بِالأُخْرَيَيْنِ

8: تَلَثَّهَا لِلْجَبِينِ ثُمَّ امْتَطَاهَا
عَالِمَ الأيْرِ أفْحَجَ الْحَالِبَيْنِ

9: بَيْنَمَا ذاكَ مِنْهُمَا وَهْيَ تَحْوِي
ظَهْرَهُ بِالْبَنَانِ وَالْمِعْصَمَيْنِ

10: جَاءَهَا زَوْجُهَا وَقَدْ شَامَ فِيهَا
ذَا انْتِصَابٍ مُوَثَّقَ الأخْدَعَيْنِ

11: فَتَأسَّى وَقَالَ : وَيْلٌ طَوِيلٌ
لِحُنَيْنٍ مِنْ عَارِ أمِّ حُنَيْنِ

التخريج :

الأغاني X /84 (1—3) و85 (4—11) .

معاهد التنصيص III /247 (1—2) و248 (3—11) .

اختلاف الرّوايات :

1) معاهد التنصيص : لا تغرّن ذات .
2) معاهد التنصيص : بدرهمين شواءً وطلاءً .
3) الأغاني : لصعبة الدرهمين .
7) معاهد التنصيص : بالأحْرَتين .
8) الأغاني ومعاهد التنصيص : ذاك منها .
10) معاهد التنصيص : شيم ... ذو انتصاب .
11) معاهد التنصيص : ويلا طويلا .

التعليق :

قيل : جاء الأقيشر خمّارا اسمه حنين كان يأتيه فلم يصادفه فانتظره فجاءت امرأة عباديّة تدعى أمّ حنين فادعت أنها زوج الخمّار واحتالت عليه وأخذت ماله وانتظرها الأقيشر حتى أعلمه بعضهم أنه خُدِعَ فجاء الخمّار وأنشده القصيدة فخشي انتشارها وأغرمه ماله .

— 47 —

(الطويل)

1: وَمَا خَدِرَتْ رِجْلاَيَ إلاَّ ذَكَرْتُكُمْ
فَيَذْهَبُ عَنْ رِجْلَيَّ مَا تَجِدَانِ

التخريج :

سمط اللآلىء II /660 (تابع للتعليق رقم 2 صفحة 659 بقلم المحقّق عبد العزيز الميمني ولم يذكر المصدر ؛ وجاء : عَنْ رِجْلاَيَ فاصلحنا) .

قافية الياء

— 48 —

(الخفيف)

1: سَألَنِي النَّاسُ أيْنَ يَعْمِدُ هَذَا
قُلْتُ آتِي فِي الدَّارِ قَرْماً سَرِيَّا

2: ما قَطَعْتُ البِلاَدَ أسْرِي وَلاَ يَمَّمْتُ
إلاَّ إيَّاكَ يَا زَكَرِيَّا

3: كَمْ عَطَاءٍ وَنَائِلٍ وَجَزِيلٍ
كَانَ لِي مِنْكَ هَنِيَّا مَرِيَّا

التخريج :

الأغاني : X /80 (1–3) و82 (1) .

اختلاف الروايات :

1) صفحة 82 : أين يقصد .

التعليق :

انظر المقطوعة رقم 27 .

***

حساب الجمّل او التاريخ بالحروف

بقلم : محمد اليعلاوي

افتتن معظم شعرائنا المتأخّرين بلون من ألوان البديع لم تذكره متون البلاغة القديمة ، وهو تأريخ الأحداث شعرا. ونعني بالتأريخ الشعري تعويض الأرقام بالحروف ، وجمع تلك الحروف في كلمات تكوّن جملا مفيدة وأشطارا منظومة ، فيكون الرقم المقصود حصيلة المقادير العدديّة الّتي أعطيت للحروف . ونسوق كشاهد أوّل لتوضيح هذا التعريف بيتا نقش على قبر بمقبرة الزلاّج بالعاصمة التونسيّة :

(رمل) أحْرُفٌ أرْبَعَةٌ تأريخهُ الدّالُ والكَافُ وسينٌ ثمّ شِينْ

4 20 300 1000

فالدال تساوي أربعة والكاف عشرين والسين تعادل بثلاثمائة والشين بألف ، ومجموع هذه المقادير يساوي 1324 ، وهي سنة وفاة هذا الفقيد . على أنّ الناظمين لا يكتفون عادة بذكر ألقاب الحروف ، بل يؤلّفون منها كلمات وجملا تندرج في الشطر الأخير من قصيدة طويلة أو من مقطوعة ، فيعرَفُ التّاريخ المطلوب بجمع الأعداد الّتي رُمز إليها بالحروف في الكلمات

التي شاركت في عمليّة التأريخ ، كما في هذا الشاهد على قبر آخر بالزّلاج :

(مخلّع) وَالفَأل يشدوكَ أن يؤَرّخْ «كلثومُ ، مَثْوَاكِ في الجِنَانِ»

فمجموع الكلمة الأولى ، كلثوم ، هو : 20+30+500+6+40 = 596

ومجموع الكلمة الثانية ، مثواك : 40+500+6+1+20 = 567

وتساوي حروف الكلمة الرابعة، في : 80+10 = 90

والخامسة ، الجنان : 1+30+3+50+1+50 = 135

ومجموع حروف الشطر كلّه هو : 1388 وهي سنة وفاة هذه المرحومة . والفرق بين الشاهدين هو أنّ الثاني يفيد معنى يندرج في القصيدة الرثائيّة التي نقشت على القبر ، في حين انّ الأوّل اكتفى بذكر ألقاب أربعة أحرف بالنظر إلى قيَمِها العدديّة .

فليس التاريخ بالشعر أن نكتبَ الأعداد حروفا كما ننطق بها كأن نكتب العدد « 5 » = خمسة ، و« 36 » =ستّة وثلاثين . وليس كذلك أن نلصق الحروف ببعضها بعضا كما تلصق الأرقامُ في التعبير عن العدد فنكتب مثلا عدد « 1388 » = ححجا ، تعويضا لكلّ رقم بالحرف المناسب ، فليس في هذا ولا في ذاك طرافة ولا بديع ولا صنعة . وإنّما هو آختيار كلمات الشطر أو الجملة المنقوشة بكيفيّة تجعل حروفها ، إذا زيدت مقاديرها العدديّة إلى بعضها بعضا ، في عمليّة جمع ، تساوي في مجموعها العدد المطلوب .

هذا النوع من الحساب الذي يعتمد قيمةَ الحروف العدديّة فنّ قديم آنشغل به الفكر البشريّ منذ عهد فيثاغورس اليونانيّ ، واهتمّ به المنجّمون والكهّان والعرّافون خاصّة ، ويحدّثنا ابن خلدون عن محاولات أحْبار اليهود زمن بعثة محمّد عليه السلام ، للتعرّف إلى المدّة التي ستبقى فيها الملّة الإسلاميّة قائمة ، فأخذوا يتأوّلون الحروف المقطّعة التي صُدّرت بها بعضُ السور مثل « يس » و« حم » و« كهيعص » ، فيعوّضونها بمقاديرها العدديّة في حساب الجمّل ،

ويجمعون ويضربون حتّى يخروجوا بمدّة دوام الملّة ، فيقول ابن خلدون مستسخفا هذه الطلاسم : « ولا يقوم دليل على تقدير الملّة بهذا العدد ، لأنّ «دلالة هذه الحروف على تلك الأعداد ليست طبيعيّة ولا عقليّة ، وإنّما هي «بالتواضع والاصطلاح الذي يسمّونه حِسَابَ الجُمّل » (1) . وقد تواصلت هذه الحسابات التكهّنيّة وهذه التأوّلات السحريّة في بطون كتب التنجيم ، وفي نصنيف التمائم والحروز ، إلى أن استقرّت في القرون الأخيرة عند شعراء المناسبات وناظمي الوَفَيَاتِ ، فأخذوا يؤرّخون بها الأحداث السارّة والفواجع فيختمون بها قصائدهم ، أو ينقشونها على المنشآت المعماريّة كالقصور والمساجد والتوابيت والمدارس والجسور وأضرحة ذوي الجاه والسلطان . فصار هذا التأريخ بالحروف المنتظَمَةِ في جمل نثريّة أو منظومة هو المعنيّ بعبارة «حساب الجمَلِ أو الجمّل» بالتخفيف والتشديد أو «الحساب الجمّليّ» بياء النسبة أو « الحساب الأبجديّ » نسبة إلى الحروف الأولى من سلسلة الحروف الهجائيّة العربيّة (2) .

تقييم الحروف بالأعداد عند المشارقة والمغاربة :

غلب على سلسلة حروف الهجاء اسم « الأبجديّة » رغم انّ تسلسلها في المعاجم يخضع إلى ترتيب آخر وهو : ا—ب—ت—ث—ج—ح الخ... ذلك أنّ الحروف الأولى من السلسلة المقدّرة بالأعداد هي « أ—ب—ج—د » ، فكوّنوا منها كلمة اصطلاحيّة رباعيّة — وكان يمكن اقتطاع الثلاثة أحرف

---

(1) مقدمة ابن خلدون — المطبعة المشرفية ص 372 .

(2) في تعريف حساب الجمل ، انظر : منجد الأب معلوف . في كلمتي « أبجد » و« جمل » ، وقد كان هذا القاموس في طبعاته الأولى يذكر بازاء كل حرف مقداره العددي ، أما الطبعات الحديثة ، فهي تهمل الأعداد . وانظر كذلك : دائرة المعارف الاسلامية ، في الطبعة الأولى مقال «تاريخ» لكارا دي فو . وفي الطبعة الجديدة ، مقال «حساب الجمل» لج. س. كولان . G. S. Colin وانظر كذلك : كتاب الأستاذ محمد السويسي : « لغة الرياضيات عند العرب » طبع بالفرنسية بتونس 1968 ص 123 . وانظر أيضاً مجلة الثريا التونسية عدد ديسمبر 1946 ، وقد نقلت مقالا للشيخ جعفرنقدي البصري في الموضوع . وانظر أخيرا : مجلة الإذاعة والتلفزة التونسية عدد غرة أفريل 1971 .

الأولى في كلمة ثلاثيّة – كما صنَعوا من الحروف الأربعة والعشرين الباقية سبع كلمات أخرى ، وهي – بعد أبجد – حطي ، كلمن ، صعفض ،قرست، ثخذ ، ظغش . وقسموها إلى ثلاثة أقسام يتركّب كلّ قسم منها من تسعة أحرف ، فتقدَّرُ التسعة الأولى بالآحاد، من 1 إلى 9 ، والتسعة الثانية بالعشرات من 10 إلى 90 ، والتسعة الثالثة بالمئات من 100 إلى 900 ، وقيّموا الحرف الأخير ، وهو الشين ، بألف : 1000 .

ونتبيّن هذا الترتيبَ من الجدول التالي الذي ننقله من مخطوط لسبط الماردينيّ (3) .

أ 1	ب 2	ج 3	د 4	ه 5	و 6	ز 7	ح 8	ط 9
ي 10	ك 20	ل 30	م 40	ن 50	ص 60	ع 70	ف 80	ض 90
ق 100	ر 200	س 300	ت 400	ث 500	خ 600	ذ 700	ظ 800	غ 900
ش 1000								

وهو ترتيب يسمح بقراءة أفقيّة للحروف كما رأينا في « أبجد ، حطي ، الخ . » ، ويسمح أيضا بقراءة عموديّة تنتقل من الوحدات إلى العشرات إلى المئات فالألف ، على شكل : أيقش ، بكر ،جلس،الخ .. الاّ انّ الترتيب الأبجديّ هو المصطلح عليه في الشرق والمغرب ، وإن كانوا يختلفون في قراءة الكلمات الاصطلاحيّة وفي ترتيب بعض الحروف ، وبالتالي في تقييمها . فأمّا الحروف التي يختلف موقعها بين المشارقة والمغاربة ، فتختلف بذلك قيمتها ، فهي ستّة :

(3) سبط الماردني : (ت.907) دقائق الحقائق في حساب الدرج والدقائق مخطوط بالمكتبة الوطنية .

	عند المشارقة	عند المغاربة
ص	90	60
ض	800	90
س	60	300
ظ	900	800
غ	1000	900
ش	300	1000

وعلى هذا الأساس ، فترتيب سبط المارديني الذي يظهر من الجدول الأوّل ترتيب مغربيّ . أمّا نطق الكلمات الاصطلاحيّة ، فَنَنْقُلُهُ عن دائرة المعارف الاسلاميّة في مادّة « أبجد » (4) ، في المشرق يقولون :

أبْجَدْ هَوَّزْ حُطّيْ كَلَمَنْ سَعْفَصْ قَرَشَتْ ثَخَذْ ضَظَغْ

والمغاربة والأندلسيّون ينطقون :

أبَجِدْ هَوَزٍ حُطِيٍ كَلَمْنٍ صَعْفَضٍ قُرِسَتْ ثَخُذْ ظَغْش

ومن ألاعيبهم أنّ بَعْضَ شعراء غرناطة كان يفتخر بنهر « الشنيل » الذي يشقّ المدينة فيباهي به نيل المشارقة ويفضّله عليه ، بدعوى انّ الشنيل : ش–نيل = 1000 × نيل : ألف نيل ! ويدّعم هذا التفاخرَ الحسابيّ بالشنيل قولُ لسان الدين بن الخطيب في « الإحاطة » :

« ومـا لمصرٍ تفخـرُ بنيلِهـا والألفُ منه في شنيلِهَا ؟ » (4مكرّر)

استخدام الحساب الأبجديّ في تأريخ الأحداث :

يقول الشيخ جعفر النقديّ في المقال الذي نقلته مجلّة الثريّا (5) انّ أوّل

(4) الطبعة الجديدة ج 1 ص 100 .
(4) (مكرر) : الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب . نشر عبد الله عنان ص 124 و341
(5) مجلة الثريا التونسية – عدد ديسمبر 1946 ، والمقال منقول عن مجلة العرفان الشرقية .

من آستَخْدَمَ حساب الحروف للتّأريخ ، مؤرّخ عثمانيّ سجّل فتح القسطنطينيّة سنة 857 بهذه العبارة :

بَلْــدَةُ طَيِّبَــةَ

857=421+436 = (400*2*10*9) + (400*4*30*2)

و« طَيِّبَة » من أسماء المدينة المنوّرة ، وكأنّهم شبّهوا عاصمة الروم ، وقد صارت إسلاميّة ، بمدينة الرسول عليه السلام . وقال بعض شعرائهم مفتخرا بهذا الفتح المبين (6) :

(رمل) رام أمـــرَ الفتـــح قـــوم أوّلـــونْ

حازَهُ بالنّصْرِ قومٌ آ خَـــــرْ و ن

857 = 50 +6 +200 +600 +1

فكان مجموع حروف « آخرون » موافقا في العدد لسنة الفتح 857 هـ .

فان كان هذا هو حقّا أوّل استخدام للحساب الأبجديّ في التاريخ وتسجيل الحوادث ، فلنلاحظ أنّ الطريقة ، إلى هذا الحدّ ، حافظت على صفتها البديعيّة اذ تتطلّب من القارىء أن يتفطّن إلى موافقة الكلمة للتاريخ المقصود ، دون أن ينبّهه الناظم إلى ذلك ، كما يتفطّن القارىء للشّعر إلى الاستعارة اللطيفة والكناية الخفيّة والتشبيه الحسن . أمّا المتأخّرون ، فكأنّهم خافُوا أن تضيع جهودهم سدى فيمرّ القارىء على ألاعيبهم دون أن يتفطّن إليها ، فأخذوا ينبّهونه إلى وجودها بكلمات مخصوصة ، مثل « تأريخه » و« أرّخ » و« أرّخت » تسبق الحساب مباشرة ، كما ينبّهونه بأرقام التاريخ المقصود فيضعونها تحت الحروف المناسبة . وهذا مثال آخر من تأريخ بالحروف لم تُذكر فيه

(6) المثال من كتاب : تحفة الأنام في مختصر تاريخ الاسلام للشيخ عبد الباسط فاخوري بيروت 1320 ص 213 .

الكلمة المنبّهة من مادّة « أرّخ » (7) ، فقد كُتب على حنفيّة للسابلة هذا الدعاء :

(خفيف) ...رَحِمَ اللهُ مَن دَنَا وشَرِبْ

967 = 508 * 55 * 90 * 66 * 248

فكان مجموع أعداد حروفه يُعيّن السنة التي بُنِيَت فيها هذه الحنفيّة . ولا يفوتنا أن ننبّه إلى أنّ التقييم في هذا الشاهد ، تقييم مشرقي ، يجعل الشين في « شرب » تساوي 300 ، لا ألفا كما عند المغاربة .

ولم يقصروا هذا التاريخ الجمّلي على الشّعر ، بل ضمّنوه النثر كذلك ، وخصوصا جماعة الشعراء المنشئين في بلاط المملكة ودواوينها ، وقد كانوا كتّابا شعراءَ وزراءَ ، مثل علي الغراب (توفّي 1183هـ ./1770م) . والورغيّ (بعد 1780/1193) وحمّودة بن عبد العزيز صاحب التاريخ الباشيّ (1202/ 1789) وأحمد سميّة القيرواني ، والطويّر ، والدرناوي وغيرهم . فهذا علي الغراب الصفاقسيّ ينشىء رسالة تتضمّن ، حسب عبارة زميله حمّودة ابن عبد العزيز « تواريخ بديعة نثرا ونظما » (8) ، فقد اكتشف الغراب أن بعض الكلمات من سورة الأحزاب الآية 11 توافق التاريخ الذي هو بصدد تسجيله والمعنى الذي يريده فقال :

« ... وفي ذلك التاريخ زُلْزِلُوا زَلْزَالاً شَدِيداً »

1176 = 1019 76 81

ولا شكّ أنّ الْتِماس الموافقة بين التاريخ المطلوب والمعنى المقصود يُكلّفهم عناء شديدا كما يُكلّف القارىء والباحث جهدا عظيما لفكّ هذه الألغاز التي ما كانت تُفْهَمُ لولا أنّ الناظمينَ أنفسهم يبادرُون كما قُلنا

(7) من مقال الثريا المذكور .
(8) الكتاب الباشي لحمودة بن عبد العزيز – تحقيق الشيخ محمد ماضور ص 120 ، ولم ينشر الا الجزء الأول .

إلى تسجيل التاريخ بالأرقام تحت تاريخ الحروف . وهذا الجهد ، وهذا التعسّف يضطرّهم إلى العديد من الجوازات العروضيّة واللغويّة ، بل يحملهم أحيانا على ارتكاب أخطاء لا مبرّر لها الاّ الخروج من ورطة للوقوع في أخرى . وقد اشتكى المؤرّخون وعلماء الآثارمن هذه الطريقة التي تتطلّب منهم مجهودا ذهنيّا عظيما (9) ، لأنّ هذا الفنّ البديعيّ يكثر خاصّة في كتب التاريخ المتأخّرة ، وعلى المنشآت المعماريّة ، وعلى قبور ذوي الجاه والعلم . فلذلك نسوق معظم شواهدنا ، إمّا من دواوين الشعراء التونسيّين الذين ترجم لهم الكتاب الباشي ، وإمّا من الوفيات والمراثي التي تنقش على رخامة القبور بمقبرة الزّلاج خاصّة .

الاضطرار إلى الجوازات الشّعريّة :

فمن هذا الاضطرار ، وقوعهم في المحظور من الزحافات العروضيّة ، كما في هذا النقش على قبّة بطنجة (10) :

(خفيف) شُيِّدَتْ رِفْعَتِي بغُـرَّةِ عَـام
حَلَّ بَيْتَ السَّعْدِ بَدْرُ جَمَالِـي

1145 المجموع * 84 206 405 412 38

فانّ ميزان العجز لا يستقيم الاّ بإضافة مقطع لـ« السعد » فيصير « السعود »، فتضاف الواو المقدّرة بستّة ، فيتأخر تاريخ بناء القبّة إلى 1151 ، وليس هذا من غرض الناظم ، فلذلك حافظ على صحّة التاريخ ، وضحّي بصحّة الميزان.

ومن الجوازات ، الاختلاف في معاملة حرف التاء : فهي تساوي 400 إذا كانت مفتوحة أو مربوطة في درج الكلام كما في هذا الشاهد الرخاميّ :

(طويل) ... أفي جنّـةِ الفردَوْسِ مَنْزِلُ أحمد ؟

1346 = 54 127 621 453 91

---

(9) انظر ما كتبه ليفي بروفنسال في بحثه عن المؤرخين المغاربة . لا روز 1922 ص 79 .

(10) انظر ج.س. كولان G. S. Colin هسبيريس Hespéris 1934 ص 94 .

أمّا إذا كانت مربوطة في آخر الكلام ، فهي تعامل معاملة الهاء ، هاء الوقف أو السكت ، وتقدّر بخمسة كما في هذا البيت لأحمد سميّة (11) :

(كامل) لمّا أتى عامُ الهنا أرّختُهُ عامٌ تجلّى في سماءِ العافيةْ .

1174 = 197 342 90 434 111

ولكنّهم عند الضرورة ، يقدّرونها هاء = 5 رغم وقوعها في درج الكلام

(كامل) نلتَ الهناء بخير تاريخ ، وفي دارِ المقامة فُزْتَ بالرضوان

1385 = 380 487 217 205 96

وكذلك يختلفون في معاملة الألف المقصورة ، أيعتبرونها ألفا (= 1)أم ياء = 10 ؟ فمن الاعتبار الأوّل ، بيت أحمد سميّة السالف في فعل «تجلّى». ومن الإعتبار الثاني ، ألف « رحمى » في هذا الشطر :

(كامل) ... تلازم رُحْمَى اللهِ قبرَكَ طَاهِرُ

1339 = 215 322 66 258 487

كما يختلفون في معاملة الهمزة الواقعة على الياء ، فهي تارة همزة تُقدّرُ بواحدٍ كما في هذا البيت لأحمد سميّة :

(طويل) إذا حلّ بطنَ الأرض قال مؤرّخا

فدارت على أحيَا الأعادِي الدّوائرُ

1175 = 243 117 20 110 685

وتارة ياء تقدّر بعشرة كما في هذا البيت للشّاعر نفسه (12) :

(كامل) زانت بك الدنيا فقلت مؤرّخا

أمسى عدوُّك يا مُزيّنُ خائبا

1175 * 614 108 11 100 342

(11) الكتاب الباشي ج 1 ص 75 .

(12) البيتان ذكرا في ص 107 من الكتاب الباشي .

وازاء هذا الاستخفاف بمقادير الحروف ، وهذا العبث بالقواعد ان كانت هناك قواعد ، لا نستغرب من الناظمين أن يُسعفوا القارىء بالتاريخ بالأرقام دوما ، وبالجموع الجزئيّة تحت كلّ كلمة أحيانا ، حتّى يطلعوه على معاييرهم وقد صارت تختلف عند الشاعر الواحد ، فضلا عن الشاعرين ، كما يحتاج الجاسوس إلى اكتشاف « المعيار Code أو المفتاح » الـذي تكتب به المكاتيب السريّة .

ومن اصطلاحاتهم القارّة ، اعتبار الحرف المشدّد حرفا واحدا ، فلا يضاعفون عدده :

(كامل) وبحلّ وسلاتٍ أتاك مؤرّخا :

قـــد حُـــلّ وسلاتٌ ببَـدء مُحَـرَّم

1176 = 288 9 737 38 104

فلم يضاعف الشاعر الغراب في هذا الشطر لا اللام من « حلّ » ولا الراء من نقيضها « محرّم » . وقد أكّد المستشرق ج.س. كولان G. S. Colin في مقاله المذكور عن حساب الجمّل بدائرة المعارف الاسلاميّة أنّهم يضاعفون العدد للحرف المشدّد كما قد لا يضاعفون . ولم اقف ، فيما تصفّحته من دواوين ومن ألواح قبور ، على شواهد وقع فيها هذا التضعيف .

ومن الجوازات أيضا حذفُ ألفات الوصل والمدّ كما في هذا البيت للمؤرّخ المغربيّ محمّد الإفرنِـيّ ، وهو يسجّل عامَ تشييد قصر البديع بمرّاكش : 1002 (13)

(كامل) وأتى التمام فقلت من تاريخــه

بيـــتٌ بـــلا عقـــد ولا إشْكَـــالِ

1708 = 1052 37 174 33 412

---

(13) محمد الافرني : نزهة الهادي بأخبار ملوك القرن الحادي . نشر هوداس 1888 ص 111 .

وقد تفطّن ناشر الكتاب « هوداس » إلى الفارق بين التاريخ المزعوم 1002 والتاريخ الذي يفضي إليه الحساب : 1708 ، فنبّه إلى أنّ الشّين في « اشكال » شين مشرقيّة قيمتها 300 ، وانّ الألفات ينبغي طرحها من الحساب . ولو فعلنا ، لصار المجموع 1004 ،لا 1002 ، كما رسم المؤرّخ بنفسه ، وهذا نموذج آخر من خبطهم في هذا الزخرف السخيف . فهم يطرحون الألف والهمزة أو لايطرحونها ، وهم بعد ذلك يستجيزون اللجوء إلى المقادير الشرقيّة في تقييم الحروف كما فعل هذا المغربيّ بالشين في البيت السالف ، وكما فعل هذا التونسيّ بالسين :

(بسيط) قضى مدى العمر سحّا في مكارمه ثمّ استجاب لداعي الحقّ والخير (14)
69

فقد سجّل عمر الفقيد عند وفاته بعبارة « سحّا » : 69 سنة ، ولكنّه لجأ إلى تقدير مشرقيّ للسين : 60. ولنلاحظ عرضا في هذا البيت أنّ ذكر العمر كان يخفى على القارىء لولا تنبيه الناظم له بالأرقام ، فهذا من طرائف هذا الفنّ ، وإن كنّا نتساءل عن تأهّل لوح القبور لحمل مثل هذه الطُّرَفَ ، والمفروض في القُبُورِ أن تبعث القارىء على الاعتبار ومحاسبة النفس .

الجوازات اللغويّة :

ولا يقف التعسّف بالناظمين عند هذا الحدّ فيكْتفُون بالإخلال بالأوزان وبالتأرجح بين الجائز والمحظور ، والتنقّل بين المقادير الشرقيّة والمغربيّة ، بل يضطرّون أحيانا إلى ارتكاب الغلط :

(متقارب) أيا زائرا دونك الفالُ عنها
يُؤَرّخْ : سَعِدْتِ بِدارِ السّلام (15)
1383 = 402 207 774

(14) على قبور بالزلاج .
(15) الكتاب الباشي ص 108 .

فقد اضطرّ الوزنُ ناظمَ هذا البيت إلى جزم فعل « يؤرّخ » ولا وجه لجزمه.

وهذا أحمد سميّة القيروانيّ يثبت ياء الناقص في فعل الأمر ، « وهذا معيب جدّا » حسب عبارة صاحب الكتاب الباشيّ (16) :

(كامل) قل ، والقبول على الإلاه ، مؤرّخا

احمي بحفظٍ ، يا وليُّ ، بني عليّ

1178 = 110 62 46 11 890 59

حتّى الشاذلي خزندار وهو قريب منّا في العصر ، بعيد عن هذه الألاعيب . يضطرّ إلى ترك العاطف في رثاء أبويه (17) :

(كامل) وتلوتُ بالمنظوم قولَ مؤرّخ

قُلْ : ذا ضريحٌ فيه أمّي وَالِدِي

1336 = 51 51 95 308 701 130

قواعد التاريخ الجمّليّ :

من هذه الدراسة الجزئيّة لهذا الفنّ الشعريّ ، يمكن أن نستخلص بعض الأصول القارّة التي تصلح أن تكون قواعد لهذه الطريقة رغم اختلاف أصحابها فيها . وهذه النتائج نسوقها بكامل التحريّ ، ما دمنا لم نطّلع على دواوين المؤرّخين المغاربة الذين نشأ عندهم هذا النوع من التأريخ ، حسب ما أثبته ج . س . كولان في المقال الذي أشرنا إليه ، ولا على دواوين المشارقة الذين اهتمّوا به .

من هذه الأصول ما مرّ ذكره ، كتنبيههم للقرّاء بعبارة مشتقّة من مادّة « أرّخ » ، وبإثبات التاريخ بالأرقام ، وكثرة جريان عبارة « فأل » على

(16) نفس المرجع ص 149 .

(17) ديوان خزندار ج 1 ص 243 .

ألسنتهم ، ولا سيّما في المراثي حين يتمنّون للفقيد جنان الآخرة ، ولعلّ هذه الكلمة « فأل » من بقايا التنجيم والتكهّن الذي اختصّ بالحساب الأبجدي في أوائله .

ونلاحظ كثرة استخدامهم للبحر الكامل ، خاصّة في وفيات القبور : ألسهولة أجزائه التي تقرّبه من الرجز ؟ أم لسهولة التصرّف في ضربه ، بين متفاعلن وفعلاتن ومفعولن ؟

وممّا رسخ عندهم أيضًا اللجوءُ إلى التاريخ الهجريّ لا غير . ولا غرابة في هذا لأنّ هذا اللون من البديع نشأ في أوساط إسلاميّة بعيدة عن التأثيرات الغربيّة ، وهو اليومَ في اندثار لم يبق معروفا مستخدما إلاّ عند الأسر العريقه في الدين والعلوم الإسلاميّة كمشائخ الجامع الأعظم وأهل الإفتاء وكبار المتصوّفين . فهذا مثلا تاريخ وفاةِ الشيخ الفاضل ابن عاشور رحمه الله منقوشًا على ضريحه بالزلاّج :

(مخلّع البسيط) عُمِّرَ ستّينَ مَعْ ثَلاَثٍ

سَنَّ النبيِّ ، وفيه يُمْنُه

لذاك قد قلت فيه : أرّخ

يَحُقُّ سِنِّ الرسولِ سنُّه

1390 = 355 567 350 118

وقد يجتهد الناظم في ذكر اسم الفقيد في جملة التاريخ نفسها ، سواء كان المرثيّ رجلا (عثُمان) :

(مجتثّ) خلَّدَهُ فينا وأرّخْ : عُثمانُ يُنجيه خُلْدُهُ (18)

1373 = 634 78 661

(18) على قبر بحمام الأنف جنوب العاصمة .

أو امرأة (حسناء) :

(رمل) فتفاءَلْ وادعُ مولاكَ وأرْ
رِخْ : به حسناءُ قد طابت قرارا

1385 = 502 412 104 360 7

استخدامُه في أغراض غير الرثاء :

وقد استخدموا حسابَ الجمّل في غير الوفيات ، وفي غير المناسبات التي تدعو إليها حياة البلاط ، وضرورة التزلّف إلى الملوك والأمراء . فهذا الشاعر أحمد سميّة المذكور يتفكّه بزميله علي الغراب ، فيورّي باسم « الغراب » وهو الطائر المعروف بشؤمه :

(وافر) ...فقال المسلمون : بما أصيبُوا ؟
فقلت مؤرّخًا : بغرابِ بَيْن (19)

1167 = 62 1105

خاتمة :

اقتصرنا ، في مقالنا هذا ، على الفنّ الأدبيّ الذي يستخدِمُ المقاديرَ العدديّة للحروف الأبجديّة ، في عمليّات التأريخ نظما ونثرا . وقد نبّهْنا ، في أوّل كلامنا ، إلى أنّ الأصل في الحساب الجمّلي ، أن يُستخْدَم في السحر والطلاسم ، والتنبّؤات ، والتماس مفاتيح الغيب ، وتصنيف التمائم والحروز الواقية من الشرور بأنواعها . وهذا النوع من العمليّات التنجيمية كان منتشرا عند اليهود خاصّة ، ثمّ انتقل إلى العالم الإسلاميّ فألّفت فيه الرسائل العديدة والكتب المطوّلة ، ممّا يجده القارىء ملخّصا في أطروحة الباحث اللبنانيّ توفيق فهد T. Fahd — وهو الان أستاذ بكلّيّة

(19) أنظر تفاصيل القصة في كتاب التاريخ الباشي ص 76 ، من الناشر الشيخ ماضور .

إستراز بورغ بفرنسا – بعنوان : « التنبّؤ والسحر عند العرب » وفي مقاليه بدائرة المعارف الإسلاميّة : مقال « جفر » ، ومقال « حروف » (علم الحروف)

تونس 1971/5/28
محمّد اليعلاوي

مـراجعـات في تـرجمة احمـد شوقي

بقلم : المنجي الشملي

عاش أحمد شوقي أربعة وستّين عامًا . قضى نصفَها الأوّل في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ونصفها الثاني في الثلث الأوّل من القرن العشرين . كانَ طفلاً في عهد الخديوي إسماعيل (1863—1879) وشابًّا في عهد الخديوي توفيق (1879—1892) وكهلاً في عهد الخديوي عباس حلمي (1892—1914) ومدّة السلطان حسين كامل (1914—1917) ؛ وقضى خمس عشرة سنة في عهد أحمد فؤاد سلطان مصر (1917—1922) ثم ملكها (1922—1936). فقد شهد عصرًا مليئا بالتقلبات السياسيّة - في وادي النيل - والثورات الوطنية التي كان لها عميق الأثر في الحركة الفكريّة عامّة والأدبيّة خاصّةً ، حتّى أصبح الشعر تَغْذُوه السياسة لا يكاد ينفصل عنها ، فصارت منزلة الشاعر تضبط بِمَدى مشاركته في التعبير عن النضال القومي والشعور الوطني ، وصارت قيمته تقاسُ بِما يُسند إليه من ألقاب التكريم له أو بما يُوصَمُ به من ألقَاب الطّعن فيه : هو «شاعرُ العصر» أو « شاعرُ القصر » ، « أميرُ الشعراء » أو « شاعرُ الأمراء » ، كما تجري بذلك فِتنةُ اللّسانُ أو كما يشاء المجتمعون للمُبَايعة .

كان شوقي علمًا من أعلام الشعر العربيّ الحديث ورأسًا من رؤوس « مدرسة البعث » (1) ، فشغل الناسَ في حياته وبعد وفاته واختلف في شأنه النقّاد ولا يزالون : درسوا شخصيّته ونظروا في شعره ، قاسُوا وطنيّته وقالوا في شاعريّته ، فنال حظًا من العناية به وافرًا (2) . على أنّنا نرى أنّ تحليل شخصيته ما زال يحتاج إلى النظر العميق في مكوّناتها ، وأنّ شاعريّته ما زالت تحتاج إلى المراجعة لتحديد منابعها ؛ وإنّ هذا العمل لا يكون ممكنًا حتّى يُضبط إطار لحياة الشاعر ضبطا يزول به ما يكتنفُها من غُموضٍ ولَبسٍ وخلط في التواريخ أحيانًا . ذلك أنّ الناظر في ترجمة شوقي يلاحظ إهمالاً لتصوير نفسيّة الشاعر ، وهي القطب الذي عليه ترتكز حياته ، ويلاحظ كذلك تواريخ يتناقلُها مؤرخو الأدب ويختلفون فيها ، لا يرَوْن بذلك بأسًا ، ولا يتحرّجون من أنّها ليست قائمة على صحّة دليل .

لذلك رأينا أن نرجع إلى ترجمة شوقي لنعيد النظر فيها ونجعل لها إطارًا إلاّ يكنْ يقينيًا فهو من اليقين غير بعيد ، معتمدين في ذلك وثائق

---

(1) هي المدرسة التي كان رئيسها محمود سامي البارودي (1839—1904) الذي جدد السنة الشعرية العربية ليجعلها دعامة من دعائم الشعر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ؛ وبذلك خلص الشعر العربي الحديث من النظم السخيف والصناعة اللفظية والخيال المبتذل ، فرد إلى أسلوبه جزالته وإلى لغته متانتها وإلى معانيه طراقتها . وما لبث هذا الاتجاه أن استقام مدرسة شعرية لها مبادؤها ولها أعلامها : هي « مدرسة البعث » . وقد انتسب إليها شعراء من مصر ، والعراق ، وسوريا ، ولبنان ، وتونس ، وسائر البلاد العربية ، منهم شوقي وحافظ ، الزهاوي والرصافي ، خير الدين الزركلي وشفيق جبري ، مطران وفوزي المعلوف ، الشاذلي خزندار وصالح السويسي ...

(2) قائمة الدراسات التي كتبت عن شوقي غزيرة المادة يخرج إثباتها هنا عن غرضنا في هذا المقال . ولعلها تستحق أن تكون موضوع دراسة مفردة . وقد مهدت مجلة « المجلة » لهذا العمل تمهيدا مفيدا ، في عددها الذي صدر في ديسمبر 1968 ، (رقم 144.) بنشر ثبت بيبليوغرافي أعده عبد الستار الحلوجي وذكر فيه 218 عنوانا وجعله على ثلاثة أقسام :

1. قسم لمؤلفات شوقي وعددها 18 ؛
2. قسم للكتب والأبحاث التي كتبت عن شوقي وعددها 45 ؛

3) قسم للمقالات التي كتبت عنه وعدد 150 . وهو عمل قيم مفيد ، ولكنه يحتاج إلى مراجعة وتكملة وتعاليق نقدية .

مختلفةً أهمّها تلك الوثيقة التي ترجم فيها لنفسه لمدة ثلاثين سنة — من سنة ولادته إلى 1898 — وهي المقدّمة التي صدّر بها الجزء الأوّل من ديوانه الموسوم بـ« الشّوقيات ، ديوان الضعيف أحمد شوقي » (3) ، ووثائق صحافيّة ثمينةٌ تاريخيًّا .

***

تاريخ ولادة أحمد شوقي

لا تثريب على مؤرّخ الأدب في أن يُضطَرّ إلى التسليم بأنّه يجهل تاريخ ولادة كاتب أو شاعر . فتاريخ الأدب العامّ مليء بمثل هذا الفراغ الذي يحقّ على الباحث أن يقبله وإن كان به ضيّقًا وله كارهًا . إنّما الغريب هو أن يختلف الباحثون في ضبط تاريخ ولادة شاعر ، وسبيل الاتفاق ممكنة .

إنّ الذين ترجموا لشوقي أو أرّخوا للأدب العربي الحديث لا يكادون يتفقون على تاريخ وِلادة الشاعر . فمنهم من يرى أنّه وُلِدَ سنة 1868 (4) ،

(3) ط. 1 ، القاهرة ، 1898 ، ص. 1—24 ؛ ط. 2 ، القاهرة ، 1911 ، ص. 1—24 . وقد أعادت مجلة « الهلال » نشرها بنصها الكامل في ع 11 ، س 76 . (نوفمبر 1968) ص. 9—19 وجعلت لها عنوانا هو : « شوقي بقلم شوقي » . وكان المستشرق H. Pérès قد ترجم هذه المقدمة إلى الفرنسية وذيلها بتعاليق منها ما هو صحيح مفيد ، ومنها ما نعتبره استنتاجات خاطئة تاريخيا سنعرض لها في مكانها من عملنا هذا . وقد نشرت هذه الترجمة بعنوان : *Ahmad Shawqî : Années de jeunesse et de formation intellectuelle en Egypte et en France. « Traduction de la préface écrite par le poète à son premier recueil de vers en* 1898 ». A.I.E.O. - T. II, Année 1936, pp. 318 - 340.

(4) عمر فروخ : **أحمد شوقي أمير الشعراء في العصر الحديث** ، ط. 2 ، بيروت ، 1950 ، ص. 5 .
يوسف أسعد داغر : **مصادر الدراسة الأدبية** ، ج. 2 ، بيروت ، 1956 ص. 504 .
فؤاد أفرام البستاني : **أحمد شوقي** (الروائع رقم 48) ط. 1 ، بيروت ، 1959 ، ص أ .
طه حسين : **حافظ وشوقي** ، طبعة سنة 1960 ، القاهرة ، ص 187 .
عبد اللطيف شرارة : **شوقي** (سلسلة « شعراؤنا ») بيروت 1961 ، ص 20 .

ومنهم من يذكرُ سنة 1869 (5) ، وفريق ثالث يعتمد سنة 1870 (6) ، وآخرون يُفَضّلُون التوقّف عن إبداء رأي في الموضوع (7) . وقد حصل من هذا الاختلاف غُموضٌ في تحديد مراحل حياة شوقي وخلط مؤسف في جعل إطار لترجمته . والرأي عندنا أنّ سبيل الاتفاق في ذلك ممكنة غير ممتنعة ، إذ لدَيْنَا وثيقة واضحة — هي ترجمة الشاعر لنفسه بنفسه — نشرها على الناس سنة 1898 — وذكر يَومئذ أنّه في سنّ الثلاثين ، قال : « أمّا ولادتي فكانت بمصر القاهرة ، وأنا اليومَ أحبو إلى الثلاثين » (8) . إن نحن سلمنَا بصِحّة هذا القول ، ولا نرى الآن بُدّاً من التسليم به ، فإنّ اليقين عندنَا أن أحمد شوقي ولدَ سنة 1868 . وسنعتمد هذا التاريخ أسَاسًا لترجمة الشاعر . على أننا نرى أنّ هذه الترجمة تقوم كذلك على أساسٍ ثانٍ قد لا تستقيم بدونه لواضعها ، وهو تصوير نفسيّة شوقي النابعة من طبيعته المعقّدَة وأصوله المختلفة وبيئته الأرسطقراطيّة .

***

الفتى المحروم في طلب النُّبل الضائع

هو سَليلُ أسرة تجتمع فيها أصولٌ أربعة يذكرُها شوْقي معتزّاً بها ، حريصا مع ذلك على التّنْبِيه إلى « مِصريتّه » في إلحاحٍ كأنّه دَفْعٌ لتهمة

(5) شوقي ضيف : **شوقي شاعر العصر الحديث** ، ط 2 ، القاهرة ، 1957 ، ص 9 .
شوقي ضيف : **الأدب العربي المعاصر في مصر** ، ط. 2 ، القاهرة ، 1961 ، ص 110 .

(6) ماهر حسن فهمي : **شوقي ، شعره الإسلامي** ، القاهرة ، 1959 ، ص 47 .
أحمد محمد الحوفي : **وطنية شوقي** ، ط. 2 ، القاهرة ، 1960 ، ص 97 .

(7) محمد حسين هيكل : **مقدمة الشوقيات** (في 4 أجزاء) : ج 1 ، ط.1 القاهرة 1925 وط. 4 : 1958 .
فتحي رضوان : **عصر ورجال** ، القاهرة ، 1967 (فصل عن « أحمد شوقي ») ، ص 97—119 .

(8) **شوقي بقلم شوقي** : الهلال ، ع 11 ، س 76 ، نوفمبر 1968 ، ص 15 .

أو صوتَ ضمير قلق ، قال : « أنا إذَن عَربيّ ، تركيّ ، يونانيّ ، جركَسيّ بجدّتي لأبي ؛ أصولٌ أربعة في فرعٍ مجتمعة ، تكفلُه لها مصر كما كفلت أبويه من قبل ؛ وما زال لمصر الكنف المأمول والنائل الجزل ؛ على أنّها بلادي ، وهي منشئي ومهادي ، ومقبرة أجدادي ، وُلِدَ لي بها أبَوان ، ولي في ثراها أبٌ وجدّان ، وببعض هذا تُحبّب إلى الرّجالِ الأوطانُ » (9) .

أذاع شوقي هذه « الشهادة » يومَ أن كان موظّفًا ساسيًا لدى حاكِم مصر ، يعمل رئيسا للقلم الإفرنجي في « معيّة » الخديوي عبّاس حلمي ، وقد نال حظوة في القصر ومكانًا عليًّا منه يشرف على المصريّين ، رضاهُ عنهم برضى الخديوي وسخطه عليهم بسخطه . فهل كانَ شوقي في حاجة إلى إثبات نسبته المصريّة بمثل هذه « العقيدة الوَطنيّة » ؟ أليست شهادةٌ هي إلى نجوى الغَريب أقرب منها إلى الشعور الوطنيّ الأصيل ؟ الحقّ إنّها كذلك « شهادة ولاء » لآل محمّد علي ، غائبهم وشاهدهم ، لِمَا أسبغوهُ من النِّعم على أسرة شوقي فنالت ثراءً وجاهًا فنبلاً .

جَدّهُ لأبيه ، واسمُه أحمد شوقي ، فشاعرنا سَميّه ، نزل مصر يافعًا والتحق بحاشية محمد علي (1805—1949) ؛ وما زال يرتفع في المناصب السامية حتى عيّنه سعيد باشا (1854—1863) « أمينًا للتمارك المصريّة » ، فجمع ثروة واسعة ماتَ عنها . ولكنّ ابنه علي شوقي ، والد الشاعر ، « بدّدها وهو في سكرة الشباب » ؛ وما هي إلاّ أن عيّنه الخديوي توفيق (1879—1892) « مفتشا في خاصّته » (10) ، فعاش في شبه سعة من الرزق « غير نادمٍ ولا محروم » (11) .

(9) نفس المرجع ، نفس المكان .
(10) نفس المرجع : ، ص 16 .
(11) نفس المرجع ، ص 14 .

وجَدّه لأمّه ، وهو أحمد حليم ، قدم مصر شابًّا ، نازحًا إليها من الأناضول . ويبدو أنّ إبراهيم باشا (المتوفّى سنة 1848) أعجب به فأكرمَهُ وأدخله في خدمته ، ثمّ زوجه معتوقة له يُونانيّة « جُلبت من بلادِ المورة أسيرةَ حرب لا شراءً ، وكانت رفيعة المنزلة عند مولاَها ، وكان زوجها محبوبًا عنده كذلك » (12) . وما انفكّ أحمد حليم يرتقي المراتب العالية حتّى توفي وهو « وكيل خاصّة الخديوي » إسماعيل باشا (13) .

وكانت جدّته هذه اليونانيّةُ الموريّةُ رفيقةً به عطوفًا عليه ، وكانت موسرة منعمة ، فأخذته لوالديه من المهد وكفلته لهما ، وكانت أليفة القصر تأتي أهله بالطّفل تحمله ، فروّضَتْه على الأنس إلى أولي الأمرِ صبيًّا وطفلا ، كما سيألفهم ، كأنّه « عبدهم » ، شابًّا وكهلا (14) .

عاشت أسرتُه في ظلّ القصر مترفةً وجيهةً ، ولكنّ شوقي الفتَى لم ينل من ذلك الترف شَيئا كثيرًا وإنّما أدرك منه بقايًا ؛ ولم يشهد وجاهة قومه وإنّما عرفها بالسّماع فحفظ الذكرى . إنّه الأرستقراطيّ المفتون بنبله الضائِع ، المحروم من الترف والنّعيم . شَاقَهُ ذلك النّبل فنشط في طلبه مجتهدًا ، وضاق بذلك الحرمان فهبّ لدفعه حازمًا . من هنا تبدأ قصّة شوقي إنسانًا وشاعرًا . أيقن أنّه « ذُو ذكاءٍ يجب أن تُقضَى له به

(12) نفس المرجع ، ص 15 .

(13) نفس المرجع ، نفس المكان .

(14) كتب شوقي عن ذلك قال : « حدثتني [جدتي لأمي] أنها دخلت بي على الخديوي إسماعيل وأنا في الثالثة من عمري ، وكان بصري لا ينزل عن السماء من اختلال أعصابه ، فطلب الخديوي بدرة من الذهب ثم نثرها على البساط عند قدميه ، فوقعت على الذهب أشتغل بجمعه واللعب به ، فقال لجدتي : اصنعي معه مثل هذا فإنه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض . قالت : هذا دواء لا يخرج من صيدليتك يا مولاي . قال : جيئي به إلي متى شئت ، إني آخر من ينثر الذهب في مصر » . انظر الهلال ، ص 15 .

وقد علق محمد المويلحي (1868–1930) على هذه القصة ، قال « من كان طبيب عينيه إسماعيل وصيدليته خزائن مصر وهو في الثالثة من عمره ، لا بدع إذا كان الزهو ترب صباه ورفيق حياته » . انظر محمد بك المويلحي : نقد ديوان شوقي (في 5 فصول نشرت بـ« مصباح الشرق » سنة 1899 وأعاد نشرها المنفلوطي) ، **مختارات المنفلوطي** ، القاهرة 1912 : ص 151 .

حقوق » فاتخذ من المدح سبيلاً إلى « العلياء » (15) ، فنالَ المنزلةَ التي كانَ إليها توّاقًا . ذكَرَ ميلادَ طموحه قال : « والقومُ في مصر لا يعرفونَ من الشعر إلاّ مَا كانَ مدحًا في مقامٍ عالٍ ، ولا يرونَ غير شاعر الخديوي صاحِبَ المقام الأسمَى في البلادِ ، فما زِلتُ أتمنّى هذه المنزلة وأسْمُو إليها على دَرَج الإخلاص في حبّ صناعتي وإتقانها بقدر الإمكان حتّى وُفّقتُ بفضل الله إليها » (16) .

هذه صورة من نفسيّة شوقي الفتى يوم أن دفعه الحرمانُ إلى الطموح ؛ فأيقن أن لا ملجأ من النّاس إلاّ إلى القصر حيث خزائن مصر .

⁂

مُدّةُ تعَلّمِهِ في مِصْرَ

من المكتب إلى « المبتديان » فـ« التجهيزيّة »

إنّ في هذه المرحلة من حياة شوقي غُموضًا لم نجد سبيلاً إلى دفعه الآن . نجد الطفل في سنّ الرابعة قد دخَل الكُتّاب الموسومَ بـ« مكتب الشيخ صالح » (17) . وإنّا لا نعرف شيئا عن هذا « المكتب » سوى أنّه كان يُوجَدُ بحيّ السيدة زينب (18) ؛ ولا نعرف كم قضى فيه الطفل من الوقت وماذا حفظ فيه . إنّما نعرف أنّ شوقي عدّ انْتسابه إلى هذا المكتب « جناية من أهله على وجدانه غفرها لهم » (19) .

(15) يقول شوقي في قصيدة مدح بها الخديوي توفيق :
« يا واهب العلياء هب لي نظرة تقضى بها لي في الذكاء حقوق

(16) شوقي بقلم شوقي ، الهـلال ، ص 11 .

(17) نفس المرجـع ، ص 16 .

(18) انظر : حسن عباس ، المتنبي وشوقي ، القاهرة ، 1964 ، ص 37 ، تعليق 5 .

(19) شـوقي بقلم شوقي ، الهـلال ، ص 16 .

وينتقل الطفل من الكتاب إلى المدرسة الابتدائية أو « المبتديان » حسب التعبير التركي . متى دخلها وكمْ بقي فيها ؟ لسنا ندري .

ثم نجده في المدرسة الثانويّة أو « التجهيزيّة » . ونحن لا نعلم كذلك متى كان انتسابه إليها . إنّما نعلم أنه كان من تلامذتها المتفوّقين فكافأته النظارة بـ« المجانيّة » على « وجه الاستثناء لا عن حاجة إليها » (20) ، ونعلم أيضا أنّه تخرج منها مرتّبًا الثاني من بين الفائزين ، وهو في سنّ الخامسة عشرة (21) .

شوقي في مدرسة الحقوق

اختلف الذين ترجموا لشوقي في تحديد تاريخ انتسابه إلى مدرسة الحقوق وتاريخ تخرّجه منها . فمنهم من يرى أنّه دخلها سنة 1883 وأنهى دراسته فيها سنة 1886 (22) . ومنهم من يذهب إلى أنّه انتسب إليها سنة 1885 وتخرّج منها سنة 1887 (23) . أمّا الذين يفضّلون إغفال ذكر أيّ تاريخ فهم الأكثرون عددًا .

على أنّ لديْنا من الأدلّة ما يجعلنا مضطرّين إلى مخالفة أولئك وهؤلاء . نحن نعتقد أنّ شوقي تخرّج من « التجهيزيّة » سنة 1883 ، وذلك استنادًا إلى أنّه ولد سنة 1868 كما بيّنّا ، وإلى أنّه كان عند تخرّجه منها في سنّ الخامسة عشرة ، كما ذكر هو نفسه ذلك . وهي سنّ مبكّرة عاقته عن الانتساب يومئذ إلى مدرسة الحقوق ، كما صرّح هو نفسه بذلك في ترجمته عندما قال : « وكانَ ناظرها المأسوف عليه — فيدال باشا — لا يراني أهلاً

(20) نفس المرجع ، نفس المكان .

(21) نفس المرجع ، نفس المكان .

(22) عمر فروخ : المرجع المذكور ، ص 5–6 ، معتمدا في ذلك ما ذهب إليه أحمد عبد الوهاب أبو العز في كتابه : **اثنا عشر عاما في صحبة أمير الشعراء** ، مصر ، 1937 ص 11 وص 73

(23) شوقي ضيف : **شوقي شاعر العصر الحديث** ، ص 12 ؛ **الأدب العربي المعاصر في مصر** ، ص 110–111 .

لذلك بالسنّ . فما زال أستاذي وصديقي المهذّب يحيي بك إبراهيم ، وكيل المدرسة يومئذ ، يؤيّدني عند رئيسه إلى أن قُبلت ... » (24) . بقيّ شوقي سنتين كاملتين ينتظر نتيجة ذلك « التأييد » ؛ فلم يدخل ، على كل حال ، مدرسة الحقوق إلاّ سنة 1885 . ثم إن لدينا دَليلا اخر نُدَعّم به رأينا : ذلك أنّ أحدَ قدماء تلامذة تلك المدرسة — وكان قد انتسب إليها منذ سنة 1882 — وهو أحمد زكي . المعروف اليوم باسم « العلاّمة أحمد زكي باشا » تحدّث في « ذكرياته عن شوقي » واصفا الشابّ أحمد شوقي ، عند قدومه إلى مدرسة الحقوق ، قال : « كان في جملة الوافدين سنة 1885 فتى نحيف ، هزيل ، ضئيل ، قصير القامة ، وسيم الطلعة تقريبا ، فتى بِعيُون متألّقة تحقيقًا ، ولكنّها مُتنقّلة كثيرًا (...) . هذه صورة مصغرة لأحمد شوقي عند أوّل عهدي به في حياة المدرسة » (25) .

ونحن مكرهون أيضًا على مخالفة من يرى أنّ شوقي تخرّج من مدرسة الحقوق سنة 1886 أو 1887 (26) . ذلك أنّ شاعرنا قضَى في هذه المدرسة أربعَ سِنِين لا سنتيْن ، وهو نفسه يؤكّد ذلك تأكيدًا واضحًا مُبِينًا إذ قال : « ثم رأى لي أبـي أن أدرس القوانين والشرائع فدَخلت مدرسة الحقوق (...) ؛ فدرستُ الحقوق سنتيْن ، ثم ارتأت الحكومة أن يُنشَأ بمدرسة الحقوق قسم للترجمة (...) فنصَحَ لي الوكيل (يحيى بك إبراهيم) ان أدخل هذا القسم ففعلت ، وأقمت به سنتين » (27) . وهذا برهانٌ في نظرنا كافٍ ليجعلنا نعتقد أنّ شوقي تخرّج سنة 1889 من مدرسة الحقوق ،

---

(24) **شوقي بقلم شوقي** ، الهلال ، ص 16 .

(25) أحمد عبيد ، (جامع) : **ذكرى الشاعرين** (في جزأين) ، دمشق ، 1351هـ ، انظر ج 2 ، ص 326 .

(26) عمر فروخ : (1886) ؛ شوقي ضيف : (1887) ؛ أنور الجندي : **أيام من حياة شوقي** ، المجلة ، العدد المذكور . وصاحب هذا المقال يذكر سنة « 1887 » مقحما هذا التاريخ ضمن قول لشوقي ، والحق أن الشاعر لم يذكر ذلك بتاتا في سياق كلامه ! إنما قال : « ثم منحتني النظارة الشهادة النهائية » (لمدرسة الحقوق) ؛ ولم يسم لذلك تاريخا ...

(27) **شوقي بقلم شوقي** ، الهلال ، ص 16 .

لأنّه انتسب إليها سنة 1885 كما قدّمنا ، ولأنّه قضى فيها أربع سنوات كما صرّح هو نفسه بذلك . على أنّ لدينا حججاً أخرى تدّعم الرأي الذي إيّاهُ نعتقد ، وبها نتبيّن أنّ شوقي ما زال سنة 1888 وكذلك سنة 1889 (حتى شهر جوان) تلميذاً بمدرسة الحقوق . فقد نشرت الجريدة الرسميّة « الوقائع المصريّة » قصيدة لشوقي ، في عددها الصادر بتاريخ 7 أفريل 1888 ، قدّمت لها بقولها : « جاءتنا هذه القصيدة من قلم حضرة الشابّ النّجيب أحمد أفندي شوقي ، من قسم الترجمة بمدرسة الحقوق الخديويّة ، في رثاء المغفور له البرنس حسن باشا » (28) . وهي التي يقول فيها :

لكَمْ قادجيشاليس يُحصَى عديدُهُ فطافَ به داعي الحِمام وقادهُ
وسار على نعش من اليمن والرضَا إلى روْضة فيها استطاب انفرادَهُ
وخلّف في دار الخلافة وحشة وحزنا يُرى من قلب مصر سوادُهُ

ونَشرت له في الشهر الموالي ، بعددها الصادر يوم 13 ماي 1888 ، قصيدة أخرى قدّمت لها بقولها : « إنّها قصيدة من الشاعر النجيب أحمد شوقي ، يهنّىء الجناب الخديو بإقبال شهر الصّوم » . وهي التي يقول فيها :

إن لامَ صادِي السلو العين تأريقا فطالما ألف الأحداق والرّيقا

ونَشرت له أخرى ، في عددها الصادر يوم 3 جوان (يونيه) 1889 ، قالت عنها إنّها « من قلم الشابّ النجيب والشاعر المجيد أحمد شوقي » ، وهي التي يهنىء فيها الخديوي توفيق بعيد الفطر ويمدحه ملتمساً منه أن يلحقه موظّفا بالبلاط ؛ وفيها يقول :

رَبحتْ تجارة مَادحِيك وطالمَا قامت بفضلك للمكارم سوقُ
يا واهب العلياء هب لي نظرة تُقضَى بها لي في الذكاء حقوقُ
لي بُردُك الدّاني ألُوذُ بظلّه ولغيري التغريب والتشريقُ

(28) هو أخو الخديوي توفيق ؛ توفي بالآستنة ونقلت رفاته عن طريق البحر الأبيض المتوسط كما يتضح في سائر أبيات القصيدة .

إنّه لم يبق لَدَينا شك في أنّ شوقي تخرّج من مدرسة الحقوق سنة 1889 . وهذا ما سنعتمِدُه لضبط المدّة التي قضاها طالبا في فرنسا .

***

مُدّة إقامته في فرنسا « طالبًا »

تاريخ سفره إلى فرنسا

كانَ الخديوي توفيق مُعجبًا « بالشاب النجيب » فشاءَ أن يرسله إلى فرنسا ليُتمّ دراسته فيها . فاختار شوقي أن يواصلَ تعلّمه في الحقوق ، ورحَلَ إلى فرنسا لـ« يبلغ التأديب » على نفقة الخديوي (29) . لم يذكر الشاعر في ترجمته تاريخ ذلك السفر ، ولا ذكره جلّ الذين ترجموا له . أمّا الذين لم يصبروا على ذلك الفراغ في إطار ترجمته فقد أجمعوا على أنّ سفره إلى فرنسا كان في سنة 1887 (30) .

ونحن لم نَرَ بدًّا من الشكّ في هذا الرأي . فلقد صحّ عندنا أنّ الشاعر كانَ لا يزال تلميذا بمدرسة الحقوق في الأيّام الأولى من شهر جوان 1889 ، إذ نجده في تلك الفترة يمدح الخديوي توفيق بقصيدة يرغب إليه فيها إلحاقه بـ« المعيّة » . وهي التي نشرتها له « الوقائع المصريّة » في 3 جوان 1889 ،

(29) **شوقي بقلم شوقي** ، الهلال ، ص 17 .

(30) لا يذكره شوقي ضيف ، راجع : **شوقي شاعر العصر الحديث** ، ص 14 ؛ **الادب العربي المعاصر في مصر** ، ص 111 ؛ **شوقي ومكانته في الشعر العربي الحديث** ، المجلة ، العدد المذكور ، ص 22 .

ويذكر هـ. بيريس (Henri Pérès) تاريخ 1887 ، راجع : Années de jeunesse المرجع المذكور ، ص 336 ، تعليق : 2 ؛ وكذا عمر فروخ : المرجع المذكور ، ص 6 . ومثلهما أنور الجندي في مقاله : أيام ... ، المجلة ، العدد المذكور ، ص 80 . ويبدو أن الذين تشبثوا بهذا التاريخ عالة على ما جاء في الجزء الثاني من « **ذكرى الشاعرين** » (جمع أ. عبيد) وكتاب أ. ع. أبو العز : اثنا عشر عاما ...

ونعلم أنّه ما إن تخرّج من مدرسة الحقوق في بداية صيف 1889 حتّى طلبه الخديوي إليه ، وقال له لمّا حضر بين يديه : « قرأت يا شوقي في الجريدة الرسميّة أنّك أعطيت الشّهادة النّهائيّة ، وكنتُ أنتظر ذلك لألحقك بمعيّتي ، لكن ليس بها الآن محلّ خالٍ ، فهل لك في الانتظار ريثما يهيّئ الله لك الخير » (31) . ونعلم أنّ شوقي « لبث بضعة شهور ينتظر فرجًا يأتي به الله » عيّن أبوه إثرها « مفتّشا في الخاصّة الخديويّة » ، وعيّن هو « بعد شهر » من ذلك موظّفا بـ« المعيّة » (32) .

فاليقين عندنا أنّ سنة 1889 انقضت وشوقي لم يُعيّن بعدُ مُوَظّفًا في القصر . إنّما كان له ذلك في شهر جانفي أو فيفري سنة 1890 ؛ دليلنا على ذلك فترة الترقب التي دامت « بضعة شهور » قبل أن « يعيّن » أبوه ، ثم « الشهر » الذي تلاها قبل ان « يعيّنَ » هو . ولديْنا دليلٌ آخر به نُدَعّمُ ما ذهبنا إليه . ذلك أنّ « الوقائع المصريّة » نشرت له قصيدة في مدح الخديوي توفيق ، في عددها الصادر يوم 3 **مارس 1890** ، قالت عنها إنها « من قلم حضرة الشاعر المجيد أحمد أفندي شوقي الذي **وُظّف حديثا** في قلم السكرتيريّة الخديويّه » ، وهي التي يقول فيها :

نفديك من ملَك في زيّ إنسان — فكم لذاتك من حسنٍ وإحسانِ
لله درّ أبي العباس من ملك — موفّق السعي في إحياء بلدانِ
يا مورِدًا للمنى دانٍ لملتمسٍ — ومنهلا للنّدَى عذبًا لظمآنِ

هو إذن موظّف في القصر ، مقيم بمصر ، ليسَ طالبًا في فرنسا ، ونحن الآن في الثلث الأول من سنة 1890 . وسيبقى على تلك الحال أشهرًا أخرى ! فقد نشرت له « الوقائع المصريّة » قصيدة أخرى ، في عددها بتاريخ 21 أفريل 1890 قالت عنها إنّها « قصيدة غرّاء من قلم أحمد أفندي شوقي

---

(31) شوقي بقلم شوقي ، الهلال ، ص 16 .
(32) نفس المرجع ، نفس المكان .

أحد موظّفي السكرتيريّة الخديويّة » ، وهي التي بها يمدح الخديوي وفيها يهنئه بقدوم شهر الصوم قائلاً :

هذا العزيز وذاك بـاب نَوالـه تَتَبَخْتَرُ النعماء تحت ظلاله
أوَ ما ترى السادات في أبوابه ترجُو لها التشريف باستقباله
ويظلّهم ظـلّ الإلـه فكلّهم آتية عبداً خاشعًا لجلاله
والدهر يحسدهم عليه ، فلو مشى لسعى على رأسٍ لِلَثم نعاله
فاعطف على شهر الصيام فإنّ في تقبيل كفّك منتهى آماله

ونشرت له « الوقائع المصرية » قصيدة أخرى في عددها بتاريخ 28 جوان 1890 ، وقدّمت لها بمثل ما قدّمت لسابقتيْها ، وهي التي بها يمدح الخديوي توفيق مهنئا إيّاه بعيد الجلوس (33) قائلا :

شرفًا أبا العباس هذا ملك مصـــر وَذي خزائنه وذلك دسته
ملك كبيرٌ جاء في التوراة والـــإنجيل والقرآن قدمًا نعته
في مثل هذا اليوم صفق نيله واخضرّ واديه ونوّر نبته
لما لبست ثياب عزّك راق لي ذيل المفاخر والعُلى فلثمته
فاسمع لعبدك وابن عبدك منطقا متطايرًا بك في القوافي صيته
شعر يقول الدهر عند سماعه هذا فتى الشعراء هذا وقته

قضَى شوقي في هذه الوظيفة أقلّ من سنة عندما رأى الخديوي توفيق أن يرسله إلى فرنسا (34) . ولقد صحّ لدينا ، بمَا قدمنا من الأدلّة ، أنّ « السنة الدراسيّة » 1889—1890 قد انقضت وشوقي لم يغادر مصر . فاليقين عندنا أنّه لم يسافر إلى فرنسا قبل بداية « السنة الدّراسيّة » 1890—1891 ، أي في أكتوبر أو نوفمبر سنة 1890 . فنحن مكروهون إذن على رفض رأي من يقول إنّ شوقي سافر إلى فرنسا « طالبا » سنة 1887 .

(33) ولى توفيق منصب الخديوية في 26 جوان 1879 إثر خلع أبيه إسماعيل .
(34) يقول شوقي : «ولم يحل علي حول في الخدمة الشريفة حتى رأى لي الخديوي أن أبلغ التأديب في أوربا ... » ، انظر : الهلال ، ص 16—17 .

تحديد المدّة التي قضاها شوقي طالبا في فرنسا

إن صحّ ما ذَهبنا إليه فنحن مضطرّون إلى مخالفة الذين ترجموا لشوقي في تحديد المدّة التي قضاها طالبًا في فرنسا . فلا إمكان للتسليم برأي من يقول إنّ شوقي رجع إلى مصر سنة 1891 ، بعد أن أتم دراسته بالبلاد الفرنسيّة ؛ وقد صحّ لدينا أنّ الشابّ لم يغادر مصر قبل أكتوبر أو نوفمبر 1890 .

وهكذا تكون السنة الدّراسيّة 1890–1891 هي السنة الأولى التي قضاها شوقي طالبا في فرنسا ، وقد انتسب إلى كليّة الحقوق بمدينة مونبيليي (Montpellier) . ويقدم صيف 1891 ، فنجد الشاعر الطالب يقضي عطلته بِجَنوب فرنسا ؛ مستجْليا جمال المعالم الحضاريّة وروعة الآثار التاريخيّة ، ويجُوبُ المدن والقرى معجبا خاصّة بمدينة كركسّون (Carcassonne) (35) .

والسنة الدراسيّة 1891–1892 هي السنة الثانية التي قضاها شوقي طالبا في فرنسا ، منتسبًا إلى كليّة الحقوق بمدينة مونبيليي . وفي غضون هذه السنة الدراسيّة توفّى نصيره الخديوي توفيق (36) . وفي صيف 1892 نجد الشاعر الطالب يقضي عطلته بإنكلترا ، وكانَ « مدير الرسالة

(35) الهلال ، ص 17 .

(36) نشرت « الوقائع المصرية » نبأ وفاة الخديوي توفيق في عددها بتاريخ 7 جانفي 1892 ؛ وخلفه ابنه عباس حلمي الذي جلس في 8 جانفي 1892 بلقب « الخديوي عباس الثاني » .

وإن إشارة شوقي إلى وفاة الخديوي توفيق ، والطالب في السنة الثانية من دراسته بفرنسا ، يدعم كل ما ذهبنا إليه من مراجعات تاريخية لضبط إطار ترجمة الشاعر . فهو يذكره مترحما عليه فيقول : « ثم ما كدت انتهي من السنة الثانية حتى كتب إلي مدير الرسالة المصرية يستقدمني لباريز ويخبرني أنه ذاهب بتلامذته إلى إنكلترا لقضاء أكثر أيام العطلة فيها ، وأن الأمير ، رحمه الله ، أدى نفقة هذه السياحة عني ... » . أنظر الهلال ، ص 17 .

المصريّة » استقدمه في ذلك من مونبليي إلى باريس وأعلمه أن الخديوي الراحل كان قد « أدى عنه نفقة تلك السياحة » (37) .

والسنة الدراسيّة 1892—1893 هي السنة الثالثة التي قضاها شوقي طالباً في فرنسا ، وقد استقرّ بباريس وانتسب إلى كليّة الحقوق بها . وفي بداية هذه السنة أصابه « مرض شديد كان فيه بين الحياة والموت » ؛ ولمّا شفي منه نصح له الأطباء بقضاء فترة النقاهة « تحت سماء إفريقيا » ، فاختار الجزائر ، وأقام فيها أربعين يوماً مستمتعاً بـ«صحو جوّها » ، متنزّها ، ملاحظا البيئة الجزائريّة والناس في حياتهم العادية . وكان الحنين إلى الوطن قد برّح بشوقي ، وصادف أن التقى في الجزائر بمصريّين يعملون في المقاهي « أصحاباً لها أو غلماناً فيها » ، فتأثّر لرؤيتهم وقد سمعهم يدعون للخديوي الجديد عباس الثاني « وكان قد بلغهم جلوسه » (38) .

وتنقضي السنة الدراسيّة ويحرز شوقي في نهايتها شهادة الحقوق ، وهي « الشهادة النهائية » بعد ثلاث سنوات تمت له في الدراسة . ورأى له الخديوي عباس الثاني أن يقضي في باريس ستة أشهر أخرى « ليتمكن فيها من معرفة أشياء تلك المدينة وأهلها » (39) . فكان ذلك . وبعد انقضاء تلك المدّة عاد إلى وطنه مصر .

---

(37) اقتفى هـ. بيريس أثر الذين رأوا أن شوقي قضى في مونبليي السنتين الدراسيتين 1887—1888 و1888—1889 ؛ وفي نطاق هذا الإطار التاريخي — الخاطىء — طلب هذا البحاثة المستشرق ملف شوقي في تلك الكلية ، فلم يقف له — طبعا — على أثر ؛ وعلل فشله بـ«النقص الحاصل في وثائق الكلية ومحفوظاتها ... » . انظر : A.I.E.O. p. 336, n. 3

(38) يلاحظ هـ. بيريس « أن شوقي قد وقع في خطإ إذ جعل المصريين الذين التقى بهم في الجزائر يذكرون الخديوي الجديد عباس الثاني ويدعون له ، لأن الشاعر زار الجزائر قبل سنة 1891 ، أي قبل وفاة توفيق وجلوس عباس » . أنظر : A.I.E O. p. 339, n. 1 ؛ والحق أن هـ. بيريس هو الذي وقع في خطإ تاريخي إذ اعتبر أن شوقي سافر إلى فرنسا سنة 1887 ؛ وبالتالي جعل السنة الثالثة من دراسة شوقي في فرنسا : 1889—1890 ، وزيارته الجزائر في أواخر سنة 1889 أو أوائل 1890 .

(39) الهلال ، ص 18 .

وهكذا يكون شوقي قد قضَى ثلاث سنوات وثلاثَة أشهر غائبًا عن مصر ، وعادَ إليها في أواخر ديسمبر 1893 أو أوائل جانفي 1894 (40) .

***

شَوقي بعد عودته من فرنسَا

عَاد شوقي إلى وطنه ، وهو « نِضْوُ فراق تهزّه إليه الأشواق » (41) . هل كانت أشواق مَنْ تَعلّقَ البلدَانَ فَأُخِذَ بالحنين إلى الأوطان ؟ أم أشواق من كان حريصا على تحقيق الحُلم الأكبر ؟ ألم يكن « القوم في مصر لا يرون غير شاعر الخديوي صاحب المقَام الأسمى في البلاد ؟ » .

---

(40) إن تحديد هذه المدة بثلاث سنوات وثلاثة أشهر يبدو لنا أمرا جليا واضحا لكل من يقرأ الصفحات التي ترجم فيها شوقي لنفسه . ولكن من النقاد من لا يستقرون على رأي في ذلك . نذكر منهم شوقي ضيف الذي يرى أن هذه المدة دامت 4 سنوات (قضى الشاعر سنتين منها في مونبيليي وسنتين في باريس) : انظر : **شوقي شاعر** ... ص 14 ؛ **الأدب العربي المعاصر** ... ص 111 ؛ **شوقي ومكانته** ... ، المجلة ، ص 22 ؛ أما أنور الجندي ، فإنه يرى أن هذه المدة دامت « حوالي ست سنوات في الفترة من 1887 إلى 1891 » ، انظر : المجلة ، ص 80 . ونحن لم نجد لحسابه تأويلا !

يذكر شوقي في ترجمته أنه اجتمع في باريس بالأمير شكيب أرسلان (أنظر : الهلال ، ص 18) . ولكنه لم يذكر تاريخ ذلك اللقاء. على أن شكيب ارسلان أثبت أن ذلك اللقاء كان سنة 1892 (راجع : **شوقي أو صداقة أربعين سنة** : مصر 1936 ص. 10)

ثم إن ترجمة شكيب أرسلان الذاتية قد نشرت أخيرا بعنوان « **سيرة ذاتية** » (دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ط 1 . 1969) . وفيها يذكر ش. أرسلان أحمد شوقي فيقول : « ثم إني قصدت أوروبا وجئت إلى باريز سنة 1892 ، وذهبت من باريز إلى لندرة ثم رجعت إلى باريز ... وتلاقيت في باريز مع أحمد شوقي الذي كان في مبدإ شهرته بالشعر ... » . ص 33 .

فهل بقي مجال لقبول رأي ش. ضيف وأ. الجندى وأ. ع أبو العر وغيرهم ؟ !

(41) الهلال ، ص 18 .

رئيس القلم الإفرنجي في القصر و«شاعر العزيــز»

نحن الآن في أوائل سنة 1894 ، وقد رجع شوقي إلى مصر في سنّ الخامسة والعشرين محرزا الشهادة النّهائية في الحقوق من الجامعة الفرنسيّة . ولكنّه لم يجد على عرش مصر نصيره الخديوي توفيق ، فقد مرّت على وفاته سنتان كاملتان (42) ، إنّما وجَـدَ ابنه الخديوي عباس الثاني الذي عيّنَه في « المعيّة السنيّة » ولكنّه كان ، فيما يبدو ، « يهمله بعض الإهمال » أول الأمر (43) . واجتهد «الشاعر المُجيد» في الإخلاص إلى مَوْلاهُ حتى فُتحت أمامه مسالك تحقيق الحلم الأكبر واستعادة النّبل الضائع . وَثِقَ به الخديوي ، فندَبَه لينوب عن حكومته في « مؤتمر المستشرقين الدّولي » المنعقد بمدينة جونـاف (Genève) في سبتمبر 1894 (44) ؛ وانفضّ المؤتمر فزار الشاعر بروكسيل (Bruxelles) عاصمة بلجيكا (Belgique) ومعرض أنفيرس (Anvers).

وما فتىء الشاعر يسعى إلى أسمى الرُّتَب « على درج الإخلاص » حتى عُيّن رئيساً للقلم الإفرنجي في القصر . وما هي إلاّ أن أصبح أقرب رجال البلاط إلى الخديوي عباس حلمي ، وأوثق الثقات عنده وأصدق الناس

---

(42) من العجب أن نرى نقادا يذهبون إلى أن شوقي أدرك الخديوي توفيق على عرش مصر عند عودته من فرنسا ؛ فإن سياق الكلام عند شوقي ضيف يدل على أنه يعتقد هذا ؛ (انظر : **شوقي شاعر** ... ص 16) ؛ وكذا عباس حسن (انظر : **المتنبي وشوقي** ، ص 38) . ويقول أ. م. الحوفي . « ثم عاد [شوقي] إلى مصر وتولى منصبه في معية الأمير .... فلما توفي توفيق سنة 1891 [هكذا] تولى ابنه عباس ، فقرب شوقي إليه ... » . انظر : **وطنية شوقي** ، ص 97 .

(43) انظر : **ذكرى الشاعرين** ، ج 2 ، ص 366 .

(44) جاء في نص شوقي أن هذا المؤتمر انعقد سنة 1896 (انظر : الهلال ، ص 18) ؛ وواضح أن هذا التاريخ ورد خطأ . وقد ألقى الشاعر في هذا المؤتمر قصيدته الهمزية الطويلة وعنوانها « كبار الحوادث في وادي النيل » ؛ انظر « الشوقيات » ج 1 ، ص 17–33 (ط 1958) ، وهي التي يقول فيها :

همت الفلك واحتواها الماء ... وحداها بمن تقل الرجاء
ضرب البحر ذو العباب حواليـــــــها سماء قد أكبرتها السماء
ورأى المارقون من شرك الأر ... ض شباكا تمدها الدأماء
وجبالا موائجا في جبال ... تتدجى كأنها الظلماء

قولا لديه ؛ فخطب رجال الدولة ودّه وقصد أصحاب الرغبات مكتبه ، وهو يدبّر الأمور الإداريّة والاقتصاديّة في القصر تدبيرًا محكمًا (45) ، ولكنّه يفهم السياسة بعقل عباس ، ويميل فيها إلى حيث مال عباس ، حتى نال المنزلة التي كان إليها توّاقًا : هو « شاعر الخديوي وصاحب المقام الأسمى في البلاد » ، يحتمي بالخديوي منشدًا :

عبّاس مولاي أهداني مظلّته   يظلّلُ الله عبّاسًا ويرعاهُ
ما لي وللشمس أخشاها وأحذرها   من كان في ظله فالشمس تخشاه (46)

ويفخر على معاصريه معتزًّا بأنّه :

شاعر العزيز وما   بالقليل ذا اللقبُ (47)

دامت هذه المرحلة من حياة شوقي عشرين سنة أو تزيد ، وهو فيها منقطع إلى حاكم مصر يمدحه كلّما حسن المدح ، ويغضب على من غضب القصر عليهم ويهادن من هادنهم القصر ، ويلتوي في الرأي التواء القصر ، فحصّل بذلك جاها عريضا ومالاً كثيرًا ، واستعاد بذلك تالد النّبل طريفًا .

وأقبلت سنة 1914 ، وأعلنت الحرب العالميّة الأولى ، ولم يرض الإنكليز عن وقوف الإمبراطوريّة العثمانيّة إلى جانب ألمانية والنمسا ، فخلعوا الخديوي عباس حلمي الذي كان واضح الميل إلى العثمانيين ، وعيّنوا خلفا له عمّه حسين كامل فجلس بلقب « سلطان » مصر في 19 ديسمبر 1914 .

واضطر شوقي إلى مغادرة وطنه ، فاختار إسبانيا بلادًا للمنفى .

(45) وهذا ما جعل « بعض أصدقائه يستغربون كيف تصطحب ملكة الاقتصاد المالي هذه مع ملكة الشعر كل هذا لاصطحاب البديع » . أنظر أ. ع. أبو العز : **اثنا عشر عاما** ... ص 85 .

(46) ذكرهما سعيد عبده في مقاله : **لمحات من الضوء على السنوات الأخيرة من حياة أمير الشعراء** ، المجلة ، ص 37 .

(47) من قصيدته « أثر البال في البال » [في وصف ليلة راقصة أقيمت في قصر عابدين] ومطلعها :

حف كأسها الحبب   فهي فضة ذهب

انظر : « **الشوقيات** » ج 2 ، ص 9 ؛ مطبعة الاستقامة بالقاهرة [د.ت] .

شوقي في المنفى باسبانيا رَحَلَ شوقي عن مصر في أوائل سنة 1915 مُبحراً من بور سعيد إلى برشلونة (Barcelonne) . ذكر الشاعر هذا التحوّل في حياته ، قال «إذا عُزي إلى الحرب الكبرَى كثير من التغييرات والانقلابات في أنظمة العالم وشؤونه الاجتماعيّة والأدبيّة ، فإني أعْزُو إليها هذا الأثر العظيم الذي أحدثتْه في مجرى حياتي ، وكان له فضل كبير فيما نلته من مكانة في الأدب وامتلاك لناصية الشعر العربي . ذلك أنّه لما وقعت الحرب العالميّة الكبرى وشمل العالم هذا الاضطراب الشديد ، وانضمت تركيا إلى الألمان ، عمدت إنكلترا إلى قلب نظام الحكم في مصر وأعلنت انتهاء حكم الخديوي عباس حلمي الثاني ، ثم أخذت تنفي عن مصر كلّ من لهم صلة به ، فأمرتني بالرحيل إلى إسبانيا ، فجمعتُ عائلتي واصطحبت مكتبتي وسائر مرافقي ، وغادرتُ مصر إلى برشلونة ... » (48) .

أقام شوقي في برشلونة وضواحيها مدة أربع سنوات تقريباً حتى أعلنت الهدنة في 11 نوفمبر 1918 . وعندئذ استعاد الشاعر الغريب حريّته فاشتدّ به الشوق إلى الأندلس حيث « ديار العرب الدارسة » ، فراح يتعهد الآثار في طُليْطلة وإشبيليّة وقرطبة وغرناطة . ولبث على تلك الحال حرًّا سائحا سنة وبعض سنة ، إذ سمحت له السلطة المصريّة بالعودة إلى وطنه في آخر سنة 1919 (49) .

ووصل شوقي إلى الإسكندريّة في فيفري 1920 ، بعد أن قضَى في بلاد الغربة خمس سنوات (50) .

---

(48) انظر الهلال ، السنة 38 ، عدد نوفمبر 1929 .

(49) حسين شوقي ، أبي شوقي ، القاهرة ، 1947 ، ص 54 .

(50) من النقاد من يفضل إغفال التواريخ لتحديد هذه الفترة (ش. ضيف مثلا) ؛ أما أنور الجندي (أيام ... ، المجلة ، ص 79 وما بعدها) فيذكر أن مدة هذه الغربة دامت 6 سنوات (ص 81) ، ثم يذكر أنها دامت 5 سنوات (ص 82) ؛ ولم نجد لهذا الاضطراب تأويلا ، خاصة

شوقي في مصر بعد رجوعه من المنفى

عادَ شوقي إلى مصر ولمّا تمضِ سنةٌ على ثورة 1919 التي قادها حزب الوفد بزعامة سعد زغلول (51) . عادَ إلى مصر رجُلا من عامّة الشعب ، لا موظّفا ساميًا في القصر . فحصل له من ذلك نظر جديد إلى السياسة والمجتمع . ويتقدّم الزمن فيشهد شوقي استقلال مصر – المتمثّل في إلغاء الحماية الانكليزيّة عنها قانونًا على الأقلّ – سنة 1922 ، ويشهد صدور الدستور فيها سنة 1923 وصدور قانون الانتخابات في السنة نفسها ، ويشهد قيام البرلمان سنة 1924 ويشهد احتضار الخلافة العثمانية ثم نهايتها على يَدِ مصطفى كمال سنة 1924 ....

الرجُل طليق و« الموحِيات جديدة » . أمكن للرجل الطليق أن يقول ، فقال مستلهمًا واقع بلاده وآمال الجماهير في بلاده ، وواقع سائر البلاد العربيّة والإسلاميّة وآمال شعوبها ، حتى ولع الناس بشعره في مصر وغير مصر من البلاد العربيّة . شوقي الأوّل ولّى ... وجاء شوقي الكبير ، فوجب الشكر له في حفل تكريم .

وكان ذلك في 29 أفريل 1927 . يوم كبير في حياة شوقي . إنها « إمَارة الشعر » جاءت إليه تسعى في الأوبرا الملكيّة بالقاهرة مبايعةً إياه « أميرًا

أن صاحب المقال كان له الفضل في الرجوع إلى ضبط تاريخ عودة شوقي باعتماد أقوال الصحافة يومئذ ، وعنه نأخذ ما يلي : (نشرت الأهرام أول خبر عن عودة شوقي يوم السبت 14 فبراير 1920 حين قالت : « ركب أحمد شوقي بك سيد شعراء هذا العصر الباخرة الطليانية ميلانو من جنوى يوم 8 الجاري ، والمنتظر أن تصل إلى ميناء الإسكندرية مساء الأحد » . وفي عدد يوم 20 فبراير وصفت الأهرام استقبال شوقي بالاسكندرية واستقباله بالقاهرة . قالت لمراسلها في الاسكندرية « وصلت الباخرة سيسليا التي تقل بين ركابها أحمد شوقي بك أمير الشعراء إلى ميناء الاسكندرية عند الظهر ولكنها لم تقترب من الرصيف إلا في منتصف الثالثة ... ») . انظر ، المجلة ، ص 82–83 .

يرى فواء أفرام البستاني أنه « لم تتح لشوقي العودة إلى وطنه إلا في أواخر السنة 1919 » ؛ انظر الروائع رقم 48 ، ص 461 (يا) . وواضح – بما أسلفنا من الوثائق – أنه خطأ .

(51) تألف في أعقاب الحرب العالمية الأولى « وفد مصري » برئاسة سعد زغلول لمطالبة أنكلترا باستقلال البلاد . ولكن سلطات الحماية لم تستجب لهذه الدعوة واعتقلت سعد زغلول وصحبه . وهكذا اندلعت ثورة 1919 بمصر .

للقوافي » و« شاعرًا فذًّا » و« صدّاحَ وادي النيل » و« وشاعر الشــرق » و« صاحب عرش دولة الأدب » (52) : هو أحمد شوقي « أمير الشعراء » .

إنّها القمّة يبلغها شاعرٌ شغل الناسَ ورَوَتْ شعره الأصقاع . ولكنّ في صدره غصّةٌ جعلت نفسه مترعة بآلامها حتى النهاية . ذلك أنّ شوقي كان حريصًا ، فيما يبدو ، على أن ينال رُتبة « الباشوية » ؛ فمدح لذلك الملك فؤاد وألحّ في مدحه ، وتشفع لديه بولده — وليّ عهده — فاروق . ولكنّ الملك فؤاد لم يفعل ! (53) .

وتوفّـي شوقـي في الساعـة الثانية من صباح 14 أكتوبـر 1932 (54) .

المنجـي الشملي

(52) انظر : أنور الجندى ، أيـام ، المجلة ، ص 84–86 .

(53) انظر : سعيد عبده ، **لمحات من الضوء** ... المجلة ، ص 37 .

(54) يقول فتحي رضوان « وإن كنت لم أمش في الجنازة ولكن الذين شاركوا في تشييعها قالوا لي إنها لم تكن بالقدر الذي يليق بشوقـي » . انظر : **عصر ورجال** ، ص 101 .

— ويقول شكيب أرسلان : « وقد أبنه الأستاذ البليغ توفيق دياب ، بعبارات متناسبة مع علو مقامه في الأدب لكني استنشقت منها رائحة مؤاخذة بعضهم للفقيد في السياسة ... » انظر : **شوقي أو صداقة أربعين سنة** ، ص 95

مشروع اطار لترجمة أحمد شوقي

جدول التواريخ	اهم الحوادث في حياة شوقي	مدة معاصرة شوقي حكام مصر
1868	ولادته بالقاهرة	11 سنة في عهد اسماعيل (1879 – 1863)
1872 ↓ 1883	دخوله مكتب الشيخ صالح (الكتاب) تعلمه في « المبتديان » (المدرسة الابتدائية) تعلمه في « التجهيزية » (المدرسة الثانوية)	
1885 – 1883	في ترقب السماح له بالانتساب الى مدرسة الحقوق	13 سنة في عهد توفيق (1892 – 1879)
1889 – 1885	دراسته في مدرسة الحقوق : 4 سنوات	
1890 - 1889 [جويلية] [جانفي]	في ترقب الحاقه بالمعية الخديوية	
1890 - 1890 [فيفري] [سبتمبر]	موظفا في السكرتيرية الخديوية	
1891 – 1890	طالبا بكلية الحقوق (مونبيليي) Montpellier (عطلة الصيف : في جنوب فرنسا)	
1892 – 1891	طالبا بكلية الحقوق (مونبيليي) (عطلة الصيف : في انكلترا)	وفاة توفيق : جانفي 1892
1892 ↓ 1893	طالبا بكلية الحقوق (باريس) (خريف 1892 : 40 يوما بالجزائر) (جوان 1892 : احراز الشهادة النهائية في الحقوق) (جويلية – ديسمبر 1892 : 6 اشهر للاطلاع على باريس)	22 سنة في عهد عباس حلمي الثاني 1914 – 1892
1894 ↓ 1914	موظفا في المعية الخديوية (نائب الحكومة في مؤتمر المستشرقين بجنيف : 1894) (رئيس القلم الافرنجي في القصر ومستشار الخديوي) (شاعر الخديوي)	
	قرار نفيه الى اسبانيا (الاندلس) : ديسمبر 1914	خلع اسماعيل : ديسمبر 1914
1918 – 1915 [جانفي] [نوفمبر]	منفيا في اسبانيا (اقامة جبرية في برشلونة)	3 سنوات في عهد حسين كامل (1917 – 1914)
1920 - 1918 [ديسمبر] [جانفي]	منفيا : (سائحا في الاندلس)	
1920 (فيفري) ↓ 1932	في مصر طليقا (حفل تكريمه ومبايعته « بامارة الشعراء » : 1927) (فشله في نيل لقب الباشوية)	15 سنة في عهد فؤاد الاول 1922 – 1917 1922 1936
1932 (اكتوبر)	وفاته بالقاهرة	

م. الشملي

الحركـة التبشيريـة في تـونس في القرن التاسع عشر :

بورغـاد (Bourgade) ولافيجري (Lavigerie)

بقلم : عبد المجيد الشرفي

بين المسلمين والمسيحيين ماض أليم من التصادم والنزاع دام قرونا وأدى إلى طبع النفوس من كلا الجانبين بطابع الجفوة بل العداء المكشوف حينا والمتستر أحيانا . إلا أن هناك نزعة واضحة منذ سنوات إلى التقارب والحوار ساهم فيها من الجانب الإسلامـي العلماء والمسؤولون السياسيون وجسمها من جانب الكنيسة الكاتوليكية التصريح الخاص بالديانات غير المسيحية الصادر عن مجمع فاتيكان II سنة 1965 بعد نقاش طويل في الموضوع . وتوالت الكتب والمقالات (1) منذ ذلك التاريخ في الدعوة إلى طي صفحة الماضي والعمل على تجاوزه كما حاول الدارسون العثور على رواد لهذا الحوار المنشود .

ولئن كان من الطبيعي أن تشغل هذه المسألة بال العرب في المشرق في الدرجة الأولى بحكم وجود نسبة هامة من المسيحيين أصيلي تلك البلاد فإن

(01) انظر عن الحوار الاسلامي المسيحي قائمة مراجع في : Anawati : Vers un dialogue islamo-chrétien, in Revue thomiste, 1964, II, pp 280-326; 1964, IV, pp 285-630

وكذلك R. Caspar : Le Dialogue islamo-chrétien, bibliographie, in Parole et Mission, n° 33, Avril 1966, pp 312-322 et n° 34, Juillet 1966 pp 475-481

تونس – والمغرب العربي عامة – ، بحكم موقعها الجغرافي وقربها من البلاد المسيحية وتفتحها عليها من ناحية ، وبحكم تاريخها البعيد أو الحديث من ناحية ثانية ، معنيّة اليوم بهذا التقارب أيضا كما كانت بالأمس مسرحا للنزاعات الدينية ولحركة تبشيرية واسعة النطاق سنحاول في هذا البحث بيان ملامحها والطرق التي توختها والأهداف التي ترمي إليها من خلال آثار رجلين من دعاتها في القرن التاسع عشر وهما الكاهن بورغاد والكردينال لافيجري .

ويرجع عهد الحضور المسيحي الكاتوليكي بتونس إلى القرن السابع عشر حين استقر بالعاصمة ثم ببعض مدن الداخل جماعة «إخوان المذهب المسيحي» (Frères de la Doctrine Chrétienne) من الطليان ، المعروفون بـ«ـالإخوان الكبوشيين» (Frères Capucins) (2) . ويبدو أن نشاطهم كاد يكون مقصورا على القيام بالشؤون الدينية للجالية المسيحية المستقرة في تونس لأغراض تجارية أو هروبا من القوانين الأوروبية بالنسبة لمرتكبي الجرائم في بلدانهم الأصلية . وكانوا كذلك يهتمون بضحايا القرصنة إذا كانوا من المسيحيين الواقعين في قبضة المسلمين .

كان هذا الحضور إذن محدودا وظل كذلك إلى سنة 1830 . وفعلا فقد كان احتلال الجزائر منعرجا حاسما في تاريخ شمال إفريقيا بصفة عامة ، لا من الناحية السياسية والاقتصادية فحسب بل ومن الناحية الدينية أيضا . يقول مثلا أحد أعضاء بعثة فرنسية جاءت تطلع عن كثب على أحوال البلاد التونسية قبل انتصاب الحماية : «يعيش المسيحيون في تونس العاصمة كما

(02) عن الكبوشيين ارجع إلى : P. Anselme des Arcs : Mémoires pour servir à l'histoire de la mission des Capucins dans la Régence de Tunis 1624-1865, Rome, 1889, in 8°, 142 p.

وإلى A. Pons : La nouvelle Eglise d'Afrique ou le Catholisme en Algérie, en Tunisie et au Maroc depuis 1830, Tunis, 1930, 340 p

الفصل الثاني من القسم الثالث (ouvriers précurseurs de la France en Tunisie)

في بقية البلاد في ظل الأمن الشامل وهم محترمون غاية الاحترام . ولكن وضعيتهم قبل احتلال الجزائر لم تكن على هذا النحو مطلقا فقد كان وجودهم في الإيالة التونسية خاضعا لشروط عسيرة ومُذلة كما هو الشأن في غيرها من البلاد « البربرية » ... إلا أن فرنسا قد غسلت أخيرا أوروبا من هذا العار ومنذ ذلك العهد فقد اختلفت الأدوار أشد الاختلاف في تونس وكأن المسيحيين الآن هم الأسياد فيها » (3) .

وأول ما سعى إليه قنصل فرنسا (4) مستغلا شعور الفزع الذي استولى على الباي حسين وحاشيته حين بلغ تونسَ خبرُ سقوط الجزائر أن فرض عليه في 17 صفر 1246/8 أوت 1830 معاهدة ينص فصل سرّي منها على التنازل الأبدي لفائدة فرنسا عن ربوة بيرصا قصد إنشاء معبد تخليدا لذكرى ملك فرنسا لويس التاسع (Saint-Louis) المتوفى في ذلك الموضع سنة 1270م (5) . وسيكون لهذا التنازل أثر بعيد لأنه قد فتح الباب في وجه حضور مسيحي على نطاق واسع وسيُعتبر بعد ذلك رمزا موحيا بعديد الذكريات .

وفيما عدا هذا الحدث فإننا لا نسجل في العقد الرابع من القرن التاسع عشر أي ظاهرة جديدة في العلاقات الإسلامية المسيحية في تونس . ويعلل الكاهن بورغاد ذلك بقوله: « لقد حالت عدة أسباب دون الاستفادة من هذا التنازل [عن ربوة بيرصا] حتى تنوسي ومن بينها الجهاد الذي نظمه العرب ضدنا (كذا يعبّر عن مقاومة الأمير عبد القادر) واستيلاء الأتراك على طرابلس

(03) ص 51—52. E. Pelissier : Description de la Régence de Tunis, 378 p in 4°

(04) هو ماتيودي ليسبس (Mathieu de Lesseps) والد فرديناند .

(05) راجع نص هذا الفصل السري في المصدر السابق ص 57—58 ويمكن كذلك مراجعته في :
V. Guérin : La France catholique en Tunisie, à Malte et en Tripolitaine, Tours, 1890, 238 p.
P. Gabeut : Un oublié, l'abbé Bourgade, Auch, 1905, 77 p. : ص 20 ، وفي ص 12 مع الملاحظة أن ابن أبي الضياف لا يذكره في الإتحاف : انظر ج 3 ص 168 و169 والطريف أن المعاهدة قد أمضيت باسم ملك فرنسا شارل العاشر ، حفيد سان لويس ، ولم يكن نبأ خلعه قد وصل تونس بعد .

واعتلاء باي جديد عرش تونس وبعض الأحلاف المناهضة لمصالحنا الإفريقية » (6) .

هذا تعليل أول كاهن أقام القداس بمعبد سانلويس منذ تأسيسه في سنة 1841م وهو في نفس الوقت من رواد المبشرين للديانة المسيحية في الأوساط الإسلامية الجزائرية أولا ثم التونسية . ولئن كان نشاط الكاهن فرنسوا بورغاد (1806—1866) ، منذ حلوله بتونس سنة 1840 مصاحبا « لأخوات الصفاء الساعيات في مصالح الفقراء والمرضى ابتغاء مرضاة الله » (7) إثر خلافهن مع أسقف الجزائر (7 مكرر) ، متعددا ، إذ هو مؤسس معهد سانلويس ومستشفى ومطبعة حجرية ومؤلف كتاب في اللغة الفينيقية (8) وآخر في الرد على رينان (Renan) في كتاب « حياة عيسى » (9) ومنشىء جريدة البرجس (Le Birgys) بباريس ، فإننا لن نهتم في هذا الفصل إلا بنشاطه التبشيري ، ذلك أنه كان يوليه المقام الأول ومن أجله أسس سنة 1847م « جمعية سانلويس أو حملة صليبية سلمية هدفها نشر الحضارة المسيحية بين المسلمين بواسطة مؤلفات مكتوبة في لغتهم أو مترجمة إليها » . وقد وضّح أسباب تأسيس هذه الجمعية في النشرية التي تحمل عنوانها ويقول فيها بالخصوص (10) : « إن المسلمين يقدّرون مثل المسيحيين وربما أكثر من المسيحيين ، تفاني أخوات الإحسان وحب القريب في الله ولكن الأخوات

---

(06) Abbé F. Bourgade : Association de Saint-Louis... Paris, s.d.31 p. ص 22 .

(07) Soeurs de la Charité ، انظر مسامرة قرطاجنة لبورغاد ط باريس ص 1 .

(7 مكرر) : انظر عن هذا الأسقف (Dupuch) وعن خلافه مع الأخوات التابعات لـ Marcel Emcrit : La lutte entre les généraux et les prêtres (Emilie De Vialar) au début de l'Algérie française, in Revue Africaine, XCVII, n°s 434-5, 1er et 2ème trim., 1953, pp 66-97.

(08) Toison d'or de la langue phénicienne, Tunis 1866

(09) Lettre à M.E. Renan à l'occasion de son ouvrage intitulé Vie et Jésus, Paris, 1864

(10) Bourgade : Association de Saint-Louis... المرجع المذكور ص 5 .

لن يتوصلن أبدا بكل إخلاصهن وتفانيهن إلى أن يفعلن بين الأهالي أحسن مما فعله المسيح بمعجزاته وأنواع الإحداث الأخرى التي صاحبت خطاه . على أن المسيح لم يكن يكتفي بكسب القلوب بل كان يستفيد من الاستعداد الأدبي الذي يحدثه في الذين يرد إليهم العافية أو الحياة فيحدثهم عن صحة الروح ويتركهم مؤمنين او على طريق الحق » .

كان إذن يريد ان يتم العمل الذي تقوم به الأخوات ورأى أن أفضل طريقة لإقناع المسلمين بخطئهم في اتباع دين محمد وبوجوب اعتناق المسيحية تتمثل في نشر كتب التبشير بينهم في لغتهم إلا أن « مهاجمة دين المسلمين من الأمام والعمل على الرد عليه قد يكونان سلوكا أخرق من شأنه إبعاد الذين يراد إقناعهم إلى الأبد . وقد كان الكاهن بورغاد يعرف ذلك ولذا تجنب الصعوبة بإقحام أتباع محمد في ميدان محاورة بسيطة ذكية في جو من العشرة الطيبة وكأنه لا يرغب فيها كما يبدو بعيدا عن كل تفكير في الدعوة إلى دينه » (11) .

وهكذا أدى به الأمر إلى تأليف ثالوثه الشهير :

1) « مسامرة (كذا!) قرطاجنة » (Soirées de Carthage) وقد طبع لأول مرة بالفرنسية في باريس سنة 1847م وأعيد طبعه سنة 1852م . وترجمه إلى العربية بورغاد بنفسه بمعية سليمان الحرايري (1824–1877) أحد خريجي معهد سان لويس وطبع طبعا حجريا بتونس في جزئين يحتوي الأول على 119 ص والثاني على 127 ص سنة 1850/1266 بعنوان : « مسامرة قرطاجنة . محادثات بين مفت وقاض وراهب نصراني » ثم أعيد طبع الترجمة العربية في جزء واحد يحتوي على 173 ص بباريس سنة 1859/1276 بعنوان : « مسامرة قرطاجنة وهي مناظرة في القرآن والإنجيل بين قاض ومفت وراهب » .

(11) P. Gabent المرجع المذكور ص 31 .

وقد اشتمل هذا الكتاب على 15 محاورة وكانت لغة الترجمة مبسطة وشديدة القرب من العامية .

2) أما الكتاب الثاني فهو « مفتاح القرآن » (La Clef du Coran) وقد طبع بالفرنسية فقط بباريس سنة 1852م وهو يحتوي على 17 محاورة في 184 ص.

3) وثالث الكتب : « المرور من القرآن إلى الإنجيل » (Passage du Coran à l'Evangile) قد طبع بالفرنسية أيضا بباريس سنة 1855 في 235 ص واحتوى على 18 محاورة .

وكان بورغاد ينوي تسمية كتابه الثالث « قبة القرآن » (Dôme du Coran) كما أعلن عن ذلك في « مفتاح القرآن » حين قال : « سيكون الغرض من المجلد الثالث صهر بعض الآيات القرآنية التي فيها فكرة الكثير من عقائدنا وحتى من أسرارنا المقدسة مع الإنجيل . فلن يكون تخلصا من القرآن إلى الإنجيل بقدر ما يكون اندماجا لأحدهما في الاخر » (12) ولكنه اتصل من أسقف الجزائر « بافي » (Mgr. PAVY) برسالة طويلة مؤرخة في 25 جويلية 1852 إثر صدور كتابه الثاني ، يقول في آخرها : « ... على أني قد أود أن تعيد في كتابك القادم إلى الإنجيل بكل وضوح كل ما أخذه منه القرآن وأن تنبه إلى التحريفات العديدة التي توجد فيه من الإنجيل ومن كتبنا المقدسة الأخرى عوض أن تقدّم ما سميته بإدماج الإنجيل والقرآن » (13) . ويعقّب مترجم بورغاد على هذه الرسالة بقوله : « فلما ظهر بباريس سنة 1855 الكتاب الثالث الذي أعلن عنه الكاهن بورغاد بعنوان « المرور من القرآن إلى الإنجيل » لوحظ أن المؤلف قد أخذ بعين الاعتبار نصائح أسقف الجزائر العالم ونقده الحصيف فلم يعد الشأن متعلقا بإدماج القرآن والإنجيل معا وإنما أصبح يدعو إلى إعطاء كلّ حقّه مع الحفاظ

(12) ص 179 ، هامش 1 .

(13) انظر نص الرسالة الكامل في P. Gabent المرجع المذكور ص 35–36 .

على مراعاة الأشخاص بقدر الإمكان . فمهما كانت الرغبة ملحة في عـدم مصادمة آراء الخصم المسبقة حتى نؤديه بكل وثوق إلى معرفة الحقيقة فإنه لا يجوز بسبب ذلك لكاتوليكي أن يجعل البتة على قدم المساواة الصـواب والخطأ ... » (14) .

تلك إذن هي النتيجة التي وصل إليها الكاهن بورغاد ولكن ما هي الطريقة التي توخاها في محاوراته الوهمية ؟ كانت نقطة الانطلاق محاورة بين إحدى « أخوات الصفاء » (15) وبين مفت إثر معالجتها لزوجته إذ أراد مكافأتها بتوفير « الصداق » لزوجها إن كانت راغبة في الزواج فإذا بها تفسر له انقطاعها للعبادة وفعل الخير وتؤديه إلى لمس الفرق بين المرأة النصرانية والمرأة المسلمة وتخوض معه في مسألة الطلاق وموقف الإنجيل منها ولكنها ترفض مناظرته في شأن تحريف الإنجيل وتدله على الراهب . وبذلك ينتهـي دور « الأخت » في هذه المحاورات ويبرز مكانها القاضي فيدور الحديث بينه وبين المفتي حول ما أثارته « الطبيبة الآتية من فرنسا لفعل الخير في هذه البلاد » .

ما هو موقف الرجلين من كلام الراهبة وقد أرادهما الكاهن من علماء الدين الإسلامي ؟ يمكن لنا أن نستشف حقيقتهما من بعض ما ورد في المحاورة الثانية قبل التقائهما بالكاهن : يقول المفتي في المقارنة بين نساء النصارى ونساء المسلمين : « تفكرت في هذا كثيرا فوجدت منشأ اختلاف التأديب والتربية في اختلاف القرآن والإنجيل في حقوق النساء » (16) . وهذه عينة أخرى من الحوار الدائر بين القاضي والمفتي : يقول القاضي : « حقا إن النصاري فاقونا في كل شيء إلاّ شيئا واحدا وهو أنهم أقوى منا ويفهمون الأمـور أحسن منا ولهم براعة في العلوم أكثر منا ويحكمون بالعدل أحسن منا ولا

(14) المرجع نفسه ص 36 .
(15) العبارات التي بين مزدوجين للكاتب نفسه في مسامرة قرطاجنة بالعربية طبع باريس .
(16) مسامرة قرطاجنة ص 14 .

يظلمون الأمم الأخرى في أمورهم ولا يتركون الأمم يظلمونهم ولكن ليتهم يتقون الله » (17) فيجيب المفتي : « القرآن أخبرنا بأن الله لا ينصر القوم الكافرين فما بال النصارى مرتفعون على ساير الأمم كارتفاع الجبل على السهل ؟ فالذي لا يتقي الله يرتكب الظلم والنصارى منصفون وإذا فتحوا بلدا فذلك بقضاء الله وهم لا يظلمون من تغلبوا عليه ويخافون الله خلاف ما نعتقده فيهم ... » (18) .

فقد وضح بورغاد إذن منذ البداية هدفين أساسيين كان يرمي إلى تحقيقهما من كتبه ولم يلك كلماته في التعبير عنهما . أولهما بيان فضل الإنجيل على القرآن وثانيهما خدمة الاستعمار الغربي بتبييض جبينه وترغيب المسلمين فيه ودفع ما ينسب إليه من ظلم وهو في ذلك لا يتردد في نشر مركبات النقص بين مخاطبيه . فلا عجب أن يكون المفتي الذي نصبه لمحاورته أداة طيعة بل مفضوحة الطواعية لخدمة أغراضه منذ اجتماعهما الأول في المحاورة الثالثة من مسامرة قرطاجنة . وهو لا يكتفي بإقناع المفتي في يسر بكلِّ آرائه حول جميع المسائل التي تثار ومهما كانت أهميتها ، من الرهبانية والزواج وتعدد النساء وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير إلى الجنة والتثليث وكلمة الله ورسالة محمد ، وإنما يجعل منه شخصا متحمسا لآرائه ويقنع بها صاحبه القاضي مما يشوّقه إلى معرفة الكاهن بنفسه والاستنارة بهديه ابتداء من المحاورة التاسعة (ص 82—100) .

وقد كان بورغاد يرمي من كتابه الأول إلى إثارة شك قرائه في دينهم في المقام الأول فكان يتقدم بحذر شديد ويتجنب المواجهة ويكتفي بزرع البذرة حتى إذا بلغ آخر الكتاب تعددت نقط الاستفهام في نفوس القراء أو هكذا أراد .

(17) نفس المرجع ص 16—17 .

(18) نفس المرجع ص 17 في المحاورة الثانية .

وإذا كان دور الكاهن بارزا في مسامرة قرطاجنة فإنه سيكون على عكس ذلك في مفتاح القرآن حيث لا يشارك في النقاش إلا في المحاورة الأولى ثم ينسحب لإفساح المجال لمخاطبيه كي يستخلصوا بأنفسهم النتائج المترتبة عن اقتناعهم بالمبادىء والمقدمات التي رسمها الراهب في الكتاب السابق. ويكتفي بالحضور في آخر محاورة كي يشاهد، دون تدخل، ما آلت إليه مساعيه إلا انه سيقحم في الحوار شخصا ثالثا إلى جانب المفتي والقاضي واختار أن يكون من أعيان الجزائرين المتبحرين في مذهب مالك هاجر من وطنه واستقر بتونس وهو يلقبه بـ«الدزيري» كما يسمي نفسه «الببّاص». وسيسمح له حضور الجزائري بتخصيص فصل طويل في نطاق المحاورة الأولى (19) لعرض «مشاريع الحكومة الفرنسية الرامية إلى تحسين حالة الأهالي في الجزائر» وللتشنيع على الأمير عبد القادر وأتباعه إذ «أن سلوكه في إفريقيا يضر مصالح العرب ودين القرآن أكثر مما ينفعهما» وللتحريض على ترك التعصب وعلى الاقتداء بسياسة الباب العالي في رشدها.

إلا أنه يعود إلى موضوعه الأصلي بعد هذه المقدمة وينفي على لسان القاضي أن تكون لمحمد معجزات بنص القرآن ويسخر من المعراج بالخصوص. وهكذا يلتحق «الدزيري» بصف الشاكين في المحاورة الخامسة (ص 54—60) كما تمثل هذه المحاورة حجر الزاوية في هذا الكتاب إذ يعرض المؤلف الحل الذي يمكّن المتحاورين من الخروج من المأزق الذي أوقعهم فيه وهو المفتاح الذي يمكن استعماله في نظره لتفسير القرآن وفهم متناقضاته والتمييز بين خطَئِه وصوابه ويتمثل في اعتبار الكذب وسيلةً التجأ إليها الإسلام كما رغّب فيها علماؤه للمنافحة عن الدين. وسيكون باقي الكتاب تطبيقا لهذا المذهب واستعمالا لهذا المفتاح في الآيات القرآنية والسنة النبوية. ولم يبق بعد

(19) La clef du Coran ص 3—25.

ذلك إلا استخلاص نتائج هذا التطبيق فيما يتعلق بالله والآخرة والحياة الإجتماعية والاخلاق (20) .

فهل من الضروري التنبيه إلى أن هذه النتائج لا يمكن أن تكون في نظر الكاتب إلا سلبية ؟ وهي تمثل حسب تخطيطه العام نقطة اللارجوع بالنسبة لمعتنقي الإسلام حيث تتجلى لهم جهالاتهم ويندك صرح دينهم مهما كان نوع تعلقهم به في الماضي : عاطفيا أو عقليا أو نقليا أو موروثا عن آبائهم فحسب .

أما الكتاب الأخير في هذا الثالوث وهو « المرور من القرآن إلى الإنجيل » فهو امتداد طبيعي لسابقَيْه حيث يحاول الكاهن بورغاد ، بعد أن أقر الشك في نفوس مختلف الأشخاص المتحاورين وتركهم في مفترق طرق ، أن يوجههم إلى سلوك سبيل الدين المسيحي . وهذا الكتاب أقرب الثلاثة إلى الردود النصرانية التقليدية على الإسلام . فهو يتناول فيه قضايا الخلاف الأساسية بين الدينين مبطلا العقائد الإسلامية واحدة واحدة ومثبتا في كل مرة العقائد المسيحية بنفس الحجج المعهودة والمتداولة عند أصحاب الردود على اختلاف مناهجهم ولا سيما أولئك الذين ظنوا أنه يمكنهم أن يجدوا في القرآن نفسه ما يدعّم المعتقدات المسيحية وأن المسألة تتعلق بحسن فهم القرآن وتأويله وتكميله إن لزم الأمر .

ولئن كان تحليل محتوى هذه الكتب تحليلا وافيا يخرج بنا عن الإطار الذي رسمناه لهذا البحث فإننا نلاحظ في هذا الثالوث عامة طرافة التقديم التي يمتاز بها. ذلك أنّ الكاهن بورغاد قد ألفه في شبه قالب مسرحية ذهنية تعتمد الحوار أساسا بين أشخاص رئيسيين هم الراهب والمفتي والقاضي والجزائري وأشخاص لا يقومون إلا بأدوار ثانوية مثل الطبيبة وكاتب الجزائري وطفل

(20) وهذا هو محتوى المحاورتين 16 و17 ص 165–180 .

مسلم وطفل مسيحي وبعض البدو والخدم . ومن الطبيعي أن لا تعتمد هـذه المسرحية على الحركة ولكنها رغم ذلك غير منعدمة بقطع النظر عن التكلف الذي تتسم به غالبا وعن صبغة التهريج التي تصطبغ بها أحيانا (21) .

كما نلاحظ مدى حرص المؤلف على تبسيط لغته ومفاهيمه على السواء ويبدو ذلك بصورة أوضح في الترجمة العربية لمسامرة قرطاجنة حيث لا يتحاشى الكاهن بإعانة تلميذه التونسي استعمال الألفاظ والعبارات العامية بكثرة لأن غرضه ليس الاقتصار على بث كتبه في أوساط المثقفين المتضلعين في العربية وهم آنذاك من خريجي جامع الزيتونة أي من المتشبعين بالقيـم الإسلامية وبالتالي أبعد قرائه عن مجاراته في ما يدعو إليه ، وإنما كان يرمـي إلى نشرها في الأوساط الشعبية لأنه يعتبر أن أفرادها جاهلون في الأغلب لدينهم فهم إذن قابلون للتأثر أكثر من غيرهم كما صرح بذلك في نشريته « جمعية سان لويس » داعيا إلى جمع الأموال لتحقيق مشروعه .

ونلاحظ أخيرا متانة الارتباط بين الإطار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي العام الذي ألف فيه بورغاد كتبه التبشيرية — وهو وضع يتسـم ، كما رأينا ، بالتأثير العميق لاحتلال فرنسا الجزائر من جهة كما يتسم بضعف السلطة السياسية وتدهور الحالة الاقتصادية وانتشار الأوبئة وقلة انتشار المعارف — وبين جرأة الكاهن — وهو أول أوروبـي قلده الباي نيشان الافتخار — على المجاهرة بسخريته من الإسلام وتفضيل الإنجيل على القرآن وادعائه تنصير المسلمين ، وأي مسلمين ! ، في آخر مرحلة من كتاب « المرور من القرآن إلى الإنجيل » حين يقرأ الصلاة المسيحية ويؤمن عليه الحاضرون بعد أن اقتنعوا بآرائه . ثم لا نسجّل — فيما نعلم — أي رد فعل من أي كان ! (21 مكرر) .

---

(21) انظر مثلا المحاورة السابعة في مفتاح القرآن ص 68—72 .

(21) مكرر : نؤيد في هذا الصدد ما أثبته المنصف الشنوفي من أن السائل الذي أجابه ابن أبـي الضياف في رسالته في المرأة ليس الأب بورغاد (انظر حوليات الجامعة التونسية عدد 5 ، 1968 ص 55—56) خلافا لما ذهب إليه في أطروحته حين قال : « ومهما كان الأمر فإن

ولكن انعدام أصداء هذه « الحملة الصليبية السلمية » بين التونسيين وإن دل على حالة هي للموت أقرب منها إلى الحياة فإنه يدل أيضا على فشلها . وكان هذا الفشل من العوامل التي دفعت الكاهن بورغاد إلى مغادرة تونس نهائيا سنة 1858م والاستقرار بالعاصمة الفرنسية حيث مات في سن الستين فقيرا منسيا .

وهكذا لم يكن فرانسوا بورغاد إلا رائدا للحملة الصليبية التي صاحبت النفوذ الفرنسي المتزايد في المغرب . أما تزعم هذه الحملة مدة طويلة وحاسمة فسيكون من شأن رجل أخطر من نواح عدة له من الجرأة والفصاحة والذكاء والقدرة على التنظيم وتسيير الرجال وكسب الأنصار ما جعله يتصدر الركح الديني والسياسي في الجزائر بالمرتبة الأولى وفي تونس أيضا وفي موطنه الأصلي وفي أوروبا والعالم ردحة من الزمن ، ألا وهو الكردينال شارل مرسيال ألمان لافيجري (1825—1892) . فقد لعب دورا أساسيا في التمهيد للحماية الفرنسية في تونس (22) واشتهر بالنداء الذي وجهه باسم البابا إلى المسيحيين الفرنسيين كي يساندوا النظام الجمهوري (23) وتزعم الحملة الداعية إلى القضاء على

الكتاب [أي مسامرة قرطاجنة] قد أحدث صدى وأثار بعد مدة ردا للشيخ بن ضياف » (انظر : M. Chenoufi : Le problème des origines de l'imprimerie et la presse arabes en Tunisie dans sa relation avec la Renaissance « Nahda », Thèse dactylographiée à la Sorbonne ص 113) .

(22) انظر في هذا المجال : Mgr. Baunard : Le Cardinal Lavigerie, Paris, 1896 ، الجزء الثاني ص 137 حيث يذكر مترجم لافيجري أنه كان يتحدث في رسائله إلى قنصل فرنسا زمن الاحتلال « روستان » (Roustan) عما سماه « انتصاب حماية فرنسا الدينية » . وانظر أيضا ما كتب بمناسبة الذكرى المائوية لميلاد لافيجري وخاصة : G. Goyau : Un grand missionnaire, le Cardinal Lavigerie, in Revue des deux mondes, 1925 (الفصل الثالث بتاريخ 15 أفريل 1925 ص 783—791) وكذلك : Louis Bertraud : Le centenaire du Cardinal Lavigerie à la Sorbonne in R.D.D.M, 1-12-1925 ص 580 حيث يقول : « عندما تعلق الشأن بإحلال الحماية الفرنسية بتونس كان لافيجري مستشار ڤامبتا (Gambetta) وجول فيري (Jules Ferry) بل يمكن القول إنه كان دليلهما » وص 597 : « لو لم يقم إلا بتهيئة إنتصاب حمايتنا على تونس . تلك الحماية التي كان يمكن عقدها قبل الذي الأوان عقدت فيه لو استمع إليه ، وبأقل مما كلفتنا من الرجال والأموال بكثير — لاستحق كل اعتراف بالجميل من الوطن الأم... » .

(23) راجع بالخصوص : Xavier de Montelos : Le Toast d'Alger, Documents, Paris, De Boccar, 1966

الاسترقاق بواسطة العشرات من المقالات والخطب والمحاضرات في مختلف عواصم أوروبا (24) .

وقد حطي هذا الرجل بالعديد من الدراسات المتفاوتة قيمة وعمقـا وشمولا (25) إلا أن من العسير معرفة حقيقة آرائه ونشاطه بكل موضوعية ما لم يتسن الوقوف على كل الوثائق الخاصة به المحفوظة بالفاتيكان وما لم تنشر كل مؤلفاته ومراسلاته (26) . وإذا كان البحث العلمـي يفرض علينا هذا الاحتراز فإن ذلك لا يمنعنا من استغلال النصوص العديدة التي تحت تصرفنا لتوضيـح موقف لافيجري مـن الإسـلام وإبراز نشاطـه التبشيـري الواسع (27) بل سنحاول أن نفسح له المجال ليبسط آراءه بنفسه مكتفين بانتقائها وترتيبها وشرح ظروفها .

وأول ما يلفت الانتباه في تفكير لافيجري من خلال آثاره في كل مـا يتعلـق بالإسلام وضوح النظـرة — بقطع النظـر عن صوابها — وبساطتها واستقرارها . ولا شك أن لتكوينـه المسيحي في سان سولبيس (Saint-Sulpice) وللجو الثقافي الذي عاش فيه ضلعا كبيرا في توجيه آرائه وتكييفها إلا أن العامل الحاسم الذي أثر فيه تأثيرا عميقا ودائما هو اتصاله بالمسلمين في بلاد الشام واحتكاكه بنصارى تلك البلاد حين أشرف سنة 1860م بصفته مديراً « لمؤسسـة مـدارس الشرق » (Œuvre des Ecoles d'Orient) على توزيع

---

(24) جمعت هذه الوثائق في حياة الكردينال ونشرت بعنوان :
Documents sur la fondation : de l'oeuvre antiesclavagiste, Saint-Cloud, 1889.

(25) توجد على الأقل قائمتان بالمراجع الخاصة بلافيجري :
J. Tournier : Biblio du Cardinal Lavigerie, 1913.
P. Dindinger : Mission Schrift von und aber Kardinal Lavigerie 1947
وكذلك قـائمـة المـراجـع الملحقـة بـأطروحـة :
X. de Montelos : Lavigerie, le Saint Siège et l'Eglise, Paris, De Broccard, 1965.

(26) لا يسعنا في هذا النطاق إلا أن نشكر الأب ج. فونتان على تمكيننا من الإطلاع على تلخيصه الشخصي لآثار لافيجري الكاملة في كل ما يتعلق بالتبشير في البلاد الإسلامية .

(27) أشار ..... X. De Montelos : Lavigerie المرجع المذكور ص 3 إلى أن الأب ديرانت (Durant) يعد أطروحة شاملة عن عمل لافيجري التبشيري .

الإعانات على المسيحيين الذين اضطهدهم الدروز وقتلوهم فاستقر في ذهنه منذ تلك السفرة (28) أن الدين الإسلامي أخطر أعداء المسيحية وأنه دين التعصب الأعمى ولذا وجب البحث عن الوسائل العملية لتخليص معتنقيه منه ومن شروره ومدّهم بأنوار التعاليم الإنجيلية .

وإيمانا منه بصحة هذا المبدإ لم يتردد في قبول المنصب الذي عرضه عليه الماريشال ماك ماهون (Mac-Mahon) الحاكم العام على الجزائر آنذاك ليكون كبير أساقفة الجزائر خلفا للأسقف المتوفى (29) .

ولكن وضعية الكنيسة في الجزائر حين بدأ مباشرة مهامه الجديدة سنة 1867م لم تكن لترضيه وهو الذي « جاء تحدوه عواطف السلام والتآلف ولكن تحدوه أيضا عواطف الفتوحات الدينية » (30) . ذلك أن سياسة فرنسا كانت تقضي منذ الاحتلال بعدم مصادمة شعور الجزائريين الديني خوفا من انتقاضهم عليها وشق عصا الطاعة في وجه الحكم الفرنسي رغم إلحاح سلفَيْ لافيجري : ديبيش (Dupuch) وبافي (Pavy) ومعارضتهما لهذه السياسة .

فكانت المجاعة المنتشرة في الجزائر سنتي 1867 و1868 الفرصة الذهبية التي استغلها لافيجري ليطبق شعاره منذ كان أسقف نانسي (Nancy) وهو « الإحسان وحب القريب في الله » (CHARITE) . فطفق يجمع التبرعات ويوزعها على المتضررين مستهدفا النساء الأرامل والأطفال اليتامى في الدرجة الأولى وأنشأ لهذا الغرض محلات يأوي إليها من شملهم إحسانه حتى يبرز للعيان فضائل الديانة المسيحية . يقول في ذلك: « إنني حين أعين الأرامل والأطفال بما أستطيع فإنما أعين السكان المسلمين لأؤدي واجبي كإنسان وكمسيحي وكأسقف وليس لي من طموح سوى أن أظهر مرة أخرى

---

(28) وقد التقى فيها بالأمير عبد القادر في دمشق .

(29) هو بافي (Pavy) وقد مرت بنا رسالته إلى بورغاد . توفي في 16 نوفمبر 1866 .

(30) J. Tournier : Le Cardinal Lavigerie et son action politique, Paris, 1913 ص 15 .

الخصائص الإلاهية لدين يأمر بحب كل الناس وإسعافهم مهما كانوا ولو كان ذلك بالمخاطرة بالنفس » (31) .

ولم يجد بدا في ذلك الظرف من التفكير في تنظيم هذه الرعاية التي يحيط بها المنكوبين وتوفير الأعوان الذين يحسنون لغة البلاد كي يتسنى لهم تحقيق الأهداف التي ينشدها . وبدأت تختمر في ذهنه فكرة إنشاء جمعية تبشيرية ملائمة للظروف التي ستدعى إلى العمل فيها حتى نشأت « جمعية مبشري إفريقيا » (Société des Missionnaires d'Afrique) المعروفة « بالآباء البيض » (Pères Blancs) لأنهم كانوا في بداية أمرهم يلبسون الزي الأهلي المتمثل خاصة في البرنس الأبيض والشاشية .

وقد جرّ له هذا الحزم معارضة السلطات الإدارية الفرنسية في الجزائر ولكن تلك المعارضة مكنته من نقل الخلاف القديم من إطاره الضيق إلى مستوى أشمل وربطه بفلسفة الاستعمار الفرنسي ذاته . وكانت الشرارة التي نشرت هذا الصدام بعض ما ورد في رسالة وجهها لافيجري إلى مدير مؤسسة مدارس الشرق التي كانت تموّل مشاريعه حول استعمال التبرعات لفائدة ضحايا المجاعة في أبرشية (diocèse) عاصمة الجزائر في أفريل سنة 1868 . يقول في هذه الوثيقة الهامة : « إننا نكون سعداء لو استطعنا أن نغزو بهذا الثمن (أي موت رجال الدين المسيحيين) لفائدة هذا الشعب المسكين الشيء الوحيد الذي من شأنه أن ينقذه ، أعني أنوار الإيمان وفضائله لتنمّي فيه بدل تعصبه الشعورَ بالمسؤولية الأدبية وطاقة الواجب ! .... » (32) ثم يضيف : « ولكن المشروع الذي يسمح لي في هذا المجال بأوفر ثقة ،

(31) Lettre annonçant la prochaine ouverture de l'asile destiné aux vieillards des deux sexes de la colonie européenne du diocèse d'Alger في كتاب : Œuvres choisies de Son Eminence le Cardinal Lavigerie Paris, 2 V. 1884 الجزء الأول ص 138 (سنشير في بقية الفصل إلى هذا الكتاب الهام بـ« الآثار المختارة ») .

(32) الآثار المختارة ج 1 ص 158 .

المشروع الذي يؤدي حتما في وقت لاحق إلى إدماج الجزائر بسرعة إن رُعِيَ باستمرار وقُدّم على غيره ونُمِّيَ ، إنما هو مشروع تربية الأطفال وفي هذه الفترة تربية اليتامى ... » ويقول بعد ذلك : « وإذا وقعت المواظبة على هذا المشروع ... فستكون لنا في بضع سنوات مشتلة من العمال النافعين ، المؤيدين لاستعمارنا الفرنسي والأصدقاء له ولْنَنْقُلها بوضوح : من العرب المسيحيين . إن هؤلاء الأطفال المساكين الجاهلين غاية الجهل بكل شيء سواء بأمور دينهم أو بغيرها ، ليس لهم حتى من هذه الوجهة أي رأي مسبق وأي نفور منا ولا أشك في أن الكثير منهم متى استفادوا من أقوالنا ومن أفعالنا سيطلبون بأنفسهم يوماما التعميد . وسيكون ذلك بداية تجدد هذا الشعب وهذا الإدماج الحقيقي الذي يُبحث عنه لكن بدون طائل لأن البحث عنه قد كان إلى حد الان مع القرآن وسنكون مع القرآن بعد ألف سنة كما نحن اليوم كلابا من المسيحيين وسيكون ذبحنا وإلقاؤنا في البحر عملا مقدسا يثاب عليه صاحبه » (33) ثم يستخلص أنه « يجب إنقاذ هذا الشعب ، ينبغي الإعراض عن أخطاء الماضي ، لابد من الكف عن حصره في قرآنه كما وقع ذلك في مدة طالت أكثر من اللازم وكما يراد فعله الان بواسطة مملكة عربية مزعومة ؛ يجب أن نلهمه ، عن طريق أبنائه على الأقل ، أحاسيس أخرى ومبادىء أخرى وينبغي أن تقدم له فرنسا ، بل أنا مخطىء ، تسمح بأن تُقَدَّم له مبادىء الإنجيل بإشراكه أخيرا في حياتنا أو أن تطرده في الصحاري بعيدا عن العالم المتمدن ... » (34) .

فلا عجب أن يصرح لويس برتراند (L. Bertrand) عضو الأكاديمية الفرنسية وأحد كبار المتحمسين لسياسة الإدماج ، في الذكرى المائوية لميلاد الكردينال : « ما أشد دهشتي وأنا ألتهم بنهم مؤلفات لافيجري

(33) نفس المرجع ص 160–162 .

(34) نفس المرجع ص 165–166 .

المختارة ! لقد اكتشفت في كل صفحة تقريبا تفكيري الذاتي ونظرياتـي الإفريقية الشخصية » (35) .

ولكن فحوى هذه الرسالة ، وخاصة الفقرة الأخيرة التي ترجمناها منها ، قد أثار في ذلك الوقت ردود فعل عنيفة في الصحافة والإدارة الفرنسية مما أدى لافيجري إلى توضيح قصده مما كتب فقال من رسالة إلى محرر إحدى الجرائد الصادرة بالجزائر : « أنتم تعرفون أنه لم يكن لي حين كتبت تلك الجملة إلا هدف واحد وهو أن أقيم الدليل عبثا ، أي باستحالة إنجاز ثاني ذينك الأمرين ماديا ومعنويا ، على ضرورة السماح أخيرا بالأمر الأول بعد التجربة المرة التي قمنا بها وأن نُمَكَّنَ لا من استعمال القوة وهو ما لا نرغب فيه بحال ولكن من حرية التبشير وأقصد من ذلك حرية الإحسان وحريـة التفاني » (36) .

كما بعث برسالة في الموضوع إلى الماريشال ماك ماهون يتبرأ فيها من التهمة الموجهة إليه وهي أنه « يريد أن يدفع أولئك العرب المساكين ثمن الخبز الذي يوزعه عليهم ، بالتضحية بدينهم » (37) ويؤكد فيها أنه لا يكره البتة أحدا على الدخول في النصرانية وإن كان لا يتردد في تعليم ما يعتقده هـو صحيحا وخاصة فضل التعاليم المسيحية على التعاليم والأخلاق التي يؤمن بها الجزائريون و« فضل فرنسـا ورؤسائهـا عند النـاس وعند الله على تركيـا وسلاطينها » (38) ثم يحتج في نفس الرسالة على سياسة فرنسا الدينية في مستعمرتها فيقول : « وفي نفس الوقت الذي كان فيه سَلَفَاي محرومَيْن من كل حرية فإنهما كانا يشاهدان ارتفاع المساجد غير النافعة في أكثر الأحيان

(35) Le centenaire du Cardinal Lavigerie, à la Sorbonne المرجع المذكور ص 600 .
(36) Lettre au Rédacteur du Moniteur de l'Algérie في الآثار المختارة ج 1 ص 170 .
(37) الآثار المختارة ص 176 من الجزء الأول .
(38) المرجع نفسه ص 177 .

بأبهض الأثمان وتشجيع المدارس والاجتماعات الدينية التي تذكي تعصب الأهالي بواسطة الإعانات المالية وتسهيل الحج إلى مكة وقيام مسلمي الجزائر به على نفقة الدولة وأخيرا ، وهو أمر لا يتصور حقا ، نشر تعليم القرآن باسم فرنسا حتى بين الذين لم يعرفوه قط كسكان بلاد القبائل » (39) .

وقد انتهى أمر هذا الخلاف كما أراد لافيجري بمنحه حرية العمل في الجزائر بعد تدخلات وضغوط عديدة وبعد أن راسل الامبراطور نابليون III نفسه في الموضوع مؤكدا له أن « الوقت قد حان ليُسمَحَ لرجال الكنيسة بالشروع في ممارسة تأثير أخلاقي وديني في العرب عن طريق الإحسان على الأقل » (40) . فكانت سنة 1868م السنة الفاصلة بين وضعين اتسم الأول بالاحتراز في مصادمة شعور المسلمين الديني واتسم الثاني بالمجاهرة في العمل على نشر المسيحية باعتبارها ركنا أساسيا في البناء الاستعماري المنشود . ولا أدل على ذلك من الخطاب الحماسي الطويل الذي ألقاه لافيجري بمناسبة تدشين المصلحة الدينية في جيش إفريقيا حيث أرّخ للاحتلال الفرنسي للجزائر ورأى فيه تنفيذا لما ارتضته العناية الإلاهية وخاطب فرنسا المسيحية قائلا بالخصوص : « إن كنتِ وعدت باحترام هيكل الشعور في هذا الشعب فليس لك الحق في تقييد الحقيقة ومنع كتبنا من نشرها ولا تخشَيْ بعد ذلك أن كنتُ أطلب ، لبعث الإيمان من جديد في هذه الربوع ، الأسلحة الدموية التي خنق بها القرآن ذلك الإيمان منذ قرون طويلة » (41) .

وعبّر عن نفس هذا الرأي والشعور في افتتاح أول مجمع يعقد في الجزائر مستفهما عن مغزى احتلال فرنسا للجزائر : « هل قضت جيوش الصليب لأول مرة على الهلال عبثا ؟ » ومتسائلا : « ما هي قواعد الحزم والإحسان

---

(39) المرجع نفسه ص 179—180 .

(40) الآثار المختارة ج 1 ص 188 .

(41) L'armée et la mission de la France en Afrique في الآثار المختارة ج 1 ص 81 .

والحذر والاحتراز التي ينبغي أن نفرضها على أنفسنا لكي نحظى قبل كل شيء بثقة هؤلاء الكفار وبقلوبهم وهم الذين يكادون يكونون جميعا أحفاد المسيحيين الذين وقعوا قهرا تحت وطأة القرآن ؟ لكن لابد من حفظ أعينهم المريضة من النور فلا يوفر لهم إلا بمقدار خوفا من إعمائهم بدون رجعة » (42) .

فنرى إذن أن اهتمام لافيجري قد انتقل من المناداة بحرية العمل إلى البحث عن الوسائل الفعالة للوصول إلى غايته بعد أن توفرت له تلك الحرية فكان مما أنشأ قرية جمع فيها عددا من اليتامى الذين نصّرهم . وقد وضّح بنفسه الهدف من مشروعه حين قال : « إن ما نريده هو خاصة ضرب مثل . وفعلا نريد أن نبيّن ما يمكن أن يرجى يوماما من هذا الجنس الإفريقي الذي هوى إلى الحضيض بإنشاء قرية عربية في ظل الصليب ولو كان ذلك في ظروف غير ملائمة فإن ما يعترض احتلالنا النهائي للجزائر هو في الواقع مسألة دين كما قلناه مرارا » (43) .

ولكنه يفسّر إنشاءه لهذه القرية تفسيرا آخر يبرر به نشاط الكنيسة من جهة ويفصل به من جهة أخرى بين الأغراض السياسية المحضة والعمل التبشيري فيلاحظ في رسالة إلى أحد نواب الجزائر سنة 1874 : « لقد حرم المجتمع العربي من كبار رؤسائه وفقد القبائليون جماعاتهم العتيقة وأزيل القضاة المسلمون في كل مكان وتغيّرت الملكية وانتقلت الأراضي إلى أيدي المعمرين ... » (44) وهو بذلك يبرز الآثار السيئة التي أحدثتها سياسة فرنسا ليقارنها بالعمل الإنساني الذي تقوم به الكنيسة والمتمثل في أن « الإحسان المسيحي أتى ليجمع أشلاء أولئك السكان المحكوم عليهم بالهلاك » (44) .

---

(42) Ancienne et nouvelles Eglise d'Afrique في نفس المرجع ج 1 ص 90 .
(43) الآثار المختارة ج 1 ص 236 .
(44) المرجع نفسه ج 1 ص 259–260 .

وهذا ما يؤكده بعد عدة سنوات حين اتهم بتنصير التونسيين فرد بقوله : «لا شك أنه ليس من الضروري أن يكون أحد كاهنا بل يكفي أن يكون إنسانا فحسب ليرغب في تغيير الأجناس المسكينة المنحطة المستقرة في إفريقيا الشمالية وليرغب في تخليصها من الشرور المستبدّة بها فيخلص النساء والأطفال وكل من هو ضعيف من الربقة الأنانية والقاسية لكل من هو قوي ويخلص الرجال من الجبرية العمياء ومن الكسل ومن كل العيوب . إلا أن التبشيــر العادي بصفة شخصية عاجز عن مواجهة الآراء المسبقة العمياء والأهواء المتأصلة المشترِكة في هذه المقاومة التي تقوم بها البربرية بل هو على العكس من ذلك ضار حين لم تعدّه العناية الإلاهية ذاتها .

إن المبشر الحق الوحيد الذي له جدوى في هذا الظرف هو عمل الأحداث التي تغيّر الوضعية السياسية لهذه الربوع فحكامنا وجنودنا هم إذن دون علم وحتى دون إرادة أعوان هذه الرسالة الجديدة . إنهم يمثلون القوة والقوة عند المسلمين هي الله ذاته وعندما يرون انفلاتها من أيديهم إلى الأبد فإنهم يضطربون وتتشوّش عقيدتهم وهو ما نلاحظه بعدُ بوضوح في الجزائر حيث يتفكك كل شيء حتى دينهم دون أي عمل ظاهر .

فهل يبقى رجال الكنيسة إذن مكتوفي الأيدي أمام هذا المنظر ؟ لا ! إنهم قد كلفوا برسالة ، برسالة سَنية ولكنها لا تستطيع ولا ينبغي لها أن تقلق أحدا . فبينما يُسلب الأهالي قدرتهم وأسلحتهمو تقاليدهم الموروثة منذ قرون فإننا نبحث عن تهدئة تلك القلوب الساخطة و إرجاعها إلى الجادة بممارسة التفاني والإحسان (45) . وإن ما نحصل عليه بهذه الطريقة ليس بدون شك

---

(45) من أحسن الأمثلة على تطبيق لافيجري لهذا المبدإ الجولة التي قام بها في المدن التونسيـة التي قاومت الحماية الفرنسية فكان يوزع الأموال بسخاء على المعوزين ويتدخل لدى السلط الفرنسية كي تخفف الغرامات التي فرضتها على السكان . انظر في هذا المجال G. Goyau المـرجـع المـذكور ص 791 – 793 (Le second acte de la conquête (tunisienne : Promenade pacificatrice de Lavigerie) .

دخولا سريعا ومتهورا في الدين المسيحي لن يكون إذ ذاك إلا تهيئة للخروج منه وإنما هو خير أكثر دواما وتمهيد ثابت بدون هزات وبدون أخطار لتغيير العالم الإفريقي » (46) .

بهذا إذن يمكن أن نفسر مختلف مظاهر النشاط التبشيري الذي قام به لافيجري في الجزائر وتونس إذ هو يتمثل في تركيز الأسس التي سيقوم عليها تنصير شمال إفريقيا عامة وتتلخص الوسائل التي دعا إليها كما رأينا :

أولا وبالذات في ممارسة الإحسان بمختلف أشكاله .

ثانيا : في تعليم الأطفال تعليما مسيحيا « يحطم التعصب الأعمى الذي يقوم لهم مقام المعتقد ويهيىء مستقبلا جديدا مع الأجيال الجديدة » .

ثالثا : في أن يكون رجال الكنيسة خاصة والأوروبيون عامة القدوة الحسنة في كل شيء حتى يكونوا مثلا يحتذيه وينسج على منواله الأهالي .

وكثيرا ما أوصى لافيجري المبشرين ، بالإضافة إلى عملهم بهذه الوسائل ، بأن لا يتركوا فرصة سانحة أو مناسبة إلا وذكّروا المسلمين بأن أجدادهم كانوا مسيحيين وأنهم لم يدخلوا في الإسلام إلا قهرا . ولهذا كان اعتناؤه بالبحث والتنقيب عن تاريخ الكنيسة الإفريقية وقد يسيها اعتناء شديدا ومتواصلا استعان فيه بزمرة من معينيه المقربين وظهرت آثاره في خطبه ورسائله . فليس من الغريب أن لا يعتبر نفسه إلا المحيي لأمجاد تلك الكنيسة وإلا الوارث لكرسي القديس سيبريان فيقول على سبيل المثال : « وكنيسة تونس هي كنيسة قرطاج الا أن قرطاج ... هي مهد المسيحية في إفريقيا ، وفيها كرسي الجاثليق (Primat) المشرف على سبعمائة كنيسة أسقفية وهي مدينة العديد من الشهداء والعلماء والمُعترّفين والعذارى المقدسات ، هي مدينة ترتيليان (Tertullien) وسيبريان (Cyprien) وفولجانس (Fulgence)

(46) الآثار المختارة ج II ص 520–521 .

وفيليسيتي (Félicité) وبربيتـو (Perpéture) ومدينـة تلك المجـامع الشهيرة التي كانت مدة طويلـة نـور العالم المسيحي » (47) . وكذا الشأن بالنسبة لأي مكان من المغرب العربي له ذكر في تاريخ الكنيسة بوجه من الوجوه.

وكانت توصياته المتكررة إلى المبشرين الذين يعدّهم للعمل في إفريقيا عامة تحذرهم من الوقوع في اليأس والشعور بالخذلان إن لم يحققوا غايتهم على النحو الذي يرجونه وإن لم يستجب الأهالي إلى دعوتهم . ويؤكد لهم أن « على المبشرين أن يكونوا بالخصوص ممهّدين لانتشار المبادىء المسيحية . أما العمل الدائم فينبغي أن يقوم به الأفارقة أنفسهم حين يصبحون مسيحيين ودعاة » ويوضح هذا الرأي بقوله : « ولابد من ملاحظة ما نقوله هنا جيدا : «حين يصبحون مسيحيين ودعاة لا حين يصبحون فرنسيين وأوروبيين ... فيجب إذن خدمة عاطفتهم وروحهم وذكائهم أي باطنهم لجعله مسيحيا بإخلاص وعلى العكس من ذلك يجب الحفاظ لهم على كل المظاهر الخارجية الأهلية من لباس وفراش ومأكل وعلى اللغة بالأخص » أما اليتامى فينبغي أن يكون مظهرهم الخارجي أوروبيا « ليكون بمثابة الحاجز دون الميول التي تردهم إلى الكفر » (48) .

ولقد تسنى للافيجري ، وقد أصبح كردينالا منذ سنة 1882 ، أن يبلورَ آراءه حول الإسلام والمسلمين في العديد من الخطب والرسائل التي ألقاها وكتبها بمناسبة الحملة التي تزعمها ابتداء من سنة 1888 للقضاء على الاسترقاق في إفريقيا والتي شفعت بمؤتمر بروكسيل سنة 1890 . فكانت تلك الحملة مندرجة في نطاق النشاط التبشيري الذي ما انفك يقوم به مذ حل بالجزائر . ولقد كنا أشرنا إلى الاستقرار الذي تتسم به أفكاره ويدلنا على ذلك قوله

(47) المرجع نفسه ج II ص 393 .

(48) Cardinal Lavigerie : Ecrits d'Afrique, recueillis et présentés par A. Hamman, Paris, Grasset, 1966. ص 129

بنفسه سنة 1888 : « عندما قد مت إلى هذه البلاد منذ ما يزيد الآن على عشرين سنة رأيت من الضروري التوغل إلى داخل إفريقيا بإزاء الأهالي الوثنيين إذا ما أبيت قصر وظيفتي على البلدان الإسلامية التي يكاد يتعسر اقتحام الانجيل لها » (49) .

وكانت الحجج التي استعملها لجلب الأنصار لحملته تنبني أساسا على اعتبارات إنسانية وهي انتشال الأفارقة من العبودية وتخليصهم من أصناف العذاب التي يتعرضون إليها عند استعبادهم ونقلهم إلى الأقطار التي يباعون فيها للخدمة المنزلية ، ثم على اعتبارات سياسية واقتصادية لها مساس متين بالاستعمار الغربي وانتشار الحضارة المسيحية فيصيح مثلا في إحدى محاضراته : « إنه القضاء المبرم عاجلا على سكان إفريقيا وانغلاق وسطها دون أوروبا وإبعاد ثرواتها ومعادن ذهبها وفضتها وفحمها وأراضيها الخصبة ومياهها المتدفقة وجمال سهولها العالية عن التمدن وجعلها غير نافعة لبقية العالم في نفس اليوم الذي عرفنا فيه وجودها » (50) .

ولم تكن دعوة لافيجري إلى القضاء على العبودية لتهمنا في هذا المجال لو أنه اقتصر في دعوته على هذه المبررات وإنما كان يحمّل المسلمين وحدهم مسؤولية الاسترقاق وانتشاره على نطاق واسع مما جلب له معارضة شديدة من المسلمين (51) وحتى من بعض الأوروبيين الذين أنكروا عليه تبجحه بعمل الكنيسة على إبطال الاسترقاق بينما يرجع « الفضل في إبطال الرق للثورة الفرنسية » . فأوضح الكردينال أنه لا يقصد إلا عددا ضئيلا من المسلمين وهم الذين يتاجرون بالرقيق دون غيرهم .

(49) Lavigerie : Documents sur la fondation de l'oeuvre antiesclavagiste ص 89 .
(50) المرجع السابق ص 386–387 .
(51) انظر مثلا الافتتاحيات والفصول التي كتبها علي بوشوشة في جريدة الحاضرة سنتي 1889 و1890 وخاصة الأعداد 71 و72 و75 و82 و96 و98 . راجع كذلك عن صدى هذه : الحملة في مصر : أحمد شفيق باشا : الرق في الإسلام ، رد مسلم على الكردينال لافيجرى ، عربه من الفرنسية أحمد زكي باشا ، ط مصر ، 1892 ، 105 ص .

لكن الرأي الثابت الذي كان لافيجري متشبثا به رغم ذلك هو أن القضاء على الاسترقاق يعني القضاء في نفس الوقت على الإسلام كنظام اجتماعي — كما يبدو ذلك من الوثائق التي نشرها بمناسبة هذه الحملة (52) — ووقف انتشاره السريع في إفريقيا حتى لا تصبح هذه القارة « فريسة لأعداء أوروبا منذ خلقوا » وضحيّة الدين الإسلامي الذي هو بالنسبة إليه « رائعة روح الشر لأنه يرضي بعض الإرضاء أعمق حاجات قلب الإنسان والحاجات الدينية بالقسط الذي يحتفظ به من الحقيقة ويفتح في نفس الوقت للأهواء كل الحواجز ويكسب فوضى الحواس صبغة شرعية ويؤله القوة الغاشمة » فيؤديه هذا الاعتقاد الراسخ إلى التساؤل : « كيف تُخَلَّص الأرواح من سلطانه ؟ » ثم يستنتج أن « الدين المحمدي لا يمكن أن يهلك إلا من تلقاء نفسه بالإفراط الذي هو نتيجة مبادئه وبالموت الذي يحمله معه في كل مكان ... » (53) .

وهكذا يتضح لنا بهذا الاستعراض ، الذي أردناه موضوعيا وخاليا من كل نزعة جدلية ، لآراء علمين من أعلام الحركة التبشيرية ، مدى الارتباط الموجود بين تلك الحركة وبين الاتجاه الاستعماري السائد في عصرهما وإلى أي حد كان كل من بورغاد ولافيجري سيء الظن بالإسلام يراه من خلال منظاره الخاص ومن خلال مظاهر التخلف التي يتخبط فيها المسلمون .

وإذا كانت سبل التبشير قد اصطبغت في كثير من الأحيان بصبغة التحدي (54) وسوء الفهم والتقدير للإسلام (55) فهل يمنع ذلك من ربط

---

(52) انظر : ... Lavigerie : Documents المرجع المذكور وخاصة ص ص XXII — XXIII و L III و51-52 و161—162 و249—252 و295—296 و382—383 و 389 و424—425 .

(53) الآثار المختارة ج II ص 55—56 .

(54) لعل أبرز مثال على ذلك المؤتمر الافخارستي المنعقد بقرطاج وتونس في ماى 1930 وإن كان شيخ الإسلام والباش مفتي المالكي آنذاك من أعضاء هيئته الشرفية ! ، انظر La Tunisie Catholique الصادرة في 27 أفريل 1930 عدد 10 .

(55) اعتبرت لهذا السبب وظيفة معهد الآداب العربية الذى أنشأه الآباء البيض بتونس سنة 1928 « غرس نقط الاستفهام الخاصة بقيمة الاسلام في نفوس المخاطبين » . انظر : A. Pons La nouvelle Eglise d'Afrique المرجع المذكور ص 323 .

الحوار بين المسيحيين والمسلمين بعد أن طويت صفحة الماضي (56) واعترف أبناء لافيجري الروحيون أنفسهم أن « طموحه في المساهمة بالجزائر في نشوء أمة عظيمة بنت لفرنسا قد نقضه تماسك سكان البلاد الأصليين اجتماعيا ودينيا » (57) ولاحظوا أن «الذين يريدون اليوم لومه على اعتباره الاستعمار حالة هيأتها العناية الإلاهية لنشر التعاليم الإنجيلية إنما يطالبون الناس بأن يجتازوا مسبقا مراحل التاريخ » ؟ (58) .

نعم ! إن كلا من الديانتين الإسلام والنصرانية ، على عكس اليهودية ، ديانة كونية ترمي إلى شمول الجنس البشري كافة وهذا ما يفسّر لنا إلى حدّ ما أسباب الصدام الذي قد يبدو مؤكدا ولا مناص منه إلا أن الرغبة الملحة في الإعراض عن النواحي السلبية في العلاقات الماضية وإرساء قواعد جديدة للتعايش المثمر أقوى من عناصر التفرقة وهي رغبة فرضتها الأحداث والتطور الحضاري المعاصر (58 مكرر) ولا يمكن أن نطالب بها الأجيال التي عاشت في إطار ثقافي مباين كل المباينة للإطار الذي نعيش فيه نحن (59) . والتأكيد على هذا الفارق الأساسي لا ينفي بالطبع فائدة الرجوع إلى الماضي

---

(56) من أوائل الأعمال التي قامت بها الحكومة التونسية بعد الاستقلال المطالبة بإزاحة تمثال الكردينال لافيجري من قلب العاصمة وقد تم نقله في 8 ماي 1956 إلى كنيسة قرطاج ثم أبرم اتفاق بين تونس والفاتيكان سنة 1964 ينص على احتفاظ الكنيسة بعد ، قليل من المعابد والمعاهد المدرسية والطبية واسترجاع الدولة التونسية لبقية ممتلكات الكنيسة وتم إثره نقل جثمان لافيجري من قرطاج إلى رومة . انظر مثلا : L'écho du diocèse de Carthage الصادر في 19 جويلية 1964 .

(57) A. Hamman في Lavigerie : Ecrits d'Afrique المرجع المذكور ص 117 .

(58) Cardinal Zoungrana في تقديمه للكتاب السابق ص II — III .

(58) مكرر : ارجع إلى بعض الملاحظات الهامة في هذا المجال في تصدير محمد أركون لترجمة القرآن إلى الفرنسية : Le Coran, traduit de l'arabe par Kasimirski, Préface : Comment lire le Coran, par Mohamed Arkoun, Paris, Garnier Flammarion, 1970, pp 30-31

(59) ولكن يمكن أن نطالب معاصرينا بإنصاف الحق حتى لا نقرأ مثل هذا الكلام : «لا يمكننا الامتناع عن أن نلاحظ في مرارة ما حققته الحركة القومية التونسية التي مسحت في بضع سنين العمل الذي قامت به الكنيسة الكاثوليكية في قرن ويشق هذا الانطباع بالخصوص في وقت يتحدث فيه بالذات عن التقدم والتسامح » : G. Zananiri, L'Eglise et l'Islam, Paris, 1969 ص 288 .

لإبراز ما اتسمت به مواقف الطرفين المتقابلين حتى تتضح مواطن الاتفاق والخلاف على السواء وبذلك يمكن تجنب حوار الصمّ ، تلك الصفة التي غلبت على كل إنتاج له صلة ما بهذه المسألة .

لكن هل نستطيع أن نعرف بوضوح مواقف التونسيين وردود فعلهم إزاء مواقف المبشرين الواضحة وهجوماتهم المنظمة ؟ لنا أن نتساءل : أين كانت نخبة البلاد وما هو موقفها من سبل التبشير المتعددة ؟ هل كان رجال الدين ، خاصة ، شاعرين بأبعاد هذه الحركة ؟ لماذا لم يردوا على المبشرين مثلما رد المشارقة بعشرات المؤلفات على حملات المبشرين البروتستان في الهند والشرق الأدنى ؟ (60) أكان ذلك على سبيل الاحتقار أم مرده إلى الجبن أم سببه ضيق الافاق العقلية الخانق ؟

كما يمكن أن نتطلع إلى معرفة النتائج التي أدت إليها هذه الحركة التبشيرية التي سخرت لها الأموال الطائلة : هل تنصر عدد من التونسيين وفي أي ظروف ؟ (61) هل كان لها مفعول ما في البيئة التي انتشرت فيها ؟ هل ساهمت في بعث حركة فكرية أثْرَت التفكير الديني مطلقا ؟ وبعبارة أوجز : ما هي انعكاساتها إيجابية كانت أو سلبية ؟

عبد المجيد الشّرفي

---

(60) انظر في هذا المجال : Georges C Anawati : Polémique, Apologie et dialogue islamo-chrétiens, in Euntes Docete commentaria urbania, Roma, 1969 ص 375–451 وخاصة القسم الثاني (Positions modernes et contemporaines) .

(61) يقدر جاك بارك (J. Berque) أن عدد الجزائريين الذين نصرهم لافيجري لا يبلغ الألف ! انظر : Le Maghreb entre deux guerres, Paris, Seuil, 1962 ص 231–232 .

مقـالة في قـوى النفس

لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد

تقديم : عبد المجيد الغنوشي

وردت هذه المقالة «في قوى النفس» لأبـي الوليد محمـّد بن أحمد بن محمـّد ابن رشد ضمن مجموعة من رسائله المخطوطة الموجودة في مكتبة «الاسكوريال» تحت المرجع الاتي : C. O. D. 632

وقد عالج فيلسوف قرطبة في هذه المجموعة مسائل منطقية ذات أهمية إذ أنها تعدّ مقدمة للفلسفة حسب ما جرت به العادة التي سنها المعلم الأول وسار عليها جل الفلاسفة المشائين في تصنيفهم مؤلفاتهم ، إذ كانوا يرون من الضروري أن يبتدىء دارس الفلسفة وخائض غمارها بحذق العلوم المنطقية وما تتضمنه من نظرية الحدود وشروطها ومن أنواع المقاييس وأحكامها ومن معرفة البراهين وتراكيبها لأن كل ذلك ينزل منزلة الآلة العقلية من صناعة الفلسفة .

ولقد تعرض أبو الوليد بن رشد في « مقدمته للفلسفة » التي نحن بصدد نشر مقالتها و تحقيقها وشرحها إلى إيضاحات منطقية حول شتى المسائل المتعلقة بالحدود والحامل والمحمول وجهات القضايا وعكوستها والمقول على الكل مبينا رأيه فيها مشيرا إلى ما رآه فاسدا في أقوال كل من الفارابـي وابن سينا والاسكندر الافروديسي وجالينوس في هذا المضمار . وبيّن أن

ابن رشد لم يصنف هذه المجموعة من الرسائل في نفس الظرف ولا في نفس البلد إذ أن بعضها وُضع في اشبيلية والآخر في قرطبة خلال سنوات مختلفة كما يشهد بذلك قوله عند فراغه من واحدة واحدة غير أنك تجد من بينها ما ليست تذكر فيها تلكم الاشارات ولم يدر فيها الحديث حول المسائل المنطقية كالمقالة التي نحن بصدد تصديرها أو كتلكم التي تعرض فيها أبو الوليد إلى الفحص عن عدد اصناف المزاجات الموجودة في نوع نوع من انواع الاجسام . وبالجملة فانا نرى أن هاتين المسألتين وإن لم يكن لهما مساس بالمنطق فهما تعدان اساسيتين ككل مسائل الطبيعيات التي تتقدم معرفتها معرفة الالاهيات ومعضلات فلسفة ما وراء الطبيعة بصفة عامة .

إنّ المحور الاساسي الذي تدور حوله مسألية هذه الرسالة وتتسع جدليا هو البحث عن جوهر القوى الكامنة في البذور والزروع وكيفية تكوينها وتخليقها للجنين ثم التعرف على طبيعتها من حيث كونها وفسادها أو عدمهما . لقد اقر أرسطو بأن الصورة والكيفية اللتين للجسم مفادتان من جسم آخر اتصل بالجسم الأول وصيره على نفس شاكلته فإن كان هذا يؤخذ مأخذ الإطلاق في كثير من المحسوسات فهل يجوز حمله على الكيفية التي بها يتكون الجنين وعلى المكوّن له . ولو سلمنا بذلك فلا بد من السؤال عن تلك القوة المكوّنة ومن التتوق إلى معرفة ماهيتها أعني لو فرضنا أن الجنين يتكون من إتصال مادته بالمني اثر الجماع لتحتم علينا تفهم كنه تلك القوة القائمة في المني والمُحَايِثَة للجنين (Immanente) . يقول ابنّ رشد أن هذه المسألية قد نظر فيها أرسطو غير أنها وردت مقتضبة في كلامه . ولذا تعهد أبو الوليد بسطها واتمامها راجعا في ذلك كله إلى مصادر المعلم الأول نفسها مستخرجا منها ما هو بالقوة في هذا المضمار .

لا يخلو قول أرسطو « ان المكون للجنين جسم » من أحد فرضين : اما أن يكون ذلك المكون هو الاب واما أن يكون غير الأب . فإن فرض الأب

لزم أن يكون مُمَاسا للجنين وملازما له في تكونه ملازمة الصانع اثناء الصناعة فأنّى يتأتى ذلك ولم يمس الأب مادة الجنين إلا حين الجماع ؟

فذلك اذن فرض محال . فهل يمكن اللّجوء إلى جسم من خارج يتولى خلق الجنين وتكوينه ؟ لكن قولنا بذلك يكون قدحا في العقل وانحرافا عما يحس اذ لسنا نرى ذلك موجودا لا في جنس النبات المتكون ولا في جنس الحيوان المتناسل . وبعد دحض هذين الافتراضين يتابع ابن رشد قوله بكامل العقلانية فيفحص افتراضات أخرى ويظهر تهافتها أمام المقتضيات المنطقية إلى أن يصل تدريجيا وبصفة مدققة متماسكة إلى الاعتراف بأن « في المني قوة مولدة لما هو مثل الذي منه المني أي موافقة لها في النوع أو الجنس . ولما كانت هذه القوة انما هي بالقوة صورة المتكون لا بالفعل وكان كل ما يكون فيه ما بالقوة عما هو بالفعل مثله وجب أن يكون الذي ينزل من الجنين منزلة المكون الأول هو الأب لأنه بالفعل مثل المتكوّن وأن تَكَوّنَ هذه القوة منزلة الآلة للصانع » وهكذا فإنا إذا صادقنا على ذلك كله أعني إذا ثبت لنا أن تَكَوّنَ الجنين مرجعه إلى قوة ابطانية متفشية في المني وفي مادة الجنين وإن تلك القوة كآلة للصناع أي هي علة مادية وفاعلة في آن واحد وجب أن نُقرر أنها أخذت تتحرك من ذاتها بعد أن أفادها المحرك الأول حركتها وانفصل عنها فبذلك اشبهت الأشياء الصناعية العجيبة المحركة من ذاتها وان فاضلتها في حرارة حيوانية خليقة بأن تكيف الجنين تكيفها هي بها . ثم ان هذه القوة فضلا عن عليتها المادية والفاعلة فَبَيِّنٌ من أمرها أنها تقوم مقام العلة الصورية ما دامت هي التي تعطي الجنين خلقته وشكله . فلا يسعنا إذن إلاّ أن نلمس شبها بينها وبين كل من القوى الطبيعية والصناعية والنفسية . الا أن ذلك الشبه يظل شبها فحسب إذ أننا لو تجاوزناه وقلنا مثلا إن تلك القوة المكونة للجنين نفس أو قوة مماثلة للقوة الطبيعية لفهنا بخُلْفٍ لأن النفس كما حدّها أرسطو « كمال لجسم آلي » وليست قوة إبطانية منبثة في المني

أو في الطبيعة . بقي لنا بعد أن أثبتنا وجود تلك القوة أن نتعرف على ماهيتها . فإذا كنا لا نستطيع البتة أن نسميها نفسا لِمَكَانِ ذلك مُنَافِيًا لمفهوم النفس فربّما أسميناها القوة المصوّرة على غرار الاطّباء لأنها تصور وتخلق أعضاء الجنين فيتراءى لنا بذلك شبه بينها وبين القوة الغاذية غير أنها ليست ولن تكون نفسا غاذية « لان النفس الغاذية هي آلة وهذه القوة ليست لها آلة إلا الحرارة » وإن كانت تلك القوة تخلق دون شك جميع أعضاء الجنين وتعطيها النفس الغاذية . وعندما يصل ابن رشد إلى هذه الاستنتجات المنطيقية المنسجمة يصعق بالسؤال عن مأتى تلك العلة المكوّنة : أهي علة متعالية (Transcendante) بالنسبة إلى قوى النفس ومحركة لها أم محايثة لها (Immanente) . فإذا كانت على الفرض الأول فالقوة التي بحثنا عنها وأثبتنا وجودها ليست ضرورية بل أن وجودها عبث ، وإن كانت على الفرض الثاني — وضروري أن تكون عليه — لزم أن تكون تلك العلة أو بالاحرى تلك القوة هي المكوّنة ولابد . « فلما فحص أرسطو عن هذا ظهر له أن جميع قوى النفس متكونة لأنها آلية لا يتم فعلها إلا بالجسم » . فَتَبَيَّنَ إذن من أمر هذه القوة المكونة للجنين انها محايثة له . وتجدر الإشارة إلى ما في هذا القول من خطورة عقائدية ما كان للتفكير الديني إذ ذاك أن يغض عنها الطرف لو تفطن إليها ، ولو لم تكن هذه مصوغة في أسلوب يذهب على الكثيرين فهمه ومقنّعة بقناع كثيف فرضته الظروف على ابن رشد أشد فلاسفة الإسلام تبصرا وعقلانية وأثقبهم نظرا .

عبد المجيد الغنّوشي

صفحة من مقالة ابن رشد « في قوى النفس »

صفحة من مقالة ابن رشد « في قوى النفس »

نص المقالة

بسم الله الرحمان الرحيم وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وسلم تسليما

– عونك اللهمّ يا رب

قال أبو الوليد بن رشد رحمه الله تعالى ورضي عنه بلطفه ورحمته :

إن الغرض في هذا القول أن نفحص عن القوى الموجودة في البزور والزروع التي تكوّن مثل ذي البزر ما جوهرها في البزور أوّلا ، ثم ثانيا في الجنين المحمول قبل أن يتم كونه . وإن كانت موجودة ، فأي وجود وجودها ، وهل هي كائنة فاسدة ، أم ليست بكائنة ولا فاسدة . وسائر ذلك ممّا يتشوّق إليه أن يعلم من أمرها . فنقول :

إن أرسطو لمّا وجد هاهُنا بعض الأجسام إذا ماست جسما آخر أفادته الصورة التي فيه والكيفية التي هو بها ما هو وكان ظاهرا من أمر الجنين أنّه جسم متكوّن بصورة مخصوصة أعني من نوع صورة الأب الذي منه البزر في الحيوان والنبات المتناسل ، ابتدأ أوّلا ففحص عن هذا المكوّن للجنين هل يمكن أن يكون جسما ، وإن كان جسما فهل هو من خارج كأنك قلت الأب ، أم هو أيضا جسم من الأجسام ينفصل من الأب ويتصل بمادة الجنين أوّلا فيكوّن الجنين في الرحم أم هي قوّة تنفصل من الأب في المني وتصير في الرحم فتتصل بمادة فتكوّنه . وإن كان ذلك كذلك فما جوهر هذه القوة واي وجود وجودها في المنيّ اوّلا وفي الجنين ثانيا ، وهل هذه القوّة هي المحرّك الأوّل في التكوين ، أم المحرّك الأوّل لها قوّة غير هذه القوّة . وإن كان ذلك كذلك فما جوهر هذه القوّة وهل هي في جسم أو ليست في جسم . وإن كانت في جسم فأي وجود وجودها في ذلك الجسم . فهذه هي حال المطالب التي ينبغي أن تطلب في هذا المعنى وهي في كلام أرسطو موجودة

إلاّ أن منها ما هي موجودة بالفعل في كلامه ، ومنها ما هي موجودة بالقوّة في أصوله التي أصّل . فلنبتدىء نحن بعون الله منها بما هو موجود بالفعل في كلامه ، ثم بما هو موجود بالقوّة في أصوله . فنقول :

إنّ أول ما بدأ به أرسطو هو الفحص عن المطلب الأوّل وهو : هل يمكن أن يكون المكوّن للجنين والمخلق له جسما من خارج كأنك قلت الاب على أنه مكتف بنفسه في هذا الفعل وإن كان أخذه أخذا مطلقا على جهة ما تؤخذ الأقاويل الجدلية المتعارضة حتّى إذا قيّدت بالقيود الصحيحة انحلّ التعارض وظهرت طبيعة البرهان فنقول :

ان أرسطو لمّا وضع أولا المكوّن هو جسم من خارج ، لم يخل هذا الجسم أن يكون الأب أو جسما آخر من خارج هو غير الأب . فإن وضعناه الأب ، فقد لزم أن يكون مماسا حتّى يتم كونه ، لأن هذه هي حال الأجسام التي يكوّن بعضها بعضا من خارج والا يفارق ويبلى والجنين بعد تكوّن وإنّما ماس الأب مادة الجنين في وقت ما هو وهو في حين الجماع .

وإن فرضنا انّ الذي ولي التكوين بعد للجنين هو جسم آخر من خارج ، كان ذلك بخلاف ما يحس . وذلك أنّا لسنا نرى ذلك موجودا لا في جنس النبات المتكون ولا في جنس الحيوان المتناسل . ولا نقدر أن نقول أيضا إنّ في الرحم جسما هو الذي يولّد الجنين لأنّه يلزم أن يكون متنفسا وحيوانا ولان يكون له مولّد . ولا نرى أيضا شيئا من هذه يتولد من هذه من غير بزر ، فوجب أن يكون الشيء المولّد في البزر متولدا عن ذي البزر بتوسط البزر خارجا . ولسنا نقدر أن نقول في الحيوان انه يخرج من كل عضو من اعضاء المولّد عضو مثله لأنّ ذلك قد تبيّن بطلانه . وايضا فأنا نرى اعضاء الجنين تتكون بعضها بعد بعض وليس تتكوّن معا . وأيضا لو كان ذلك لكان تولد الجنين كمونا لا كونا . وهذا كلّه قد تبيّن امتناعه . ولا يمكن أيضا أن يعيش كلّ عضو منفصلا من صاحبه ثمّ يتّصل به من ذاته فيكون واحدا .

وهذا كلّه مستحيل . ولا نقدر أيضا أن نقول إنّ عضوا واحدا في المني هو الذي كوّن سائر الأعضاء كأنك قلت القلب لأنه لو كان ذلك كذلك لكان في القلب صورة جميع الأعضاء بالفعل كالحال في صورة المصنوع عند الصانع ولأن الذي بالقوّة إنّما هو أبدا عن الذي بالفعل المحض في المهنة والطبيعة . فلم يبق إلاّ أن يكون في المني قوّة مولدة لما هو مثل الذي منه المني أي موافقة لها في النوع أو الجنس . ولمّا كانت هذه القوّة إنّما هي بالقوّة صورة المتكوّن لا بالفعل ، وكان كلّ ما يكون بالطبيعة أو بالصناعة إنّما يكون فيه ما بالقوّة عمّا هو بالفعل مثله ، وجب أن يكون الذي يتنزّل من الجنين منزلة المكوّن الأوّل هو الأب لأنّه بالفعل مثل المتكوّن وأن تكون هذه القوّة منزلة الآلة للصّانع . لكن لمّا كانت الالات لا تتحرك إلاّ بمباشرة الصّانع لها ، وهذه القوّة يظهر من أمرها انّها محركة من ذاتها وقد فقدت المحرّك الأول أشبهت عند أرسطو من الأمور الصناعية الأشياء العجيبة التي يظهر انّها تتحرك من ذاتها وإنّما استفادت هذه الحركة من الصانع الذي صنعها أعني المتحرك من ذاته . ولمّا كانت هذه القوّة انّما تفعل بحرارة وكانت الحرارة بما هي حرارة لا تفيد المفعول إلاّ كيفية مثلها ، وكانت هذه القوّة يظهر من أمرها انّها تفعل الشكل والخلقة ، وكان الذي يفيد الشكل والخلقة في الأمور الصناعية هو صورة الصناعة ، وجب أن تكون هذه القوّة في الأمور الطبيعية نظيرة لقوّة الصناعة في الأشياء المصنوعة ونظيرة لقوّة النفس في الأشياء المتنفسة إلاّ أنها ليست نفسا لأن النفس إنما هي كمال لجسم آلي . فلمّا انتهى أرسطو من الفحص عن هذه القوّة إلى هذا ، أخذ يفحص عن طبيعة هذه القوّة ما هي لأنّه ليس يمكن أن تكون نفسا ولا قوّة مثل القوى الطبيعية التي في الأسطقسات . ولمّا كان الفحص عن طبائع القوى التطرق إليه إنّما هو من أفعالها وكان بيّنا من أمر هذه القوّة انّ أوّل شيء تفعله هو تخليق الأعضاء وتصويرها ولذلك سمّتها الأطبّاء القوّة المصورة أشبهت هذه الصورة الغاذية وذلك لأن القوة الغاذية تصيّر ما هو بالقوّة

جُزءُ من المغتذي جزءا متنفسا منه بالفعل وهذه القوّة تصيّر ما هو بالقوّة جميع أجزاء المغتذي متنفسا بالفعل أي مغتذيا بالفعل ، فإنّه ليس يصير عضوا من أعضاء المغتذي بالفعل إلاّ وفيه القوّة الغاذية بالفعل ، والفاعل كما قيل في غير هذا الموضوع هو المعطي للغاية من المفعول التي هي الصورة .

فدلّ هذا كلّه على أنّ هذه القوّة هي التي تصوّر الأعضاء وتعطيها النفس الغاذية وانها ليست نفسا غاذية لأن النفس الغاذية هي آلية ، وهذه القوة ليست لها آلة إلاّ الحرارة فقط . ولما كان الفحص عن أفعال هذه القوّة يحتاج أن يتقدّمه أوّلا فيفحص عن قوى النفس فإن كان فيها ما يتكوّن فتكون هذه القوّة هي المكوّنة ولابدّ ، وإن كان فيها شيء غير متكوّن كان ولابدّ واردا من خارج ولم يَحْتَج إلى هذه القوّة ولم تكن هذه القوّة مكوّنة . فلمّا فحص أرسطو عن هذا ظهر له أن جميع قوى النفس متكوّنة لأنّها آلية لا يتم فعلها إلاّ بالجسم مثل القوّة المحركة في المكان والقوّة الحسّاسة المدركة . وأمّا العقل فلمّا لم يكن يظهر انّ له آلة جسمانية يفعل بها كالحال في سائر قوى النفس ، وقع الشكّ : هل هو داخل من خارج أم يتكوّن بوجه ما وهو داخل من خارج بوجه ما . فأرجأ الفحص عن ذلك إلى الموضع الذي يليق به وقال انّ الظنّ الغالب في هذا هو أنّه يرد من خارج وقضى على أن كلّ قوّة نفسانية فهي محتاجة إلى جسد تقوم به . ولمّا نظر في طبيعة هذا الجسد قال إنّه جسد أكرم من كل واحد من الأسطقسات الأربعة وقال فيه إنّه جسد الاهي وإنّه يختلف بالكرم والشرف .

(انتهى ما وجد من هذا الكلام والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيدنا محمد وا اله وسلّم تسليما) .

لفظـة « أمـر » في القـرآن

بقلم : علي الشنوفي

في الحديث الشريـف : « مـن تكلّـم في القرآن برأيـه فأ صـاب فقـد أخطأ » . (1) إنّ لغة القرآن كانت ولا تزال منذ صدر الإسلام إلى يوم الناس هذا موضوع أ صناف من البحوث المتعدّدة قام بها علماء الإسلام من مسلمين(2) ومستشرقين (3)

(1) أخرجه أبو داود والترمذي . انظر : الطاهر ابن عاشور : أليس الصبح بقريب . تونس 1967 . ص 188 . « ... أما حديث : « من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ – وفي رواية – فليتبوأ مقعده من النار » فهو غريب عند الترمذي ، وتكلم أبو داود في بعض رواته . قال ابن عطية : « معنى هذا أن يسأل الرجل عن معنى فيتسور عليه برأيه من غير نظر فيما قال العلماء أو اقتضى قانون العلم ... » .

(2) نذكر من علماء الإسلام المسلميـن بعضا ممن رجعنا إلى تآليفهم في إعداد هذا الدراسة :
الطبري : م. سنة 310هـ . (كتاب جامع البيان في تفسير القرآن . ط. مصر 1374.)
الزمخشري : م. سنة 538هـ. (كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل . ط. القاهرة 1946.)
فخر الدين الرازي : م. سنة 606هـ. (كتاب مفاتيح الغيب . ط. القاهرة 1321هـ.)
البيضاوي : م. 685هـ. (كتاب أنوار التنزيل وأسرار التأويل . ليبزيق 1848.)
الزركشي : م. 794هـ. (كتاب البرهان في علوم القرآن . ط. القاهرة 1957.)
السيوطي : م. 911هـ. (كتاب الإتقان في علوم القرآن . القاهرة 1941.)
(تفسير الجلالين : جلال الدين المحلي م. 864هـ. وجـلال الديـن السيوطي . ط. مصر 1280هـ.)

(3) نذكر من المستشرقين الذين اعتنوا بدراسة القرآن بعضا ممن رجعنا إلى دراساتهم في إعداد هذا البحث :

Baljon. J.M.S. : The « Amr of God » in the Koran. Analacta Orientalia. XXII, 1958.

Blachère. R. : Introduction au Coran, Iº éd. 1947; 2º éd. 1959.

— Le Coran, traduction selon un essai de reclassement des

ومما لا شكّ فيه أنّ كلّ طريقة في البحث لا تخلو من مطعن لاسيّما إذا كان البحث في ألفاظ القرآن وتراكيبه . إلاّ أنّ ذلك لم يكن سببا كافيا لعدول الدارسين عن البحث على أساس من الدقّة والاستقصاء وملازمة التحرّي وهو الأساس الذي اعتمدناه في دراستنا هذه التي غرضنا منها محاولة ضبط المعاني التي وردت بها لفظة « أمر » في القرآن على ضوء اطرادها في الآيات مع الإلمام بنسبة السور من حيث ترتيبها الزمني بمقتضى مختلف مراحل نزول

Sourates, 3 vol., Paris 1947-1951.

— Dictionnaire Arabe-Français-Anglais, T.I , Fas. 4, pp. 202-212

Brunschvig. R. : « Simples remarques négatives sur le vocabulaire du Coran » in Studia Islamica. V. 1956.

Chelhod. J. : Note sur l'emploi du mot « Rabb » dans le Coran, in Arabica, 1958, pp. 159-167.

Fluge[l] G. : Concordance du Coran. Leipzig, 1842.

— Corani Textus Arabicus, 3° éd., Leipzig, 1870.

Hirschfeld. H. : New Researches into the composition and exegesis of the Coran. London, 1902.

Jomier. J. : Quelques positions actuelles de l'exégèse coranique en Egypte. Midéo - 1 - 1954.

— L'exégèse scientifique du Coran d'après le Cheikh Amîn al-Hûlî, Midéo-4-1957, pp. 269-280.

— Le nom divin « al-Rahmân » dans le Coran, dans Mélanges Louis Massignon, II, p. 371.

Massignon L. : « L'idée de l'Esprit dans l'Islam » in Eranos-Jahrbuch, V. 13 (1945), pp. 277-282.

Miquel. A. : « La particule Innamâ dans le Coran » in Journal Asiatique, 1960, pp. 483-498.

— « La particule Hattâ dans le Coran » in B.E.O. t. XXI. 1968, pp. 411-436.

Noldèke. Th. : Geschichte des Qorans. 2° éd. revisée et complétée par Schwally, 3 vol. Leipzig, 1938.

O'Shanghnessy. T. : « The development of the meaning of spirit in the Koran ». in Orientalia Christiana Analecta. 139. Roma. 1953.

Pines. S. : L'article « Amr » in E.I., 2° éd. pp. 462-463.

Sabbagh. S .: La métaphore dans le Coran. Paris 1943.

Teissier. H. : Le « Zulm » dans le Coran. Midéo. 4 (1956) pp. 255-261

الوحي وذلك بالرجوع إلى نصّ القرآن رأسا دون نصّ آخر ولو كان حديثا شريفا مع العلم بأنّ القرآن والحديث أبداً متعاضدان على استيفاء الحق وإخراجه من مدارج الحكمة حتى إنّ كلّ واحد منهما يخصّص عموم الآخر ويبيّن إجماله (4) .

ذلك أنّ تفسير القرآن بالقرآن «أحسن طريق التفسير إذ ما أجمل في مكان من القرآن فقد فصّل في موضع آخر منه ، وما اختصر في مكان فإنّه بسط في آخر» (5) . وقد جاء عن أبي الدرداء رضـه : « لا يفقه الرجل كلّ الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة » أي اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة (6) . قال فخر الدين الرّازي في مفاتيح الغيب (7) : « ثبت في أصول الفقه أنّ المتقدّمين إذا ذكروا وجها في تفسير الآية فذلك لا يمنع المتأخّرين من استخراج وجه آخر في تفسيرها ولولا جواز ذلك لصارت الدقائق التي استنبطها المتأخّرون في التفسير مردودة باطلة وذلك لا يقوله إلاّ مقلّد خلف » .

وجرياً على هذا النسق في تبيين معاني الكلمات القرآنية بحسب استعمال اللغة العربيّة عمدنا إلى لفظة « أمر » فوجدناها قد وردت في القرآن بصيغة الفعل ثلاثمائة مرّة كلّها في المعنى الأصلي أي نفس الأمر وضدّه النهي (8) إلا أنّها وردت بصيغة الاسم مائة وأربعا وستّين مرّة منها مائة وإحدى وخمسون في المفرد وثلاث عشرة في الجمع . وهكذا احتملت لفظة « أمر » معاني متعدّدة متنوّعة حسب اقتضاء سائر أوقات نزول القرآن منجّما في أوقات مختلفة (9) .

---

(4) انظر : الزركشي : البرهان : ج 2 ص 129 .
(5) انظر : الزركشي : البرهان : ج 2 ص 175 .
(6) انظر : الزركشي : البرهان : ج 2 ص 208 .
(7) انظر : فخر الدين الرازي : مفاتيح الغيب . (تفسير سورة النساء – الآية : وإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة –) .
(8) انظر : ابن منظور : لسان العرب . ط. بيروت . 1955 ج 4 ص ص : 26–34 .
(9) انظر : الزركشي : البرهان : ج 1 ص 228 .

وحاولنا حصر المعاني بكيفيّتين: **اولاهما** اعتمدنا فيها النظر في لفظة « أمر » من حيث المعنى الاصلي والمعاني المجازية المنبثقة من السياق فكانت جملة هاته المعاني المجازية ستّة على سبيل التقريب .

أمّا لفظة « أمر » بمعناها الأصلي أي نفس الأمر وضدّه النهي فهو المعنى الوارد في غالب الاستعمالات كما في السور والآيات التالية (10) :
34 . 44—**51** . 7—**49** . 24—**30** . 37—**14** . 11—**45** . 68—48—**18** . 62—**11**
. 63—**24** . 11

وأمّا المعاني المجازيّة الستّة فهي كما يلي :

أوّلا : لفظة أمر بمعنى الملك والأخذ بالناصية أي القدرة والملكوت وذلك كما في السور والآيات التالية : **82**—19 . 7—52 .

ثانيا : لفظة أمر بمعنى الحكم بالجزاء إمّا خيرًا وإمّا شرّا وذلك كما في السور والآيات التالية : **11**—46—62—78 84—97—103 . **23**—27 . **40**—78 .
. 13—57

ثالثا : لفظة أمر بمعنى الحالة التي عليها الإنسان وذلك كما في السور والآيات التالية : **50**—5 . **18**—72 . **65**—4 . **5**—96 .

رابعًا : لفظة أمر بمعنى الخلق والشيء وذلك كما في السور والآيات التالية : **19**—36 . **30**—70 . **2**—11 . **3**—42 . **36**—82 .

---

(10) اثبتنا أرقام السور حسب مصحف عثمان ورقم السورة مضخم أما رقم الآية فهو الموالي له. وقد أثبتنا أرقام الآيات حسب ترقيم فلوقل « Flugel » في كتابه نجوم الفرقان في أطراف القرآن (Concordance) . مع الملاحظة أن ترقيم الآيات عند « فلوقل » لا يتوافق أحيانا كثيرة مع ترقيمها في مصحف عثمان طبعة القاهرة . كما أن ترتيب سور القرآن وفقا للمراحل التاريخية لا يتوافق في محاولات المستشرقين أمثال نولدكه Noldeke وبلاشير Blachère وموير Muir وهرشفلد Hirschfeld . وقد اعتمدنا ترتيب نولدكه . انظر بخصوص هذه المسألة : صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن . دمشق . 1958 . ص ص : 174—178 . انظر أيضا الجداول في آخر دراستنا هذه للاطلاع على نص الآيات . والملاحظ أننا أثبتنا السور في الجداول حسب محاولة نولدكه في ترتيبها الزمني وقابلنا ترتيبه بترتيب بلاشير . فمثلا سورة القدر رقمها في المصحف 97 وفي ترتيب نولدكه 14 وفي ترتيب بلاشير 29 .

خامسا : لفظة أمر بمعنى تدبير شؤون العالم بأسره وذلك كما في السور والآيات التالية : **32**—4 . **10**—3 . **13**—2 .

سادسا : لفظة أمر بمعنى الإرادة والعزم وذلك كما في السور والآيات التالية : **31**—16 . **31**—21 . **42**—41 . **3**—183 .

وبالإضافة إلى هذه المعاني فقد وردت لفظة أمر بمعنى العلماء والأمراء كما في السورة : **4** في الآيتين : 62—85 . أو بمعنى الطوفان وعاقبة الأمور كما في السورة : **11** في الآية : 46 والسورة : **14** الآية : 26 .

أمّا الكيفيّة الثانية لحصر معاني لفظة أمر في القرآن فقد اعتمدنا فيها النظر في تلك اللفظة من حيث اختصاصُها بالله تارة وبالإنسان أخرى ثمّ بالسماوات . وتبيّن بعد الاستقصاء أنّ لفظة أمر لم ترد مختصّة بالسماوات إلا مرّة واحدة وذلك في سورة فصّلت : **41**—الآية : 11 . أمّا ورودها مختصّة بالإنسان فذلك كما في السور والآيات التالية : **20**—65—92—94 . **21**—81 . **3**—145 . **11**—62 . **18**—15 . **10**—72 . **59**—15 . **65**—9 . **23**—55 . **22**—66 .

واختصّت لفظة أمر بالله تعالى مائة مرّة وذلك كما في السور والآيات التالية : **18**—48—87 . **10**—3—25—32 . **7**—52—149 . **30**—24 . **54**—50 . **65**—4—12 . **32**—4 . **8**—46 . **21**—73 . **45**—16—17 . **22**—64 . **11**—45—46 76 . **16**—1—2 . **15**—66 . **82**—19 . **19**—65 . **79**—5 . **51**—4 . **13**—12 . **97**—4 . **17**—87 . **40**—15 . **42**—52 .

فلفظة أمر في هذه الآيات تعدّدت معانيها فالأمر معناه في السورة : **18** الآية : 48 طلب حصول فعل . ومعناه نظام الخلق في السورة : **10** الآية : 3 . ثم هو نظام الأجرام السماوية في السورة : **7** الآية : 52 . وهو حكم الله وقضاؤه في السورة : **30** الآية 24 . وهو تدبير خلق الإنسان في السورة : 10 الآية : 32 . وهو نظام العالم في السورة : **65** الآية : 12 وفي السورة : **32**

الآية : 4 . ثم هو تنفيذ الأمر في السورة : **8** الآية 46 . وهو جزاء الإنسان إمّا خيرًا وإمّا شرّا في السورة : **21** الآية : 73 . وهو الهدى في السورة : **45** الآية : 16 . وهو نعمة ربّانية في السورة : **22** الآية : 64 ويقابل هذا المعنى صريح الآية 31 من سورة لقمان : **31** .

ووردت لفظة أمر بمعنى العذاب كما في السور والآيات التالية : **10**—25 . **54**—50 . **16**—1 . **15**—66 . **11**—45—46 . **7**—149 . كما وردت بمعنى اليسر وحسن الجزاء في السورة : **65** الآية : 4 وفي السورة : **18** الآية : 87 . وبمعنى يوم الحساب في السورة : **82** الآية : 19 .

وجاءت لفظة أمر بمعنى القضاء الإلاهي في السورة : **97** الآية : 4 وهي قوله تعالى : « تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربّهم من كل أمر » . وهنا نلاحظ بخصوص علاقة الروح بأمر الله ورود ذلك في السور والآيات الآتية : **17**—87 . **16**—2 . **40**—15 . **42**—52 . في هذه السور الأربع التي جعلها « نولدك Noldeke وبلاشير Blachère في الفترة المكيّة الثالثة (11) وهي فترة السنوات الأخيرة من إقامة الرسول (صلعم) بمكّة (12) تظهر لفظة الروح في تركيب خاصّ هو : « الروح من أمر » فهذه العبارة إنما وردت في هذه السور الأربع فقط . فالرسول (صلعم) تبنّى أثناء هذه الفترة المكيّة الثالثة طريقة ثابتة بخصوص الروح إذ آخر هذه الفترة يوافق مدّة توطيد دعوته (صلعم) الرامية إلى حمل سكّان ضواحي مدينة الطائف والقبائل البدوية الوافدة إلى مكّة على اعتناق الإسلام . ويُبيّن خطاب الجنس والعموم نحو

(11) انظر : Noldeke-Schwally : G.D.C., vol. 1, pp. 140-141
انظر : Blachère. R., Le Coran., vol. 2, pp. 349-375

(12) اختلف في كيفية إنزال القرآن على أقوال أشهرها وأصحها الذي ذهب إليه الكثيرون وهو أن القرآن نزل إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجما في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين على حسب الاختلاف في مدة إقامة الرسول بمكة بعد النبوة . أنظر : الزركشي : البرهان : ج 1 ص 228 .

« يا أيّها الناس » في سورة البقرة : 2 الآية : 168 أنّ الخطاب لأهل مكّة (13) وأنّ المخاطبين أصبح عددهم كثيرًا . والملاحظ أنّ القرآن وردت فيه سورتان ابتُدِئتا بقوله تعالى : « يا أيّها الناس » إحداهما في النصف الأوّل من القرآن وهي السورة الرابعة منه أي سورة النساء . والثانية في النصف الثاني منه وهي سورة الحجّ . أمّا الأولى فتشتمل على شرح المبدأ وأمّا الثانية فتشتمل على شرح المعاد .

في مكّة قوم طغاة معاندون يضطهدون الرسول (صلعم) الذي اعتنى ابتداء من الفترة المكّية الثالثة اعتناء بالغا بمنع الحجّة عن كلّ مسارع إلى الطعن في رسالته وهكذا كثر في مكّة نزول الآيات التي تقرع المشركين وتشتدّ في تسفيه أحلامهم . في هذه الفترة يدخل معنى لفظة الروح في إطار جديد وبالتالي لفظة أمر . فـفي العبارة القرآنية الأولى حسب الترتيب الزمني وهي في سورة الإسراء : **17** الآية : 87 يسأل المشركون رسول الله عن الروح : « ويَسْألُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أمْرِ رَبِّي وَمَا أوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إلاّ قَلِيلاً » . ثم في السورة الموالية لها وهي سورة النحل : **16** الآية : 2 ترد لفظة الروح من جديد مع لفظة أمر : « يُنَزِّلُ المَلاَئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ » . إلاّ أنّ المعنى في الآية الثانية من سورة النحل قد تغيّر عن المعنى في الآية 87 من سورة الإسراء . فهذه الآية الثانية من سورة النحل تبدو كأنّها تقريع للمشركين ورفع لكل ريبة قد تخامر الأذهان بشأن دعوة الرسول . ثم إنّ معنى لفظة الروح في هذا التركيب يتوقّف على تفسير معنى لفظة أمر في حين أنّ تحديد معنى لفظة أمر في هاتين الآيتين قد يعنّ من السياق إلا أنّ ذلك يتوقّف على فهم استعمال حرف الجرّ مِنْ .

فحرف مِنْ مستعمل بمعنى الإطلاق إذ مِنْ تكون لبيان المصدر والسبب والنسبة الباقية بين الجزء والكلّ مع ما في ذلك من مختلف المفاهيم الخاصّة

(13) انظر : الزركشي : البرهان : ج 2 ص ص : 252—253 .

بالاستعمال العادي (14) . قال الزمخشري في تفسير الآية الثانية من سورة النحل : **16**—2 : « بالروح من أمره أي بما يحيـي القلوب الميّتة بالجهـل مـن وحيه أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد (15) » . وقال الزمخشري في تفسير الآية 87 من سورة الإسراء **17** : « الأكثر على أنّه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فأخبر أنّه من أمر الله أي ممّا استأثر بعلمه . وعن ابن أبـي بريدة : لقد مضى النبـيّ (صلعم) وما يعلم الروح . (ذكره الواحدي في الوسيط عن عبد الله بن بريدة بهذا في حديث لم يسبق إسناده) . وقيل : هو خلق عظيم روحاني أعظم من المَلَك . وقيل : جبريل عليه السلام . وقيل : القرآن . ومن أمر ربّـي : أي من وحيه وكلامه ، ليس من كلام البشر . بعث اليهود إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن أجاب عنها أو سكت فليس بنبـيّ وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبـيّ . فَبَيَّنَ لهم القصّتَيْن وأبْهَمَ أمْرَ الروح وهو مُبهَم في التوراة فندموا على سؤالهم (16)» .

أمّا بخصوص الآية 15 من سورة غافر 40 والآية 52 من سورة الشورى **42** فالزمخشري فسّر الأولى (**40**—15) كما يلي : يلقي الروح من أمره الذي هو سبب الحياة . من أمره : يريد الوحي الذي هو أمر بالخير وبعث عليه . فاستعار له الروح (17) وفسّر الآية الثانية (**42**—52) كما يلي : يريد ما أوحى إليه لأنّ الخلق يحيون به في دينهم كما يحيا الجسد بالروح (18) . إلاّ أنّه يبدو أنّ أيسر طريق لإدراك مدلول لفظة أمر في هذه الآيات القرانية الأربع (**17**—87 . **16**—2 . **40**—15 . **42**—52) إنّما هو تفسيرها تفسيرًا لفظيًا مركّزًا

(14) انظر : Wright, W., Grammar., vol. 2, pp. 129-139.
(15) انظر : الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل . ط. القاهرة 1946 . ج 2 ص 593 .
(16) انظر : الزمخشري : الكشاف . ج 2 ص 690 .
(17) الزمخشري : الكشاف . ج 4 ص . 156 .
(18) الزمخشري : الكشاف . ج 4 ص 234 .

على السياق أي روح أمر ربّـي . وهو التفسير الذي تبنّـاه غالبا كبار المفسّرين كالطبري وفخر الدين الرازي والبيضاوي وعلى هؤلاء استند مترجمو القرآن إلى اللغات غير العربية (19) . وهكذا نتجنّب جعل مفادات مفردات القرآن وتراكيبه منافذ يخرج منها إلى أغراض دعائية أو مذهبية أو حزبية (20) .

(19) انظر : Blachère. R Le Coran. Traduction selon un essai de reclassement des Sourates. Paris 1949, T. II., pp. 391, 397, 485. T. III., 1951, p. 557

(20) انظر : Goldziher. Ig. Die Richtungen der Islamischen Koranauslegung, Leyde. 1920.

انظر : الطاهر ابن عاشور : أليس الصبح بقريب . تونس 1967 . ص ص 184—190

تعريف السورة عن مصحف عثمان	رقم السورة في المصحف	رقم الآية	
		المصحف	فلوقل
سورة القدر مكيّة وآياتها 5 نزلت بعد عبس	97	4	4
سورة الانفطار مكيّة وآياتها 19 نزلت بعد النازعات	82	19	19
سورة النازعات مكيّة وآياتها 46 نزلت بعد النبإ	79	5	5
سورة الذاريات مكيّة وآياتها 60 نزلت بعد الأحقاف	51	4	4
		44	44
سورة القمر مكيّة إلاّ الآيات 44–45–46 فمدنية وآياتها 55 نزلت بعد الطارق	54	3	3
		12	12
		50	50
سورة الدخان مكيّة وآياتها 59 نزلت بعد الزخرف	44	4	3
		5	4
سورة ق مكيّة إلاّ آية 38 فمدنية وآياتها 45 نزلت بعد المرسلات	50	5	5
سورة طه مكيّة إلا آيتي 130 و131 فمدنيات وآياتها 135 نزلت بعد مريم	20	26	27
		32	33
		62	65
		93	92
		90	94

نصّ الآية	رقم السورة في المصحف	رقم السورة حسب ترتيب نولدكه	رقم السورة حسب ترتيب بلاشير
تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالروحُ فيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ من كُلِّ أمْرٍ	97	14	29
يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأمْرُ يَوْمَئذٍ لِلَّه	82	26	15
فَالْمُدَبِّرَاتِ أمْرًا	79	31	20
فَالْمُقَسِّمَاتِ أمْرًا	51	38	49
فَعَتَوْا عَنْ أمْرِ رَبِّهِمْ فَأخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ			
وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أمْرٍ مُسْتَقِرٌّ	54	49	50
وَفَجَّرْنَا الأرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أمْرٍ قَدْ قُدِرَ			
وَمَا أمْرُنَا إلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ			
فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أمْرٍ حَكِيمٍ	44	53	55
أمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ			
بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أمْرٍ مَرِيجٍ	50	54	56
وَيَسِّرْ لِي أمْرِي	20	55	57
وَأشْرِكْهُ فِي أمْرِي			
فَتَنَازَعُوا أمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأسَرُّوا النَّجْوَى			
ألاَّ تَتَّبِعَنِ أفَعَصَيْتَ أمْرِي			
فَاتَّبِعُونِي وَأطِيعُوا أمْرِي			

تعريف السورة عن مصحف عثمان	رقم السورة في المصحف	رقم الآية	
		المصحف	فلوقل
سورة الشعراء مكيّة إلاّ آية 197 ومن 224 إلى آخر السورة فمدنية وآياتها 227 نزلت بعد الواقعة	26	151	151
سورة الحجر مكيّة إلا آية 87 فمدنية وآياتها 99 نزلت بعد سورة يوسف	15	66	66
سورة مريم مكيّة إلاّ آيتي 58 و71 فمدنيتان وآياتها 98 نزلت بعد فاطر	19	21	21
		35	36
		39	40
		64	65
سورة ص مكيّة وآياتها 88 نزلت بعد القمر	38	36	35
سورة يس مكيّة إلاّ آية 45 فمدنية وآياتها 83 نزلت بعد الجنّ	36	82	82
سورة الزخرف مكيّة إلاّ آية 54 فمدنية وآياتها 89 نزلت بعد الشورى	43	79	79
سورة المؤمنون مكيّة وآياتها 118 نزلت بعد الأنبياء	23	27	27
		53	55

نصّ الآية	رقم السورة في المصحف	رقم السورة حسب ترتيب نولدكه	رقم السورة حسب ترتيب بلاشير
ولا تطيعوا أمر المسرفين	26	56	58
وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء ـقطوع	15	57	59
قال كذلك قال ربك هو علي هين لنجعله آية للناس ورحمة منا وكان ـمرا مقضيا ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا ـضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم ـي غفلة وهم لا يؤمنون وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا ـما خلفنا وما بين ذلك	19	58	60
فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث ـصاب	38	59	61
إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن ـيكون	36	60	62
أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون	43	61	63
فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ـوحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور	23	64	66
فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا			

تعريف السورة عن مصحف عثمان	رقم السورة في المصحف	رقم الآية	
		المصحف	فلوقل
سورة الأنبياء مكّيّة وآياتها 112 نزلت بعد سورة إبراهيم	21	27	27
		73	73
		81	81
		93	93
سورة الإسراء مكّيّة إلاّ الآيات 26ـ32ـ33ـ57 ومن آية 73 إلى غاية آية 80 فمدنية وآياتها 111 نزلت بعد القصص	17	85	87
سورة النمل مكية وآياتها 93 نزلت بعد سورة الشعراء	27	32	32
		32	32
		33	33
سورة الكهف مكّيّة إلاّ آية 28 ومن آية 83 إلى غاية آية 101 فمدنية وآياتها 110 نزلت بعد الغاشية	18	10	9
		16	15
		21	20
		28	27

نصّ الآية	رقم السورة في المصحف	رقم السورة حسب ترتيب نولدكه	رقم السورة حسب ترتيب بلاشير
لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ	21	65	67
وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِم فِعْلَ الْخَيْرَاتِ			
وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ			
وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ			
وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً	17	67	74
قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونَ	27	68	69
قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ			
وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا	18	69	70
وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا			
إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ			
وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا			

تعريف السورة عن مصحف عثمان	رقم السورة في المصحف	رقم الآية	
		المصحف	فلوقل
سورة الكهف مكّيـة إلاّ آية 28 ومن آية 83 إلى غاية آية 101 فمدنية وآياتها 110 نزلت بعد الغاشية	18	50	48
		69	68
		73	72
		82	81
		88	87
سورة السجدة مكّية إلا من آية 16 إلى غاية 20 فمدنية وآياتها 30 نزلت بعد المؤمنون	32	5	4
			24
سورة فصّلت مكّية وآياتها 54 نزلت بعد غافر	41	12	11
سورة الجاثية مكّية إلا آية 14 فمدنية وآياتهـا 37 نزلت بعد الدخان	45	12	11
		17	16
		18	17
سورة النحل مكية إلاّ الآيات الثلاث الأخيرة فمدنية وآياتها 128 نزلت بعد الكهف	16	1	1

نصّ الآيه	رقم السورة في المصحف	رقم السورة حسب ترتيب نولدكه	رقم السورة حسب ترتيب بلاشير
فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ ـن أَمْرِ رَبِّه قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلاَ ـعْصِي لَكَ أَمْرًا قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي ـن أَمْرِي عُسْرًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا ـكَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا			
يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا	32	70	71
فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى ـي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا	41	71	72
اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ ـيه بِأَمْرِه وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ ـن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا	45	72	73
أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ	16	73	75

تعريف السورة عن مصحف عثمان	رقم السورة في المصحف	رقم الآية: المصحف	رقم الآية: فلوقل
سورة النحل مكية إلا الآيات الثلاث الأخيرة فمدنية وآياتها 128 نزلت بعد الكهف	16	2	2
		12	12
		33	35
		77	79
سورة الروم مكيّة إلا آية 17 فمدنية وآياتها 60 نزلت بعد الانشقاق	30	4	3
		25	24
		46	45
سورة هود مكيّة إلا الآيات 12–17–114 المدنية وآياتها 123 نزلت بعد سورة يونس	11	40	42
		43	45
		44	46
		58	61
		59	62
		66	69
		73	76

نصّ الآية	رقم السورة في المصحف	رقم السورة حسب ترتيب نولدكه	رقم السورة حسب ترتيب بلاشير
يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ أتيَ أَمْرُ رَبِّكَ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ كَلَمْحِ الْبَصَرِ			
فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ نْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ	30	74	76
حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى جُودِي وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيد فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ	11	75	77

تعريف السورة عن مصحف عثمان	رقم السورة في المصحف	رقم الآية	
		المصحف	فلوقل
سورة هود مكيّة إلا الآيات 12 17 114 فهي مدنيّة وآياتها 123 نزلت بعد سورة يونس	11	76	78
		82	84
		94	97
		97	99
		101	103
		123	123
سورة إبراهيم مكيّة إلاّ آيتي 28—29 فمدنيتان وآياتها 52 نزلت بعد سورة نوح	14	22	26
		32	37
سورة يوسف مكيّة إلاّ الآيات 1—2—3—7 فمدنية وآياتها 111 نزلت بعد سورة هود	12	15	15
		18	18
		21	21

نصّ الآية	رقم السورة في المصحف	رقم السورة حسب ترتيب نولدكه	رقم السورة حسب ترتيب بلاشير
يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ ـلِكَ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيد فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ ـنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ـمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ			
وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ ـدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ـخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ	14	76	78
ـوَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ يَشْعُرُونَ ـقَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ ـمِيلٌ ـكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ ـنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ	12	77	79

تعريف السورة عن مصحف عثمان	رقم السورة في المصحف	رقم الآية	
		المصحف	فلوقل
سورة يوسف مكّية إلاّ الآيات 1–2–3–7 مدنية وآياتها 111 نزلت بعد سورة هود	12	41	41
		83	83
		102	103
سورة غافر مكّية إلا آيتي 56–57 فمدنيتان وآياتها 85 نزلت بعد الزُّمَر	40	15	15
		44	47
		68	70
		78	78
سورة القصص مكّية إلا من آية 52 إلى غاية آية 55 فمدنية وآية 85 في الجحفة أثناء الهجرة وآياتها 88 نزلت بعد النمل	28	44	44

نصّ الآية	رقم السورة في المصحف	رقم السورة حسب ترتيب نولدكه	رقم السورة حسب ترتيب بلاشير
وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ضِيَ الأَمْرُ الذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ مِيلٌ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ مْكُرُونَ			
رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ رِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي ى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ هُوَ الذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا ولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ نَالِكَ الْمُبْطِلُونَ	40	78	80
وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى وسَى الأَمْرَ	28	79	81

تعريف السورة عن مصحف عثمان	رقم السورة في المصحف	رقم الآية	
		المصحف	فلوقل
سورة لقمان مكّية إلا الآيات 27ـ28ـ29 فمدنيـة وآياتها 34 نزلت بعد الصافات	31	17	16
		22	21
سورة الشورى مكّيــة إلا الآيــات 23ـ24ـ25ـ27 فمدنية وآياتها 53 نزلت بعد فصّلت	42	38	36
		43	41
		52	52
		53	53
سورة يونس مكّية إلا الآيات 40ـ94ـ95ـ96 فمدنية وآياتها 109 نزلت بعد الإسراء	10	3	3
		24	25
		31	32

نصّ الآية	رقم السورة في المصحف	رقم السورة حسب ترتيب فولدكه	رقم السورة حسب ترتيب بلاشير
يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ نِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ نْ عَزْمِ الأمور وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ـد اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللّهِ اقِبَةُ الأُمُورِ	31	82	84
وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ مْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا نْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ لاَ إِلَى اللّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ	42	83	85
ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ ـيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِه حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ـنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لاً أَوْ نَهَارًا مَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ ـ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ	10	84	86

تعريف السورة عن مصحف عثمان	رقم السورة في المصحف	رقم الآية	
		المصحف	فلوة
سورة يونس مكّية إلاّ الآيات 40-94-95-96 فمدنية وآياتها 109 نزلت بعد الاسراء	10	71	72
سورة سَبَإٍ مكّية إلا آية 6 فمدنية وآياتها 54 نزلت بعد لقمان	34	12	11
سورة الأعراف مكّية إلا من آية 163 إلى غاية آية 170 فمدنية وآياتها 206 نزلت بعد ص	7	54	52
		77	75
		150	49
سورة الأحقاف مكّية إلا ايالآت 1-15-35 فمدنية وآياتها 35 نزلت بعد الجاثية	46	25	24
سورة الأنعام مكية إلا الآيات 20-23-91-114-141-152-153 فمدنية وآياتها 165 نزلت بعد الحِجْر	6	8	8
		58	
		159	0

نصّ الآية	رقم السورة في المصحف	رقم السورة حسب ترتيب نولدكه	رقم السورة حسب ترتيب بلاشير
فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً			
وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ	34	85	87
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ	7	87	89
تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ	46	88	90
وَقَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنْظَرُونَ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ	6	89	91

تعريف السورة عن مصحف عثمان	رقم السورة في المصحف	رقم الآية	
		المصحف	فلوقل
سورة الرعد مدنيّة وآياتها 43 نزلت بعد سورة محمّد	13	2	2
		11	12
		31	30
سورة البقرة مدنيّة إلاّ آية 181 فنزلت بمنى في حجّة الوداع وآياتها 286 وهي أول سورة نزلت بالمدينة	2	109	103
		117	111
		210	206
		275	276
سورة التغابُن مدنيّة وآياتها 18 نزلت بعد التحريم	64	5	5
سورة الأنفال مدنيّة إلاّ من آية 30 إلى غاية آية 36 فمكّية وآياتها 75 نزلت بعد البقرة	8	42	43

نصّ الآية	رقم السورة في المصحف	رقم السورة حسب ترتيب نولدكة	رقم السورة حسب ترتيب بلاشير
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأمْرَ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِن أمْرِ اللَّه وَلَوْأنَّ قُرآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأرْضُ أوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوتَى بَلْ لِلَّهِ الأمْرُ جَمِيعًا	13	90	92
فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأمْرِهِ إنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَإذَا قَضَى أمرًا فَإنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ أنْ يَأتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأمْرُ وَإلى اللَّهِ تُرجَعُ الأمور وَأحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوعِظَةٌ مِن رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأمْرُهُ إلَى اللَّه	2	91	93
ألَمْ يَأتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فذاقوا وَبَالَ أمْرِهِمْ وَلَهُم عَذَابٌ أليمٌ	64	93	95
وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لأخْتَلَفْتُمْ فِي المِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أمْرًا كَانَ مَفْعُولاً	8	95	97

تعريف السورة عن مصحف عثمان	رقم السورة في المصحف	رقم الآية	
		المصحف	فلوقل
سورة الأنفال مدنية إلاّ من آية 30 إلى غاية آية 36 فمكّية وآياتها 75 نزلت بعد البقرة	8	43	45
		44	46
سورة محمّد مدنيّة إلاّ آية 13 فنزلت في الطريق أثناء الهجرة وآياتها 38 نزلت بعد الحديد	47	21	23
		26	28
سورة آل عمران مدنيّة وآياتها 200 نزلت بعد الأنفال	3	47	42
		109	105
		128	123
		147	141

نصّ الآية	رقم السورة في المصحف	رقم السورة حسب ترتيب نولدكه	رقم السورة حسب ترتيب بلاشير
وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ في الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُم فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا وَإِلى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُور			
طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ	47	96	98
قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أو يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا	3	97	99

تعريف السورة عن مصحف عثمان	رقم السورة في المصحف	رقم الآية	
		المصحف	فلوقل
سورة آل عمران مدنية وآياتها 200 نزلت بعد الأنفال	3	152	145
		154	148
		154	148 مكرّر
		159	153
		186	183
سورة الحديد مدنيّة وآياتها 29 نزلت بعد الزلزلة	57	5	5
		14	13
سورة النساء مدنيّة وآياتها 176 نزلت بعد الممتحَنَة	4	47	50
		59	62
		83	85

نصّ الآية	رقم السورة في المصحف	رقم السورة حسب ترتيب نولدكه	رقم السورة حسب ترتيب بلاشير
حَتَّى إذا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِن بَعْدِ مَا أرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ يَقُولُونَ هَل لَنَا مِنَ الأمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إنَّ الأمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أنْفُسِهِم مَا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَو كَانَ لَنَا مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنا هَا هُنَا فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ فَإذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّه وَإنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فإنَّ ذَلِكَ مِن عَزْمِ الأمُور			
لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَإلى اللَّه تُرجَعُ الأمُورُ وَغَرَّتْكُم الأمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أمْرُ اللَّه وَغَرَّكُمْ بِاللَّه الغَرُورُ	57	99	101
مِنْ قَبْلِ أنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أدْبَارِهَا أو نَلْعَنَهُم كَمَا لَعَنَّا أصحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أمْرُ اللَّه مَفْعُولاً أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأولِي الأمرِ منكم فَإن تَنَازَعْتُم فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللَّه وَالرَّسول وَإذَا جَاءَهُم أمْرٌ مِنَ الأمْنِ أو الخَوف أذاعوا بِه وَلَو رَدُّوهُ إلى الرَّسُول وَإلى أولِي الأمْر مِنْهُم لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُم	4	100	102

تعريف السورة عن مصحف عثمان	رقم السورة في المصحف	رقم الآية	
		المصحف	فلوقل
سورة الطلاق مدنيّة وآياتها 12 نزلت بعد الإنسان	65	1	1
		8	8
		9	9
		12	12
سورة الحشر مدنيّة وآياتها 24 نزلت بعد البيّنة	59	15	15
سورة الأحزاب مدنيّة وآياتها 73 نزلت بعد آل عمران	33	36	36
		37	37
		38	38
سورة النور مدنيّة وآياتها 64 نزلت بعد الحشر	24	62	62
		63	63

نص الآية	رقم السورة في المصحف	رقم السورة حسب ترتيب نولدكه	رقم السورة حسب ترتيب بلاشير
لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا	65	101	103
وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله ـحاسبناها حسابا شديدا			
فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا			
الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض ثلهن يتنزل الأمر بينهن			
كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال			
مرهم ولهم عذاب أليم	59	102	104
وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله			
رسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم	33	103	105
لكي لا يكون على المؤمنين حرج في زواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان مر الله مفعولا			
سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر لله قدرا مقدورا			
وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا			
حتى يستأذنوه	24	105	107
قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا ليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم تنة			

تعريف السورة عن مصحف عثمان	رقم السورة في المصحف	رقم الآية	
		المصحف	فلوقل
سورة الحجّ مدنيّة إلاّ الآيات 52–53–54–55 فبين مكّة والمدينة وآياتها 78 نزلت بعد النور	22	41	42
		65	64
		67	66
سورة الحجرات مدنيّة وآياتها 18 نزلت بعد المجادلة	49	7	7
		9	9
سورة التوبة مدنيّة إلاّ الآيتين الأخيرتين فمكّيتان وآياتها 129 نزلت بعد المائدة	9	24	24
		48	48
		50	50
		106	107

نصّ الآية	رقم السورة في المصحف	رقم السورة حسب ترتيب نولدكه	رقم السورة حسب ترتيب بلاشير
الذين إنْ مكّنّاهم في الأرض أقاموا الصّلاةَ وآتوا الزّكاةَ وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبةُ الأمور ألم ترَ أنّ الله سخّر لكم ما في الأرضِ والفلكَ تجري في البحرِ بأمرِه لكلّ أمّة جعلنا منسكًا هم ناسكوه فلا ينازعنّك في الأمرِ	22	107	109
لو يطيعكم في كثير من الأمرِ لعنتّم ولكنّ اللهَ حبّبَ إليكم الإيمانَ فإنْ بغتْ إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتّى تفيءَ إلى أمرِ الله	49	112	114
فتربّصوا حتّى يأتيَ اللهُ بأمرِه لقد ابتغوا الفتنةَ من قبلُ وقلّبوا لك الأمورَ حتّى جاءَ الحقّ وظهرَ أمرُ الله وإنْ تصبْك مصيبةٌ يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل وآخرونَ مرجونَ لأمرِ الله إمّا يعذّبهم وإمّا يتوب عليهم	9	113	115

تعريف السورة عن مصحف عثمان	رقم السورة في المصحف	رقم الآية	
		المصحف	فلوقل
سورة المائدة مدنيّة إلا آية 3 فنزلت بعرفات في حجّة الوداع وآياتها 120 نزلت بعد الفتح	5	52	57
		95	96

نصّ الآية	رقم السورة في المصحف	رقم السورة حسب ترتيب فولدكه	رقم السورة حسب ترتيب بلاشير
يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذلك صِيامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ	5	114	116

علي الشنّوفي

تقديم الكتب

البـــلاغــة العـــامــة

RHETORIQUE GENERALE

تاليف : دوبــوا (J. Dubois) **وادلين** (F. Edline)
وكلنكنبارق (J.M. Klinkenberg) **ومنقــاي** (P. Minguet)
وبيـــر (F. Pire) **وتــريـنــو** (H. Trinon)

206 صفحـات Larousse **1970**

تقديم : عبد القادر المهيري

إن التطور الذي طرأ على علوم اللسان منذ بداية هذا القرن لم يشغل الدارسين فقط عما قام به السلف في هذا الميدان بل حملهم على ألا ينظروا إلى عمل القدماء الا نظرة احتقار باعتباره لا يمت إلى العلم بصلة . ولم يكن جمهور المعتنيين بالعلوم اللغوية يتصورون قبل العقد الأخيران هذا التراث يمكن ان يسترعى الانتباه من جديد وان يحظى بعناية علماء « الألْسُنِيَّة » في العقود الأخيرة من القرن العشرين .

الا أنه منذ بضع سنوات ظهرت بوادر تدل على أن موقف هؤلاء بصدد التطور وان نظرة بعضهم — وربما أشهرهم تأثيرا في الاتجاهات الحديثة — اخذت تتخلص من صبغتها السلبية ؛ ولعل ذلك راجع — بالإضافة إلى أن كل تطرف يفضي حتما إلى ضرب من الاتزان — إلى ما طرأ على مشاغل هؤلاء العلماء من تغير وإلى اقبالهم على دراسة جوانب من اللغة لم تكن في مقدمة المواضيع التي تحظى بعنايتهم . فلقد انكب « الهيكليون » من علماء اللغة على دراسة الاصوات من الناحية الوظائفية واهتموا طيلة عشرات السنين بتحليل « الكلام » إلى وحدات لفظية أكثر مما اعتنوا بالتأليف بينها في صلب وحدات أوسع أي جمل (1) . لكن ما ان حاول الباحثون تجاوز نطاق الوحدات الصوتية والوحدات اللفظية والسعي نحو آفاق أبعد في سبيل استكناه أسرار اللغة تركيبا ومعنى حتى انتبهوا إلى أن فيما استنبطه القدماء من آراء حول اللغة والنحو ما يلفت النظر ، وتبين لهم أن بعض الفنون التي حظيت بفائق عناية السلف واعتبرها المحدثون غير ذات موضوع — فقبروها — يمكن أن يجد فيها الدارس مجالا للتفكير والاستنباط ؛ فلذا عدّلوا مواقفهم وتخلصوا من الاستخفاف بكل ما ليس وليد القرن العشرين . وهكذا نرى مفكرا من أشهر المفكرين الفرنسيين المعاصرين يشرف على إعادة نشر بعض مؤلفات «دومرساي» (2) وهو نحوي فرنسي من رجال القرن الثامن عشرَ تأثّر في نظرياته بالنحو العام (La grammaire générale) الذي ترك اعمق الأثر في نحو الفرنسية وطُرق تعليمه وأثار سخط المحدثين وغذّى ثورتهم على التراث القديم . وليس من قبيل الصدف إن لم يتردد صاحب احدث نظرية نحوية (3) شومسكي (Woam Chomsky) في الرجوع

(1) انظر : André Martinet : La linguistique Synchronique ص 222

(2) هو Michel Foucault

(3) وهي نظرية النحو « الانشائي (grammaire générative) وهو النحو الذي يقدم مثالا كفيلا بتفسير كل الجمل الممكنة في اللغة المدروسة وبتمكين المتكلم من إنشاء كل الجمل الصحيحة من الناحية النحوية وإن لم تسمع من قبل .

إلى تراث السلف مؤمنا بأن المقارنة بين « الالسنية الكرتزيانية » وبعض النظريات المعاصرة يمكن أن تكون مفيدة من نواح عديدة (5) ، معتقدا بأنه يجب البحث عن الطرق الكفيلة باستغلال «الرصيد الفكري» اللغوي الذي تراكم قبل عصرنا للتقدم بالدراسات اللغوية (5) .

ولا شك أن البحث عن طرق من هذا القبيل هو الذي حدا بعدد من رجال النقد الحديث وعلماء «الألسنيّة» إلى الاهتمام بفن من اقدم علوم اللسان اعني « البـلاغـة » (Rhétorìque) وتجديـده لاحيـــائه . فهذا رولان بـــارت (Roland Barthes) — صاحب النظريـــات الحديثة في النقد وأبعد الناس عن تقليـد النظريـــات المـوروثـة — ينشـر فصلا عن « بلاغـة الصورة » (Rhétorique de l'image) (6) ويصرح في هـــذا الفصل بـــأنه بصدد التفكيـــر في البـــلاغـــة حسب النظـرة الهيكليـــة (7) وهذا أحـــد اقطاب النقـــد الحديث جيـــرار جينـــات (Gérard Genette) يعتـمـــد في بعض فصوله على عدد من المؤلفات البلاغية القديمة لدراسة ما سماه « بفضاء اللغة » (8) فليس من الغريب إذ أن يُؤَلَّفَ اليوم كتاب في هذا الفن الذي بلغ من العمر أكثر من ألفي سنة وأن يُوسَم بكلمتين احدهما — Rhétorique — (البلاغة) مقترنة بمفاهيم القدم والتقليد والتشبث بالشكل والاخرى ، « Générale » (العـامة) تذكِّرُ بالمحـاولة التي قـامت بها مـدرسـة بـور رويـــال الفرنسيـة (Port Royal) في القرن السابع عشر لوضع نحو عام وتَبدو مناقضة لما يتّسم به أسلوب الكاتب من خصائص لا تقبل التعميم .

---

(4) انظر : La Linguistique cartésienne : W. Chomsky ص 16 .
(5) المصدر المذكور ص 18 .
(6) انظر مجلة Communications عدد 4 من ص 40 إلى ص 51 .
(7) المصدر المذكور ص 51 . هذا بالإضافة إلى أنه اتخذ من تحليل بلاغة ارسطو موضوعـا لتدريسه بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا .
(8) انظر : Rhétorique générale ص 8 .

وهذا الكتاب وليد تفكير جماعة من الباحثين في ميدان اللغة وهم دوبوا (J. Dubois) وادلين (F. Edline) وكلنكنبـارق (J.M. Klinkenberg) ومنقاي (P. Minguet) وبير (F. Pire) وترينون (H. Trinon). ويشتمل الكتـاب على مقدمـة وقسمين خصص أولهمـا لضبط أسس البـلاغة (Rhétorique fondamentale) وسعى المؤلفـون في ثانيهمـا إلى وضع بلاغـة عـامـة (Vers une rhétorique générale) . وللمقـدمـة في هذا الكتاب أهميـة كبيرة لأنها خصصت لضبط المبـادىء وتحديد بعض المفاهيم ؛ فقد بَيَّن المؤلفون بأنه لم يكن ليخطر ببال الدارسين قبل عشر سنوات بأنه يكتب للبلاغة يوما بأن تحيى من جديد لما أصابها من تحجر ولما طرأ عليها من شطط في التبويب والتمييز بين المفاهيم ، فاستخف بها المهتمون بدراسة الاسلوب ، وتخلوا عن كل مفاهيمها ، وتوهموا أن أسلوب الكتّاب المحدثين لا تخضع لمقولات البلاغة . ولئن اعترف المؤلفون بما في البلاغة القديمة من طرق بالية فهم لا يرون أن ذلك كاف للتخلي عن هذا الفن ولا يعتبرون أن دراسة الأسلوب يمكن أن تستغني عن الكثير من مفاهيمه ؛ الا أن البلاغة في نظرهم في حاجة إلى أن يعاد فيها النظر لا لترميمها بل لبنائها على أسس جديدة حتى تستغل في « الاسلوبية » (La stylistique).

ويلاحظ المؤلفون أن البلاغة التقليدية لم تتكون من معطيات متماسكة منسجمة وانها كانت تهدف أساسا إلى الإقناع . فالحُجَّةُ والسامع يمثلان فيها عنصرين اساسيين ؛ لذا فقد تقاسمتها نزعتان : النزعة المنطقية والنزعة الجماليّة ، وعُرّفَت بأنها « الكلام الجيد الرامي إلى الإقناع » (9) ورغم أن بعض علماء البلاغة نظروا إليها في القرن التاسع عشر نظرة أدبية وقصروها على دراسة « وسائل التعبير » فإنهم لم يتمكنوا من استغلال نتائج نظرتهم هذه فقد ظلوا اسرى لتقاليد متحجرة جاهلين للنظريات المتعلقة بفلسفة الجمال ،

(9) المصدر المذكور ص 12 .

فسخر منهم المتأدبون وتخلى عنهم علماء الالسنية . ولكن هل عوضهم أصحاب الاسلوبية ؟ لقد رأى بعضهم هذا الرأي معتبرا أن البلاغة هي أسلوبية القدماء (10) الا أن أصحاب الاسلوبية ينفرون من المقارنة بينهم وبين البلاغيين فليس من غايتهم تعليم فن الكتابة كما هو شأن البلاغة ولا يعتبرون أن المصطلحات البلاغية ملائمة لاهدافهم بل ان الجمال في نظرهم فريد من نوعه وأن القيمة الجمالية رهينة هيكل طريف فلا يمكن أن تفسر بدليل (Code) مضبوط .

***

وينطلق المؤلفون من اعتبار أن « الأدب هو قبل كل شيء استعمال خاص للغة » وأن أول موضوع للبلاغة العامة هو وضع نظرية تفسر هذا الاستعمال وهم يحصرون الأدب بحثا عن التبسيط في الشعر ويرون أن ما يقال في الشعر يمكن أن يشمل جميع الاشكال الأدبية الأخرى . وبعد تلخيص بعض النظريات المتعلقة بفلسفة الجمال وخاصة نظرية بنيد توكروتش (B. Croce) التي برفضها خضوع المتكلم لمقتضيات المعجم وقواعد النحو تنفي كل إمكانية للدراسة الأدبية وترفض الطرق المستعملة للتحليل الأدبي ، يؤكد المؤلفون قدرة علم اللسان على استكناه خصائص الهياكل الشعرية الا أن الدارس لا يتسنى له الوقوف على تلك الخصائص ما لم يتمكن من ضبط مفهوم الأدب ومفهوم الأسلوب ؛ لذا يحاول المؤلفون تحديد هذين المفهومين مستعرضين أهم الأراء التي أبديت في هذا الصدد ناقدين إياها محتفظين منها فقط بما من شأنه أن يعين البحث على التقدم .

فما هو الأدب أو بعبارة أخرى ما الذي يجعل من الأدب أدبا ،وفي نطاق اضيق ما الذي يجعل من النص الشعري شعرا ؟ لا يكفي إن نقول أن النص

(10) المصدر المذكور ص 13 .

الشعري يمتاز عما ليس له صبغة شعرية باستحالة ترجمته أو تلخيصه أو تكذيبه أو تعويضه بما يمكن أن يساويه » (11) لأن السؤال يبقى مطروحا . فما هو سبب هذه الاستحالة ؟ هل هي نتيجة وحي أم عمل وتنقيح أم طرق مُعيّنة يلجأ إليها الشاعر والأديب ؟ هل هي وليدة « هياكل إضافية » يسلطها الأديب على اثره ويدخلها فيه كالبحر والقافية والصور البلاغية ؟ يبادر المؤلفون إلى التذكير بأن « مفهوم الهياكل الإضافية » لا يمكن أن يفي بالحاجة لأن الوسائل التي يستعملها الشاعر والأديب ليست مجرد إضافات أو تنميق وإنما هي من مقومات الاثر وأُسُسه الجوهرية . والجواب عن السؤال المطروح يكمن في كيفية إستعمال الأديب للغة ، فهو يُخِلُّ عمدا بأساس من أسس اللغة وهذا الأساس هو « المرجع » (Référence) ؛ ذلك أن اللغة لا تستعمل عادة لذاتها بل لتعوض الكائنات والاشياء والمعاني التي نريد الحديث عنها وتبليغها إلى السامع ؛ والكلام (Discours) غايته أن يُرِيَ العالم ويصوره (Montrer le monde) (12) . أما في الأدب فاللغة تعرض نفسها على السامع قبل أن تعرض عليه العالم ، والنص الأدبي والشعري بصفة خاصة يتصدى بذاته لإنتباه المخاطب قبل أن يوجهه إلى الأشياء والكائنات التي يتحدث عنها ، والكاتب لا يستخدم الصورة وإنما هو في خدمتها ؛ لذا فاللغة لا تستعمل في الاثر الأدبي للإبلاغ والتخاطب (Communiquer) أي لغايتها الاساسية (13) ، كل هذا معناه أن الأدب أدب والشعر شعر لأنه تغيير للغة وتكييف لها وتصرف في الاشكال

---

(11) المصدر المذكور ص 17 .

(12) المصدر المذكور ص 19 .

(13) ينتبه المؤلفون هنا إلى خطر هذه النظرة الرامية إلى نفي أهمية « المرجع » أي المعنى في النص الأدبي ولذا فهم – اجتنابا للالتباس – لا يعتبرون أنه يمكن التخلص من المعنى ولا يرون أنه يمكن وضع أدب ليس له الا غايات صوتية إيقاعية خال من مقدار ادنى من المعاني المتماسكة أو أنه يتسنى للشاعر القضاء تماما على الوظيفة « المرجعية » للغة أو العلامة اللغوية (Signe Linguistique) . كل ما هنالك أن شكل النص يحتل المكانة الأولى بالنسبة إلى معناه .

اللغوية ؛ فهو تغيير للغة يجعلها غاية بعد أن كانت وسيلة ، وهو خلق لأنه تغيير ، ولكنه ليس خلقا من عدم بما أنه يستعمل اللغة .

ولكن كيف يتمكن الأديب أو الشاعر من تغيير ركن من أركان اللغه وكيف يستطيع أن يجعل من اللغة المحور الأساسي في النص الأدبي ؟ هنا تبرز قضية الأسلوب إذ يُعْتَبَر « جوهر الأدب » (14) لذا يجب تحديد الأسلوب وضبط مفهومه .

ينطلق المؤلفون من التعريف الشائع بأن الأسلوب خروج عن الحد (Ecart) ويبدو للقارىء أنهم غير راضين عن هذا التعريف ولكنه يتبين له شيئا فشيئا أن إحترازهم ازاءه إحتراز منهجي يرمي إلى تخليصه من بعض الأوهام ؛ والبحثِ عن هذا « الحد » الذي يحيد عنه الشاعر والأديب .

فهم يحترزون قبل كل شيء ازاء تعاريف شبيهة بهذا تجعل من الأسلوب « عبثا » باللغة أو انتهاكا لحرمتها أو إرتكابا للمخالفة أو بحثا عن الفضيحة أو تهريجا أو جنونا (15) فهذه التعابير — بالإضافة إلى علاقتها بالاخلاق والسياسة توهم بأن الفنّ تسوده الفوضى وبأن كل « مخالفة » للمقاييس ظاهرة اسلوبية ؛ لذا يلح المؤلفون على أن الشعر لا ينشأ عن كل إخلال باللغة وإنه لا يجوز — بدعوى ان كبار الكتاب ليسوا تحت سيطرة النحاة حسب عبارة كلوديل وان هؤلاء هم الذين يخضعون لمشيئة الكتاب — ان تُعتبر كلُّ مهاترة شعرا أو أدبا . فالخروج عن الحد الذي هو قاعدة الأسلوب هو الخروج الذي يُثْري ويُغَذّي حسب تعبير بول فليري (16) .

ثم إن هذا التعريف قد يُفْضِي إلى ضرب من الدور والتلسل لأنه قد يفهم منه أن الأدب يختلف عما ليس أدبا ، وتعريف الشيء بضده لا يُمَكِّنُ

(14) المصدر المذكور ص 16 .
(15) المصدر المذكور ص 16 .
(16) المصدر المذكور ص 20 .

المعرفة من التقدم ؛ لذا يتحتم ضبط الحد الذي يخرج عنه الأديب . ولكن هذا العمل ليس يهين فالبعض يرى أنه الإستعمال اليومـي للغة أي إستعمالها في الشارع والسُّوق . ولكن هل هذا الإستعمال خال من كل مجاز أي من كل خروج عن المألوف ؟ والبعض يعتبره اللغة العلمية ، وكأنَّ المؤلفين يرون الإستعمال العلمـي أقرب الإستعمالات إلى هذا الحد وإن كان العلماء قد يحتاجون إلى إستعمال الصور والتعابير المجازية . وعلى كل فالمؤلفـون يرون ان نظرية « الخروج على الحد » – رغم ما فيها من اشكال – تمـد الدارس بمنهج عملي – وإن كان ضبط« الدرجـة الصفـر » (Degré zéro) أو الحد الادنى ليس هينا – وتُفْضِـي إلى إعتبار الأسلوب تغييرا لهذا الحد وتصرفا في اللغة .

« والبلاغة العامة » تحليل للطرق الفنية التي تُمَكِّنُ من إنجاز هذ التغيير مع ضبط « أنواعه وأهدافه » (17) . وتختلف هذه البلاغـة التي يرومهـا المؤلفون عـن البلاغـة القديمـة بأن هـذه الأخيـرة لم تحسـن غالبا التصنيف والتبويب . وأهم تبويب في نظرهم هو الذي يقوم على تصنيف ما للغة من جوانب أساسيـة باعتبـار أن كـل جانب منهـا يمكن أن تكون له « وظيفة بلاغية » ؛ وبعد هذا التمييز يتسنى ضبط العمليات الأساسية التي تـمَكِّنُ من التصرف في كل جانب من هذه الجوانب وهكذا تندرج في البلاغة العامة دراسة تغيير اللفظ فمدلوله وتغيير الجملة فمعناها ؛ ولكن المؤلفين أرادوا أن يتجاوزوا هذا المستوى ؛ لذا حاولوا أن يضعوا الخطوط الكبرى للاشكال المستعملة في السرد القصصي (Narration) .

ويختم المؤلفون المقدمة بضبط مفعول الوظيفة البلاغية (18) في اللغة . فبفضل الوظيفـة البلاغيـة تحـل اللغـة محـلّ الأشيـاء أو توجـد بدون ضمان

(17) المصدر المذكور ص 23 .
(18) المصدر المذكور ص 27 .

الأشياء ، وان ما اصْطُلِح على تسميته « بالهياكل الإضافية » هي التي تحيد باللغة عن اداء دورها من حيث هي وسيلة .

*
**

بعد هذه المقدمة الهامة الثرية بالإشارات إلى أهم ما أبْدِيَ منذ بداية هذا القرن من آراء في موضوع الأدب والأسلوب ومن محاولات لإكتشاف أركان الأدب وأسرار الأسلوب يشرع المؤلفون في بناء صرح البلاغة التي هي غاية تصنيفهم هذا . وإذا أمكن تقديم أهم الأراء الواردة في المقدمة فإنه من العسير بل من المستحيل معالجة مختلف الفصول التي يتكون منها الكتاب بنفس الطريقة ؛ ذلك أن كل فقرة من فقرات الفصل الواحد أساسية تمثل خطوة لا إستغناء عنها في بناء النظرية التي يعمل المؤلفون على وضعها ، وكل جزء من أجزاء الفقرة الواحدة تمثل ركنا بدونه ينهار البناء الكلي ؛ هذا بالإضافة إلى أنه لا تخلو صفحة أو فقرة من مصطلحات جديدة كل واحد منها يحتاج إلى التعريف ، فما بالك إذا حاول الإنسان ترجمة هذه المصطلحات ترجمة معللة . لذا سنكتفي بتقديم الطريقة التي توخوها في كل فصل معرضين عن تقديم الفنيات التي يستعصي تلخيصها .

وقد خصصوا الفصل الأول من القسم الأول لتحديد الطريقة التي سيتوخونها في تقسيم الكلام وتحليله (Découpage du discours) وضبط المفاهيم العملية (Concepts opératoires) التي بدونها لا يمكن أن يتَصَوَّر « التغيير » . فتقسيم الكلام يعتمد في نظرهم على خاصية للغة هي ان كل كلام يمكن أن يقسم إلى وحدات قابلة بدورها للتجزئة حتى نصل إلى الجزء الذي يستحيل تقسيمه ، وتفضي هذه العملية إلى أربعة مستويات : تغيير اللفظة (Métaplasme) ومعناها (Métasémème) والجملة (Métataxe) ومفهومها (Métalogisme) وسيخصصون لكل مستوى من هذه المستويات فصلا يدرسون فيه جوانبه البلاغية .

أما المفاهيم العملية فهي خاصة مفهوم « الدرجة الصفر » أو الحد الادنى ومفهوم الخروج عن هذا الحد ... فالحد الادنى عسير الضبط بصفة علميه لذا لا يُقَدِّم المؤلفون طريقة علمية لتحديده ويستعرضون طرقا عملية : منها إعتبار أن هذا الحد يتجلى في الكلام الساذج الني يسمي الأشياء بأسمائها أو في اللغة العلمية حيث يُفْتَرَض أن الكلام خال من ازدواج المعنى فلا يوحي إلا بمعنى مفرد ، ويبدو أنهم يميلون إلى طريقة تعتمد السامع لا المتكلم ؛ ويتمثل إذ ذاك هذا الحد فيما ينتظره السامع في كل موطن من مواطن الكلام ، إذ التعبير البلاغي يمرّ بمرحلتين إثنتين : مرحلة يخرج فيها المتكلم عن الحد ، ومرحلة يسعى فيها السامع إلى العودة إلى هذا الحد وإرجاع الأمور إلى مجاريها ؛ وهذا يجر المؤلفين إلى تحديد مفهوم اخر وهو مفهوم التكرار (Redondance) فالكلام في كل اللغات يتضمن من العلامات والقرائن والألفاظ ما ليس ضروريا للمعنى ولكن هذه العناصر تحميه من الخطا وتضمن إبلاغه إلى السامع بطريقة تمكّن من فهمه فهماصحيحا. والكلام الذي يعتمد التعابير البلاغية في حاجة أكثر من غيره إلى « التكرار » لأن « التكرار » يقوم إذ ذاك بدور القرينة التي تمكن السامع من تقدير مدى الخروج عن الحد وفهم ما يقصد المتكلم . ومن شروط الإستعمال البلاغي الا تتجاوز نسبة الخروج عن الحد نسبة ما يتضمن الكلام من « التكرار » .

أما مفهوم الخروج عن الحد فإن المؤلفين يميزون نوعين : النوع الذي يرمي إلى سد فراغ في المعجم بوضع كلمة جديدة أو إستعمال كلمة موجودة في معنى جديد ، وهذا لا يهم البلاغة لأنه لا غايات شعرية أو أدبية له ؛ والنوع الثاني يركن إليه الأديب لا لتلافي ما في اللغة من نقص بل لغايات شعرية وأدبية ، وهذا النوع هو المعني بالأمر ولا يبلغ هدفه الأدبي إلا إذا كان غير منتظر ؛ الا أن هناك نوعا اخر من تغيير للغة والخروج بها عن الإستعمال العادي وهو عبارة عن إصطلاح غير مقصور على جزء من النص بل يشمل

النص كله كالبحر والقافية والوقع ، ورغم إنتظام هذا وفقدانه صبغة الشيء غير المنتظر فإنه ظاهرة بلاغية ترمي إلى جعل النص محور الإهتمام . وبعد تحديد المادة التي يتصرف فيها الكاتب والشاعر وبيان إطارها يتعرض المؤلفون في إيجاز إلى نوع العمليات البلاغية ويلخصونها في مجموعتين : العمليات التي تطرا على المادة اللغوية (Opérations substantielles) وتتمثل في تغيير طبيعة الوحدات بحذف بعض عناصرها أو زيادة عناصر جديدة ، والعمليات التي تسلط على علاقة الوحدات بعضها ببعض (Opérations relationneles) وتتخلص خاصة في تغيير ترتيبها ، وعلى هذا الأساس يدرس المؤلفون في فصول أربعة متتالية عمليات التصرف في شكل اللفظة فشكل التركيب فمعنى اللفظة فمعنى التركيب ، ويحصرون دراسة التغيير الذي يدخل على الشكل في بعض عمليات قليلة هي الحذف والزيادة والتقديم والتأخير .

أما فيما يتعلق بالتغييرين الأول والثاني فقد يصيبان الحرف برمته أو المقطع كما قد لا يصيبان إلا صفات الحرف فلا ينجر عنها إختصار الكلمة وإنما تغيير لطبيعة بعض حروفها .

وفي كلا الفصلين المتعلقين بالشكل تحتم على المؤلفين أن يختاروا بين النظريات المتباينة التي عرضت حول الكلمة والجملة ورغم أن الكثير من علماء اللغة يميلون إلى التخلي عن اللفظة باعتبارها أصغر وحدة مقترنة بمعنى فانهم يعتبرونها من المعطيات الملموسة ولا يشكّون في حقيقة وجودها ولا يقبلون لها بديلا — في الحالة الراهنة على الأقل — لأن نكران حقيقتها نكران لكل النظريات المتعلقة بالجملة .

أما فيما يتعلق بالتركيب فالمشكل الذي يتحتم حله هو تحديد مثال بسيط للجملة يعتبر الحد الدنى الذي به تقاس درجة التغيير . ولذا فهم ينطلقون — بالنسبة إلى الجملة الفرنسية طبعا — مما يسمونه بالجملة الدنيا المكتملة (19)

(19) المصدر المذكور ص 68

وهي المتكونة من عنصرين (Syntagmes) إثنين : عنصر اسمى وعنصر فعلي يحتل مكانا معينـا ويقتـرن بعلامـات معينـة ، ومن هنا تبـرز خصائص الجملة الأساسية التي تتعرض أكثر من غيرها للتغيرات ذات الهدف البـلاغي وهذه الخصائص هـــي :

1) إكتمال عناصر الجملة أو وجود مكوناتها الدنيا .

2) انتماء اجزائها إلى أنواع معينة من أقسام الكلام حسب الدور الذي تقوم به .

3) تضمنها للعلامات الرابطة بين مختلف الأجزاء والمترجمة عن الجنس والعدد والضمير والزمـــن .

4) خضوع أجزائها لترتيب معيـــن .

فهذه الخصائص هي التي يقاس بها « الحد الادنى » للجملة وكل تغيير يطرأ عليها يمكن أن تكون له غايات بلاغيـــة .

ولكن إذا كان التغير الذي يدخل على شكل الكلمة أو التركيب ادراكه ميسور نسبيا ـــ لأنه ملموس يقع تحت السمع والبصر ـــ فان تغيير المعنـى اعسر تقديرا وضبطا ولذا قبل إستعراض أنواع التغيير الذي يصيب معنـى اللفظة حاول المؤلفون تحديد بعض المبادىء النظرية ؛ فالإستعمال المجازي هو في نظرهم تغيير معنى الكلمة بمعنى اخر ، ولكن هذا التغيير لا يحصل بصفة إعتباطية ؛ لذا فالتغيير لا يكون جذريا وإنما هو تحوير (Modifier) (20) ولابد أن تحتفظ الكلمة بجزء من معناها الأصلي والا استغلق الكلام وتعذر فهمه ؛ ولكن كيف يتسنى تحوير معنى الكلمة بدون أن يقضي تماما عليه ؟ يرى المؤلفون أن ذلك ممكن لأن المعنى هنا يتكون من مجموعـة عناصر منها

---

(20) المصدر المذكور ص 94 .

ما هو بمثابة النواة (Sèmes nucléaires) ومنها ما هو مرتبط بالسياق (Sèmes contextuels) والتغيير المجازي وليد التصرف في هذه المجموعة . الا أن عمليات التصرف في المعنى لا توازي عمليات التصرف في الشكل ، فالحذف والزيادة ممكنان الا أن تقديم عنصر من عناصر معنى الكلمة أو تأخيره أمر مستحيل لأن هذه العناصر لا تتجلى في الكلمة حسب خط مستقيم يتلو بعضها البعض الاخر كما هو شأن عناصر اللفظ والتركيب .

ثم ان ادراك الإستعمال المجازي لا يتاتى إلا بالرجوع إلى السياق رغم أنه لا يقوم إلا على تحوير معنى كلمة واحدة ؛ فالسياق وحده هو الذي يمكّن السامع من المقارنة والربط بين معنى الكلمة المعجمي وما طرأ عليه من تحوير ، وهو عمل بدونه يبدو الكلام ضربا من العبث . وقبل أن يستعرض المؤلفون أنواع الإستعمالات المجازية يقدمون نماذج لكيفيات تصور الإنسان لمختلف المفاهيم والربط بينها حسب صور وأشكال مختلفة .

أما فيما يتعلق بتغيير الجملة من الناحية المعنوية فهو تغيير يمس بما للتركيب من معنى منطقي ويؤثر في طريقة تقديم الأحداث ؛ فالكاتب هنا ليس في حاجة إلى تحوير معنى كلمة أو أكثر وإنما ينطلق من حقيقة الأمور فيقدمها تقديما خاصة فيبتعد عن واقعها ؛ لذا فهذا التغيير هو خرق العلاقات الطبيعية التي بين مفهوم الألفاظ المستعملة والشيء المتحدث عنه . وهنا تجب الملاحظة بأن الربط بين هذا النوع من الإستعمالات البلاغية والمعطيات المنطقية من ناحية وقلة الأمثلة التي يقدمها المؤلفون لتدعيم آرائهم يجعل حديثهم مغرقا في التجريد غير واضح كل الوضوح أحيانا .

وفي خاتمة القسم الأول يتساءل المؤلفون عن مدى توضيح حقيقة الشعر بواسطة دراسة المعطيات البلاغية . فهذه الدراسة تقوم على التجزئة ، فهل يقبل التجزئةَ الأثرُ الأدبي ؟ عن هذا السؤال يجيبون بأن للأثر الأدبي

مظهرين : أحدهما لغوي والاخر غير لغوي فلا مناص للتقسيم والتجزئية لتتسنى الدراسة العلمية ؛ ولقد حاولوا دراسة الجانب اللغوي منه على هذا الأساس أما الجانب الاخر فما زال بكرا ويجب أن يبحث عن مفعول الاثر الأدبي في السامع والقارىء وأسبابه ولذا يُبدون بعض الأراء في هذا الموضوع باعتبارها محاور لبحوث ينوون القيام بها . وهذه الاراء تتعلق بالأسباب التي تجعل التعابير المجازية تُنْشِيء في نفس السامع حالة عاطفية ما وهذه الحالة قد تكون رهينة مدى الخروج عن الحد وما يثيره التعبير من ذكريات ومرتبطة بما للسامع من تجربة لغوية « اذ قيمة الكلمة تتمثل في مجموعة التجارب اللغوية التي حصلت عند من يوجه إليه الكلام » (21) ولذا ينبغي أن يتجه البحث نحو دراسة أنواع « المحيط » الذي تستعمل فيه عادة الكلمات والتعابير وعلاقة المتكلم بهذه الأنواع كما ينبغي أن تدرس « جدوى » الوحدات الكلامية بالنظر إلى نسبة إستعمالها في مستويات اللغة المختلفة وبالنظر إلى مدى قابليتها للإشتقاق والنحت ...

***

أما القسم الثاني من هذا الكتاب فيتكون من فصلين هما على حد تعبير المؤلفين « خطوات أولى من إقتحام ميادين تكاد تكون بكرا » لتكوين بلاغة يمكن أن تتناول جميع افانين التعبير . وقد خُصّص أولها لدراسة التغييرات التي تُسَلّط على طرق الخطاب في الكلام الأدبي ورُكِّز على دراسة كيفية إستعمال الضمائر إستعمالا يخرج بها عن المالوف بتعويض بعضها ببعض أو حذفها أو زيادتها ؛ ومن الواضح هنا أننا نبقى في نطاق المعطيات اللغوية . أما الفصل الثاني فإنه يتجاز هذه المعطيات لدراسة أسس السرد القصصي (Narration) ويعتمد المؤلفون في محاولتهم هذه بعض معطيات النقد « الهيكلي » مستعرضين مسائل عدة منها علاقة السرد بالزمن وتتابع الأحداث والربط المنطقي

(21) المصدر المذكور ص 151 .

بينها وموقف الكاتب مما يقص وتدخله مباشرة في السرد أو الاحجام عن ذلك ... والظاهرة البلاغيـة في خصائص السرد هذه تتمثـل هنـا أيضا في الخروج عن الطرق المألوفة ولذا يستعرض المؤلفون أنواع الخروج عن هذه الطرق .

وجملة القول فإن هذا الكتاب يمثل محاولة طريفة لتجديد فن من أقدم فنون المعرفة اللغوية واحيائِه بالبحث عن إمكانية تركيزه على أسس علمية فالمؤلفون — كالقدماء — حريصون على تجـاوز وصف اللغـة مـن حيـث أصواتها وألفاظهـا وتراكيبهـا لدراسـة طرق التعبيـر في الكتابـة الشعريـة والأدبية ؛ ولذا إحتفظوا لتسمية عملهم بالمصطلح الذي إستعمله القدمـاء لتسمية فنهم وبعدد من المصطلحات التي أطلقت على أنواع مـن الصـور البلاغية . ولكن اقتداءهم بالسلف يقف عند هذا الحد فليست غايتهم مدّ المتكلم بنماذج من التعبير البليغ ولا توجيه الكاتب أو الشاعر إلى مـا ينبغي ان يتوخاه من صور ومجازات في أثره ، وإنما البحث عن المعطيات القارة التي تعتمدها الإستعمالات البلاغية ، ومد الدارس بمنهج علمـي لتحليـل هذه الإستعمالات وتفكيك دوالبها ان جاز هذا التعبير . وإن أقدموا عـلى هذا العمل فلأن دراسة اللغات أصبحت علما بفضل ما استعمل فيها مـــن مناهج محكمة تخلصت مما شابها إلى مستهل هذا القرن من مشاغل أجنبية عن اللغة ولأن النقد الأدبي قد طرأ عليه من التطور ما جعل النص محور إهتمام الناقد بهيكله ومعطياته اللغوية . كل هذا إقتضى منهم أن يطلعوا عـلى عـدد كبير من المؤلفات الحديثة الخاصة بالالسنية والاسلوبية والنقد وفلسفة الجمال وأن يأخذوا منها ما بدا لهم أنه يساعد على وضع الاسس الأولى « لبلاغـة عامة » . وهذا ما جعل كتابهم ثري المادة زاخرا بالإشارات إلى النظريـات الحديثة في اللغة والأسلوب والنقد مما يحول دون تلخيصه تلخيصا يصور محتواه تصويرا شامـــلا .

ع . المهيري

متخيــــر الالفـــاظ

تـأليف : احمد بن فـارس ، تحقيق : هــلال نـاجي ، نشـر المكتب الـدائم لتنسيــق التعــريب ، 173 صفحــة ، الرباط 1970 .

تقديم : عبد القادر المهيري

قام المكتب الدائم لتنسيـق التعريب بنشر كتـاب «متخيّر الألفـاظ» لأحمـد بن فارس «المتوفى» سنة 395 » وهو كتـاب حققه هلال ناجي ونال «جائزة أهم مخطوط نادر» في المسابقة التي أسندهـا المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربـي « بمناسبة الذكرى الأربعينية لجلالة ملك المغرب الحسن الثاني » (1) .

وكتاب «متخيّـر الألفاظ » ينتمـي إلى ما يسميه المحقق « معاجم المعاني» وهو نـوع من المؤلفـات يجمـع فيها أصحابها ما ينتقونـه مـن الكلمات والعبارات المؤدية لمعان مختلفة فيبوبونها حسب ما تتصل به من ميادين معنوية وتعددت التصانيف من هذا النوع إبتداء من القرن الرابع خاصة استجابة لحاجة الدواوين والكتّاب إلى الالفاظ والتراكيب التي تنمـق بها الرسائل ويقتضيها السجع .

(1) متخيـر الألفـــاظ ص 3 .

ولقد وضع المحقق مقدمة للكتاب (من ص 5 إلى ص 58) تحدث فيها عن عصر المؤلف من الناحية السياسية والإقتصادية والإجتماعية والعلميـة ، وترجم لابن فارس وضبط آثاره المطبوعة والمخطوطة والمفقودة وخَصّ كتاب متخيّـر الألفاظ » بفصل تناول فيه « خطة » المؤلّـف فيه .

ولا شك في ان المحقق بذل مجهودا كبيرا لوضع مقدمته وتجلى هذا المجهود خاصة في ضبطه لقائمة مؤلّـفات ابن فارس،فقد تمكن من إتمام القائمة التي أوردها مصطفى الشويمـي (2) .

الا أنـه بـدا لنا ان المنهج المتوخي في هـذه المقدمـة لا يخلومن عيوب، فالحديث عن الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية لم يربط بحياة ابـن فارس ؛والفصل الخاص بالحياة العلمية والأدبية خال من كل إشارة إلى ما له علاقة بالكتاب المحقّـق اعني نشاط اللغويين ومشاغلهم في القـرن الرابع الهجري واتجاه النثر في ذلك العصر وتأثيره في جانب من التأليف اللغـوي . فالتعرض لهذه النواحي يعين بلا شك على فهم الدواعي التي بعثت ابن فارس وأمثاله على تصنيف « معاجم المعاني » .

ثم ان الحديث عن حياة المؤلف لا نعتقد أنه (3) يُضيف شيئا جديدا إلى الترجمة التي أوردها الشويمـي في مقدمة كتاب « الصاحبـي »(3)؛ وقد طال هذا الحديث بما اورده المحقق من فقرات عن أخبار ابن فارس مقتطفة من كتاب الصاحبـي ورسائل بديع الزمان الخ ... ولا تناسب بين طولهـا وما يستنتجه المحقق من استنتاجات تنير حياة المؤلّـف .

ولئن كان من المفيد التذكير بنزعة ابن فارس الكوفية فإن الإمانة العلمية تقتضي – زيادة على الإحالة العامة على كتاب مهدي المخزومـي – ان يُنَبَّه

(2) انظر الصاحبـي في فقه اللغـة بيروت 1964 مـن ص 11 إلى ص 17 .

(3) مـن ص 5 إلى ص 11 .

القارىءُ بوسيلة من الوسائل إلى ان معظم الأحكام المتعلقة بمنهج الكوفيين نقلت حرفيا من الكتاب المذكور (4) . أما التحقيق فقد إعتمد على مخطوطتين يرجع عهد احداهما إلى القرن السادس هجري وثانيتهماإلى القرن الثاني عشر هجري ويبدو أنها نسخة من الأولى؛وقد وفق المحقق بصفة عامة في ضبط الألفاظ وتحقيق الأبيات الشعرية وتذييل النص بحواش ضافية وإن كان ينبغي في نظرنا أن تختصر بعض هذه الحواشي وخاصة المتعلق منها بترجمة اعلام مشهورين والإحالة على المصادر التي ورد فيها ذكرهم . كما أننا لم نتمكن من معرفة المقاييس التي توخاها المحقق في إختيار ما شرحه من للألفاظ . ومن ناحية أخرى فإن طريقة تقديم الكلمات والعبارات لا تمكن من إستعمال هذا « المعجم » بسهولة لذا لعله كان يحسن ان يُشَفع َالنَصُ بفهرس للألفاظ حسب الترتيب الأبجدي .

وعلى كل فإن إخراج هذا الكتاب للناس يُعتبر خطوة في سبيل التعريف بمؤلّفات ابن فارس من ناحية وتوضيح معالم المعجمية العربية من ناحية أخرى .

ع . المهيري

(4) كل هذا بالإضافة إلى أننا لم نتمكن من إدراك الأسباب المنهجية التي دعت المحقق إلى أن يتبع كل فصل من المقدمة بقائمة للمصادر والمراجع مما اضطره تكرار عناوين كثيرة وإطالة المقدمة بدون كبير فائدة .

الجبـــال والامكنــة والميــاه

تــأليف : أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق : الدكتور ابراهيم السامرائي ، 256 صفحة ، بغداد 1968.

تقديم : عبد القادر المهيري

يمثل الزمخشري (467—538) حلقة هامة في تاريخ العلوم اللغوية عند العرب فهو مؤلف متعدد الجوانب تجلى تضلعه في اللغة في كل أصناف التأليف التي لها مساس بهذا الميدان من تفسير للقرآن وللحديث ونحو وامثال ومعاجم،وهو يندرج بذلك ضمن علماء اللغة الذين تجاوزوا نطاق الفن الواحد وحاولوا استكناه أسرار العربية بالنظر إليها من زوايا مختلفة . ولا شك في أنه لم يحد عن هذا الإتجاه عندما ألف كتاب « الجبال والأمكنة والمياه » الذي قام الدكتور إبراهيم السامرائي بتحقيقه .

وليست هذه الطبعة هي الأولى التي يحظى بها هذا الكتاب،فلقد طبع بأروبا سنة 1856 وبالنجف منذ أكثر من ثلاثين سنة (1).ولكن المحقق رأى إعادة تحقيقه ونشره لأن الطبعة الأولى أصبحت « نادرة الوجود » والثانية كانت « تجارية سقيمة كثيرة الغلط والتصحيف ».هذا بالإضافة إلى أنه قد

(1) انظر مقدمة تحقيق السامرائي ص 10 .

« توفرت الأصول الخطية التي لم تتيسر لدى الناشرين في الطبعتين المشـار إليهما » .

ولقد قدم المحقق للكتاب بمقدمة موجزة حاول فيها خاصة أن يبين مدى مـا أفاده الزمخرشـي « بصورة مباشـرة » أو « غيـر مباشرة » مـن كتاب « جزيرة العرب » للأصمعي ومدى ما جمعه من « المواد الجغرافية » إعتمادا على اشعار المتقدمين.ولعله كان يحسن ان تتضمن المقدمة حديثا عن تطـور فن التأليف في الأسماء الجغرافية وعلاقته بالجغرافيا من ناحية وبالتأليـف في الاعلام من ناحية أخرى ولا نظن أن ذلك على المحقق بعسير إذ نعلم أن هذه المواضيع ليست غريبة عنه (2) .

أما التحقيق فلقد اعتمد فيه الدكتور السامرائي ــ زيادة على الطبعة الأوروبية والطبعة النجفية ــ مخطوطتين يرجع عهد نسخ كلتيها إلى القرن السابع الهجري، وحرص على أن يقارن ما ورد في الكتاب المحقق بما أورده خاصة ياقوت في « معجـم البلـدان » ملاحظا ما بينهمـا من تشابـه أو تماثل،منبها إلى ما لم يتعرض إليه ياقوت،مثبتا في المذكرات التوضيحات التي أوردها هذا الاخير أو غيـره من أمثـال البكرى مما يبرز الإبهام الذي يسود أحيانا الإشـارات الواردة في كتاب الزمخرشي .

وبصفة عامّة فإن إعادة تحقيق هذا الكتاب مفيدة وإن المجهود الذي قام به المحقق كبير مكنه من إخراج نص مضبوط يعين الباحث في تاريخ التأليف عن الاعلام بماشُفِع به خاصة من تعاليق ضافية .

ع. المهيـري

(2) انظر مقالـه : الاعـلام في « دراسات في اللغـة » ص 220 – 238 ومقالـه : ما يفيد الجغرافـي مـن المـادة اللغويـة في « مباحث لغويـة » ص 163–182 .

سـرقـات المتنبي ومشكل معـانيه

تـأليف : ابن بسام النحـوي ، حققـه وقـدم لـه : سماحـة الأستاذ الامـام الشيخ محمد الطـاهر ابن عـاشور ، 142 صفحة (الـدار التونسية للنشر ، سلسلة نفـائس المخطوطـات ، تونس في اوت 1970)

تقديم : الحبيب الشاوش

يعتبر هذا الكتاب – على صغر حجمه (1) – على جانب من الطّرافـة كبير ؛ ونشاطر مُحقّقَه في تعريفه إيّاه بقوله : « هذا كتاب عزيز النزعة غريب الوقع » (2) باعتباره ينزع إلى غرض هامّ كان شغل أقلام أهـل العلم والأدب والشعر ، وهو ما تناولوا به شعر أبـي الطيب المتنبّـي مـن شـرح وتحليل وتعليق ، ونقد وإعلال وردّ وما أخذَه في شعره من شعر غيره . والمعروف أن من بين هؤلاء طائفة كانت تعجب بشعر المتنبّـي وتناصره وطائفة أخرى – من خصومه – تطعن فيه وتهاجمه وتسعى جهدها إلى إبراز

(01) يحتوي الكتاب على مقدمة : عشر صفحات (ص ص ز–ع) للمحقق . أما الفحوى فيمتد من ص 3 إلى ص 142 . وينتهـي بفهرس الشعراء (ص ص 143–146) وفهرس المـواد (ص ص 147–148) . بقطع النظر عن صفحتين طبعت عليهما صورتان فتوغرافيتان : إحداهما تمثل أول مخطوط سرقات المتنبـي والثانية : آخر هذا المخطوط .

(02) المقدمة : ص ز .

مواطن ضعفه ونقصه ، ثم طائفة ثالثة أرادت أن تقف موقفا وسطا معتدلا منتهجة سبيل النقد الموضوعي المجرّد تاركة جانبا ما تمليه العواطف الجامحة وتزيّنه أو تزيفه لأصحابها من الاراء والمواقف (3) .

وتتمثّل طرافة هذا الأثر الأدبـي الجديد في أن أحداً ما كان على علم بأن مؤلفه – وهو صاحب الذخيرة (4) – قد شغل هو الآخر – من بين من شغل (5) – بديوان المتنبّـي وشعره ، ممّا يُدَعّم أكثر فأكثر قول ابـن رشيق في أبـي الطيب : « ثمّ جاء المتنبّـي فملأ الدّنيا وشغل النّاس » أو ما قاله شاعرنا عن نفسه وشعره ، أو – بعبارة أدق – عن « كلماته » :

« سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأنّني خير من تسعى به قدم
أنام الذي نظر الاعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم
« أنام مـلء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جرّاها ، ويختصم»

والطريف في هذا الباب أن ابن بسّام صاحب « الذخيرة » لم يعرف بالنحوي مما حدا بالمحقق إلى التساؤل في أمره وإثارة مسألة هوّية المؤلف الحقيقة

---

(03) وأحسن ممثل لهذه الطائفة الثالثة : الجرجاني : صاحب « كتاب الوساطة بين المتنبـي وخصومه » .

(04) كتاب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ، 1939/1358 .

(05) من قدماء الأدباء والعلماء والنقاد خاصة أمثال : أبـي الفتح بن جنى (ت 392/1001–2) ، صاحب « الفسر الكبير » و« الفسر الصغير » على ديوان المتنبـي ، والحاتمـي (ت. 388/988) صاحب « الرسالة الحاتمية » ، ط. المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1931 ، حيث بين مآخذ المتنبـي ، والاصفهاني (عبد الله بن عبد الرحمان) صاحب كتاب الواضح في مشكل شعر المتنبـي ، والصاحب ابن عباد اسماعيل (ت 385/995–6) ، والمعري (ت 449/1057–8) ، والوحدى (ت 468/1075–6) ، والثعالبـي (ت 429/1037–8) ، صاحب كتاب : « أبو الطيب المتنبـي وأخباره » ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1925 ، والعكبرى (ت 616/1219–20) ، وابن هشام الأنصاري (ت. 761/1359–60)د، صاحب « مغني اللبيب في النحـو ، وقد أورد في مواضع منه بعض شعر المتنبـي من جهة صحة العربية » ، والبديعي (ت. 1073/1662–3) ، وقد ذكر المحقق أنه لا يعرف عنه إلا إسمه (اسقدمة ، ص ز) وأصله ووظيفته وتاريخ وفاته ، بينما تعرف عنه أنه « البديعي ، صاحب كتاب : « الصبح المنبي عن حيثيات المتنبـي » ، ط. القاهرة ، 1308 ، على حاشية شرح العكبرى ، جزءان قطع 4 . وقد اعتمده العلامة الكبير المستشرق ر. بلاشير في اطروحته عن المتنبـي :
Un poète du IVe/Xe s. : Abū-Ṭ-Ṭayyib Al-Mutanabbī Paris, 1935
وابن سيدة (ت. 358/968–9) ، فضلا عن ابن رشيق وابن خلدون .

حتّى أدّى به الأمر إلى الوقوع على صحتها اعتماداً على : شواهد حسّية قريبة وأخرى استنباطية ، وقد اقتصر في ذلك :

(1) على ما جاء مكتوبا على المخطوط :

أ) بخطّ مشرقيّ : « كتاب سرقات المتنبّي ومشكل معانيه » « تأليف الشيخ ابن بسام النحوي رحمه الله امين » ... « وهو ابن بسّام صاحب كتاب الذخيرة في شعراء الجزيرة » .

ب) وبخط مغربي : « هذا الكتاب في حلّ مشكل معاني » أبي الطّيب وبيان ما وافق فيه كلامه كلام غيره ممّن تقدّمه من الشعراء . ألّفه الفاضل العلاّمة ابن بسّام النحوي اللّغوي صاحب كتاب الذّخيرة في شعراء الجزيرة ، وقد شاهدت جزءاً منه ببلاد المغرب قاله عبد الله تعالى أبو عبدالله الكاتب » (6) تلك جملة ما سمّيناه بالشواهد الحسّية القريبة ؛ أما الشواهد الاستنباطيه فقال في شأنها :

(2) على أن من عرف بابن بسام فيمن مضى من العلماء فيما انتهى إليه علمنا أربعة :

- أحدهم علي بن محمد بن بسّام البغدادي الشاعر .
- وثانيهم علي بن بسام التغلبي الأندلسي .
- وثالثهم محمد بن أيّوب بن بسّام من أهل مالقة .
- ورابعهم أبو الحسن بن بسام المالقي .

وقد أحسن المحقّق البحث والتنقيب عن هوّية هؤلاء الأعلام والتّمييز بينهم استناداً إلى ما جاء في كتب تاريخ الأدب والتراجم مثل معجم الأدباء

---

(06) ص س (المقدمة) .

لياقوت ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، واللباب لابن الأثير ، حتى وقف على تحقيق اسم مؤلف الكتاب وهو ابن بسّام النحوي الشنتريني (7) .

وقد تعرض الشيخ محمد الطاهر بن عاشور إلى غرض الكتاب وطريقته (8) ملاحظا أن مؤلفه اقتصر في فاتحته على قوله : « هذا كتاب في ذكر سرقات أبـي الطيب ومشكل معانيه المرتبة على القوافي » ثم استطرد في بيان هذه الطريقة – على بساطتها – وهي أن ابن بسام « يأتي بأبيات أبـي الطيب مرتّبا لها على حسب ترتيب حروف القوافي : فَيُعَنونُ بحرف القافية التي منها الأبيات ، ثم يذكر الأبيات المحتاجة إلى الشرح عنده ثم يعقّب بذكر ما خذ المتنبّـي لبعض أبيات في القافية ، فيقول : فصل في سرقاته » (9) وقد يأتي (ابن بسام) بكلام أبـي الفتح ابن جنّي وينتقده أو يقرّه وجعل ترتيب حروف المعجم فيه على الاصطلاح المشرقي دون المغربـي الذي هو اصطلاح أهل بلد ابن بسّام الشنتريني . وهذا محلّ نظر : فيحتمل أنّه تابع فيه ترتيب أبـي الفتح ابن جنّـي .

وقد جمع فيه بين طريقتي ابن جنّـي التي خصّ إحداهما بكتاب الفسْر الكبيـر ، والأخرى بكتـاب الفسْـر الصغيـر ، وزاد عليـه بذكـر السرقات الشعرية (10) .

وقد اعتمد المحقّق هذه الطريقة لابن بسام في كتابه : سرقات المتنبّـي ومشكل معانيه » ، والشبيهة بطريقته في التأليف والنّقد كما تظهر في بعض فصول من كتاب « الذخيرة » ، ملاحظا أنها نفس الطريقة وساق ذلك حجّة إضافية تدعّم هويّة المؤلّف ونسبة الكتاب إليه. وقال في هذا الشأن (11) :

(07) راجع ص ص : ح–ط–ي–ك–ل– من المقدمة . وكذلك ص ص « م » و« ن » .
(08) ص ص ي–ك (المقدمة) .
(09) نفس المرجع . ص ي .
(10) نفس المرجع : ص ص ي–ك .
(11) المقدمة ص م .

وأسلوب هذا الكتاب وطريقته توافق تمام الموافقة طريقة ابن بسّام في كتابه الذخيرة من نسبة المعاني الشّعرية إلى من سبق قائلَها ، ومن التنظير بينها وبين ما يشبهها ، ومن النقد لها بالثناء إن استحقّته أو ضدّه إن اقتحمته ، ومن الدّلالة على شدّة ملابسته لشعر أبـي تمّام وشعر أبـي الطّيب ، بحيث يقوى الظّن بأن هذا التأليف لابن بسّام صاحب كتاب الذّخيرة » . وأردف ذلك بمثال في ذكر ترجمة عبد المجيد بن عبدون ، ختمه بقوله : « وممّا يحقّق أن مؤلف هذا الكتاب أندلسي قوله هنا « وقال بعض أهل أفقنا وهو يوسف بن هارون الرمادي » . فإن يوسف هذا من أهل رمادة التي هي من غرب الأندلس كما أن شنزين (12) من غرب الأندلس (13) » .

وهكذا ، قد حرص المحقّق في مقدمة الكتاب على إثبات هوية المؤلف منتهجا في ذلك الطريقة العلميّة المركزة على المقارنة والاستقصاء واستيعاب كل وسائل التحقيق الموجودة لديه وهو مجهود مشكور ، إلا أن عمله قد يبدو للباحثين منقوصا . لا بمعنى التقصير في البحث بل باعتبار النّسخة الفريدة التي اعتمدها في تحقيق المخطوط . فعلاوة على كونها « نسخة واحدة » وجدت لديه ، اعترف الأستاذ بأن بها نقصا في موضعين (13) : أحدهما يقدّر بورقه بعد ورقة 19 . والثاني بمقدار ورقتين بعد ورقة 26 . وفي هذا يَكْمُنُ موطن النقص الذي أشرنا إليه ، فذلك مما يعوق الباحثين عن إنجاز عمل متين من التحقيق العلمي الذي لا تشو به شائبة ولا يعتوره عيب مهما كان ، على أنّ لكل عمل إنساني من نوعه موطنا للنقص لا للتقصير أو العجز ، فلا مؤاخذة إذا لشيخنا على ما قام به من عمل مثمر ، طالعنا به وفاجأنا ، فأفاد ،

(12) كذا في النص . وقد وردت هذه الكلمة محرفة — وهي شنترين — بسبب سوء الطبع . فهي إذا غلطة مطبعية .

(13) كما سبق أن لاحظ : « وفي هذه النسخة تحريف كثير وضبط غير صحيح لكن أكثره واضح التصحيح » . : المقدمة ، ص ع .

مثرياً ، بما قدّم ، تراث أدبنا العربي ، موطّداً به فضل صاحب الأثر (14) .

هذا وقد أفادنا الشيخ ابن عاشور برواية « قصّة هذا المخطوط » وكيف انتقل من المشرق إلى المغرب ، وقد وصفها لنا وصفا دقيقا في ص ص س وع من المقدّمة فلا فائدة في تكرار ما ورد في هذا الشأن . على أن ما يلفت الانتباه في هذا الباب أن هذه النسخة من المخطوط وجدت في سفر حيث ضمّت مع رسالة للحاتمي ، في مناظرة بينه وبين المتنبّي ، ورسالة له في مآخذ المتنبّي معاني عدّة أبيات من كلام الحكيم أرسطاطاليس ، وهما بخطّ من سمّى نفسه أنّه « أبو عبد الله الكاتب » الذي ذكر أنّه نسخ تينك الرسالتين بالقاهرة في رجب سنة 662هـ. ذلك أن غرض القدح والطّعن بارز في رسالة الحاتمي ، خفيّ بل يكاد يكون معدوما في كتاب ابن بسّام . فعسى أن يكون الجمع بين الأثرين لتقارب في المضمون لا في الغرض والنزعة . فالحاتمي أراد الحط من قيمة المتنبّي بمهاجمته إيّاه في شخصه وعرضه وشعره والغضّ من عبقريّته . (16) بينما نزع ابن بسّام إلى « حلّ مشكل معاني أبي الطيب وبيان ما وافق فيه كلامُه كلامَ غيره ممن تقدّمَهُ من الشّعراء (16) » أي إلى كشف الغطاء عن بعض الأبيات الواردة في ديوانه والمستوجبة للشرح اللّغوي والتوضيح المعنوي لما فيها من دقة أو غموض أحيانا ، مبيّنا مآخذ

(14) لا يغض اعتلاد الشيخ ابن عاشور على هذه النسخة الوحيدة من فضله وقد أكد لنا في تواضع وصراحة جديرين بكل عالم باحث مصرحا بالحرف الواحد : نفس المرجع : « وقد بحثت فيما دخلت من المكتبات وما راجعت من الفهارس عن نسخة من هذا الكتاب فلم أجد نسخة أخرى . ولذلك غلب على ظني أنها النسخة الوحيدة » . — وهنا — على ذكر المكتبات — من حقنا أن نتساءل : هل تندرج مكتبة « الاسكوريال » ضمن هذه المكتبات ... ؟ ! وهلا توجد نسخة أخرى بها ؟ !

(15) راجع رسالة الحاتمي في : « وفيات الأعيان » لابن خلكان . ط. القاهرة 1948/1367 (الطبعة الأولى) ، 1 ، ص ص 482—486 — أو « الرسالة الحاتمة » — ط. المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، سنة 1931 .

(16) هذا هو العنوان الثاني لكتاب ابن بسام ، كما كتب في أعلى النسخة بخط مغربي (سنة 615هـ) . ولا تظهر من خلال هذا العنوان ولا من فحوى الكتاب نزعة الطعن والثلب في شخص المتنبي وشعره .

أبي الطيب و سرقاته على أن « المآخذ » و « السّرقات » ليست من العيوب في كل الحالات ، وقد تعلقت همّة المحقّق بتوضيح مفهومها وهي أن « يأخذ الشاعر معنى سابقا في شعر من قبله فيودعه في شعره قصداً ، ويعلم القصد بقرينة الإحاطة بذلك المعنى ؛ فكل من الأخذ والسرقة نوعان : ظاهر وغير ظاهر . الظاهر أن يؤخذ المعنى كلّه إمّا مع اللّفظ كلّه أو بعضه . فإن أخذ اللفظ كلّه من غير تغيير فهو مذموم ، ويلحق به أن يبدل بعض الكلمات بما يراد فيها وإن كان مع تغيير لنظمه ؛ فإن كان شعر الشاعر الآخذ أحسن من شعر سابقه فممدوح ، وإن كان أقلّ منه فهو مذموم .

وإن أخذ اللاّحق من السابق المعنى وحده سمّي إلماما وسلخا . وهو أقسام . ويغتفر من الأخذ ما فيه حسن تصرّف من الآخذ في المعنى المأخوذ منه (17) » . هذا ما ذهب إليه المحقق في بيان مفهوم « السّرقات » ومواطن استحسانها واستقباحها لدى الشعراء والنّقاد . دون أن يذكر لنا أصحاب هذه النّظرية ودون أن يعمد إلى وضع مآخذ المتنبّي كما أوردها ابن بسام في إطار « السرقات » التي تحدّث عنها نقاد الشعر القدامى أمثال ابن رشيق ، والجرجاني والعسكري ، الخ ... (18) ، ولو فصّل لكانت الدراسة تكون

---

(17) راجع المقدمة : ص ك .

(18) رأينا في هذه الحاشية أن نكمل هذا الفراغ بضرب أمثلة دقيقة مما أورده بعضهم في مفهوم السرقات الشعرية وما أجازوه منها فاعتبروه مستملحا أو عابوه على أصحابه واعتبروه مستقبحا منبوذا .

يقول الجرجاني في « الوساطة » (ط. أحمد عريف الزين ، صيدا ، 1912/1331) ص 161 : « ومن نطيف السرق ما جاء به على وجه القلب ، وقعد به النقص ، كقول المتنبي

أأحبه وأحب فيه ملامة ؟ إن الملامة فيه من أعدائه

إنما نقض قول أبي الشيص :

أجد الملامة في هواك لذيذة حبا لذكرك ، فليلمني اللوم

وأصله لأبي نواس في قوله :

إذا غاديتني بصبوح عذل فممزوجا بتسمية الحبيب

ويقول (ص. 167) : « ومتى أجهد حدنا بنفسه أوأعمل فكره وأتعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى يظنه غريبا مبتدعا ، ثم تصفح عنه الدواوين لم يحظ أن يجده بعينه » .

« ولهذا السبب أحظر على نفسي ، ولا أرى لغيري بت الحكم على شاعر بالسرقة » .

أما ابن رشيق (العمدة .... ط. القاهرة 1925/1344 — جزءان : ج ، ص 215) فيعرف السرق بقوله : « السرق في الشعر ما نقل معناه دون لفظه » . وهو يرى (نفس

أمتن ، على أنّه لا ضير على المحقق من ذلك ، إذ يبدو أنه توخّى الاختصار ورام الإيجاز في ما قدّم به الكتاب ، وعدل عن كل تفصيل واستيعاب . وإذا راينا من الصالح أن نلفت النظر إلى مسألة السّرقات ومفهومها ومدى استحسانها واستملاحها تارة واستقباحها طورًا لدى النقّاد والأدباء فلأنها مدار البحث ومركز الاهتمام في الكتاب الذي يتلخص فحواه في شرح أبيات متفرقات من شعر أبي الطيب ومناظرة بعضها بما قاله فحول الشعراء السّابقون دون القصد إلى طعنٍ أو النّزوع إلى غرض التشويه أو المسّ من سمعة المتنبّي . وهذه الميزة التي يتصف بها كتاب ابن بسّام تختلف كل الاختلاف عن منزع الحاتمي في رسالته على أن الأثرين قد جُمعا في « مخطوط » واحد (19) ، وهنا نقف لحظة لنتساءل عن السبب الذي من أجله نُشرت رسالة الحاتمي وذاع صيتها في الافاق ولم يُعرف لدينا كتاب ابن بسام في سرقات المتنبّي فبقيت خاملة الذكر طيّ النسيان والجهل أو التناسي والتّجاهل ... ؟ !

المرجع : ج ص 216) أن « اتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز، وتركه كل معنى سبق إليه جهل » ويضيف قوله (ج ، ص 223) : « ... غير أن المتبع إذا تناول معنى فأجاده بأن يختصره ان كان طويلا ، أو يبسطه ان كان كزاد، أو يبينه ان كان غامضا ، أو يختار له حسن الكلام إن كان سفسافا ، أو رشيق الوزن ان كان جافيا ، فهو أولى به من مبتدعه » . ويوافقه على ذلك أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين (ط القسطنطنيه 1320هـ) ص : 146 حيث يقول : « ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قولب من سبقهم » .

وخشية أن يطول بنا الحديث في هذا الباب نختم هذه التتمة بنموذج من أقوال الجرجاني في مو موضوع السرقات (الوساطة : ص 179) : « فمتى نظرت فرأيت أن تشبيه الحسن بالشمس والبدر ، والجواد بالغيث والبحر ، والبليد البطيء بالحجر والحمار ، والشجاع المضي بالسيف والنار ... أمور مقررة في النفوس ، متصورة للقول ، يشترك فيها الناطق والأبكم ، والفصيح والأعجم ، والشاعر والمفحم ، حكمت بأن السرقة غير منتفية ، والأخذ بالاتباع مستحيل ممتنع . وفعلت بين ما يشبه هذا ويباينه، وما يلحق به وما يتميز عنه ، ثم اعتبرت ما يصح فيه الاختراع والابتداع ، فوجدت منه مستفيضا متداولا متناقلا لا يعد في عصرنا مسروقا ، ولا يحسب مأخوذا » وإن كان الأصل فيه لمن انفرد به ، واوله للذي سبق إليه ... » .

(19) جاء في المقدمة ص س : « وهذه النسخة في سفر ضمها [الناسخ] مع رسالة للحاتمي ، في مناظرة بينه وبين المتنبي ، ورسالة له في مآخذ المتنبي معاني عدة أبيات من كلام الحكيم أرسطاطاليس وهما بخط من سمى نفسه أنه « أبو عبد الله الكاتب » .

لاسيما وأنّ كلاّ من كتاب السّرقات لابن بسّام ورسالة الحاتمي قد جُمِعَا منذ القديم (20) في سفر واحد فشاع ذكر الرسالة وبقي الكتاب مجهولا ... ؟ !

والجواب على هذا السؤال يبدو عسيرًا من النّاحية العلمية البحت ولا يسع المحقّق في هذا الشأن إلا الذهاب إلى التخمين والافتراض ...

وقد ذهب المحقّق إلى تعليل إغفال السابقين ذكر هذا الكتاب اعتمادًا على افتراضين (21) : أولهما ما لَمّحَ إليه ابن سعيد في كتاب « المغرب في حلى المغرب » نقلا عن « نجوم السّماء في حلى العلماء » إذ قال : « الأديب أبو الحسن بن بسّام التغلبي الشنتريني ، العجب أنّه لم يكن في حساب الاداب الأندلسيّة أنّه سيبعث من شنترين قاصية الغرب (غرب الأندلس) ومحل الطّعن والغرب (الجهاد) من ينظّمُها قلائد في جيد الدّهر ، ويطلعها ضرائر للأنجم الزّهر ، ولم ينشأ بحضره قرطبة ولا بحضرة إشبيلية ولا غيرهِمَا من الحواضر العظام من يمتعض امتعاضه لأعلام عصره ويجهد في جمع حسنات نظمه ونثره ، وسلْ الذّخيرة ، فإنّها تُعَنْوِنُ عن محاسنه الغزيرة » .

ويستنتج المحقق الاستنتاج التّالي : « فقوله : قاصية الغرب إشارة إلى أنّها ثغر مهدّد بغزوات الأعداء الجلالقه . فهذا سبب إحجام الناس عن طلب العلم فيها فإغفال الباحثين عن أبي الطيب المتنبّي مثل العكبري والبديعي ذكر هذا الكتاب ...

وثانيهما (22) أن كثرة التصانيف في ذلك الغرض في المشرق أذهلت الأدباء عن تطلّب مثله في المغرب ، حتى إن النسخة التي بقيت من هذا الكتاب ، هي منسوخة بالمشرق بخطّ مشرقي (سنة 615) .

---

(20) منذ شعر رجب سنة 622 : المقدمة ص س .
(21) المقدمة ص ك ل .
(22) نفس المرجع .

ومع احترامنا للشيخ الأستاذ واجتهاده في هذا الإستنتاج ، فليسمح لنا بعدم موافقتنا إياه تماما على هذا الاستنتاج ، وبإبداء شيء من الاحتراز إزاءه ، ونعود فنلقي عليه نفس السؤال السابق ، ولكن — هذه المرة — لا فحسب بالنسبة لكتاب « السرقات » بل وكذلك بالنسبة إلى كتاب « الذخيرة » ، فنقول : كيف شهرت ونشرت رسالة الحاتمي في المتنبّي ، فتداولتها الأقلام والايدي ، ولم يعرف كتاب ابن بسّام على قيمته والحال أن كلا الأثرين — كما ذكرنا — وكما يعرف فضيلته هو ذلك ! — قد جُمِعا في سفر واحد وقُرِنا في نفس المخطوط وعُرِّفا بخطّ واحد ؟ ! ... ثم كيف ولماذا بقِي كتاب « الذخيرة » مغموراً مجهولا أو قل ... متجاهلا (23) والحال أن له من النسخ الخطية العدد الكثير (24) ، ومنها ما وجد بالقاهرة وببغداد فضلا عن مدينة الرباط ، وعدد هذه النسخ يناهز السّبع (25) .

الجواب على ذلك قد يكون فيما جزم به عدد من الأدباء والنقاد من أن ابن بسّام لم يكن ، بنزعته المغربية واعتزازه بأصالته و« جنسيته الأندلسية » محبوبا لدى المشارقة كما كان قبله ابن عبد ربّه أحد أبناء تربته ، وقد طالعَ المشارقةَ بكتابه الشهير « العقد الفريد » فلقي به — خلافا لما كان ينتظر — مغمزاً ومطعنا ... وذلك رغما عن قيمة الكتاب ونفاسته (26) . وابن بسام — كما جاء ذلك في « الذخيرة » (المقدمة بقلم المؤلف) معتزّ بأصالته المغربية و« جنسيّته الأندلسية » وقد دفعه — كما أكّد ذلك طه حسين (27) — إلى

(23) بقي كتاب الذخيرة مضمورا طيلة قرون فلم ينشر إلا في سنة 1939/1358 وهو تاريخ بداية طبعة (القسم الأول – المجلد الأول) . والفصل في ذلك راجع إلى المستشرق الكبير لي بروفنسال كما اعترف بذلك طه حسين المقدمة الذخيرة : ط. القاهرة 1939/1358 : ص د .

(24) راجع : « الذخيرة ... » ط. القاهرة ، 1939/1358 – القسم الأول – المجلد الأول : أصول الكتاب ، ص « ز » وما بعدها .

(25) نفس المرجع .

(26) تعتبر القولة المأثورة عن الصاحب بن عباد بشأن كتاب العقد الفريد : « هذه بضاعتنا ردت إلينا » مغمزا ودلالة على استنقاص لقيمة الكتاب .

(27) مقدمة طه حسين لكتاب « الذخيرة » : الصفحة الأولى .

تأليف كتابه « الذخيرة » حبّه لوطنه الأندلس وحرصه على أن يثبت لها تفوّقها في الأدب والعلم . وأن يثبت هذا التفوّق لمعاصريه خاصّة لكثرة ما رأى من افتتان الناس من أهل أفقه بالمشرق وأدبائه وعلمائه وإعراضهم عن الأندلس وما أنتجت من أدب وعلم ، مع علمنا أن ابن بسام كان يرمي كذلك إلى مضاهاة الثعالبي – لا إلى تقليده كما يقول الدكتور طه حسين (28) – في كتاب اليتيمة ، والفرق واضح دقيق بين المضاهاة والتقليد ! ...

فلربما بقي ابن بسّام مغمور الذكر . تجاهله القوم وتجاهلوا تأليفه القيّمة لسبب « تطاوله » على المشارقة ، وسعيه إلى إبراز فضله وتفوقّه ، وفضل أبناء وطنه على غيرهم من أدباء المشرق ، ولربما كان في نفسه ما أراد به أن يأثر لبعض من لم يُعترف بقيمته في المشرق من أبناء تربته الأندلس وفي مقدمتهم ابن عبد ربّه ، فكان منه ما كان من ردّ فعل أو – إذا شئت – من « تطاول » (29) كما يروق لبعضهم تسميته ... على أنّ ابن سيدة الذي لم تبدر منه بادرة « التطاول » على المشارقة – وهو مغربيّ مثل ابن بسّام – والذي عُني هو الاخر بالمتنبّي وغرر شعره ، لم يبق مغمورا متجاهلا ...

ولئن قدّمنا هذا الرأي « افتراضًا محتملا » للإجابة على السؤال الذي أثاره – وقد أحسن – سماحة الشيخ ابن عاشور ، بسبب بقاء هذا الكتاب – كتاب « السرقات » لإبن بسّام – مغمورًا مُهمَلاً ، فلأنّ هذا التعليل الذي هو من باب الافتراض المحتمل يصحّ كذلك بالنسبة لكتاب « الذخيرة » وبالتالي للمؤلّف نفسه (30) ...

---

(28) نفس المرجع .

(29) وليس هو بتطاول بل هو ضرب من الاعتزاز والأنفة والشعور بالكرامة ليس إلا ... إزاء استعلاء المشرق على المغرب والمشارقة على المغاربة من الادباء في سالف العصور ...

(30) إن من يطالع مقدمة « الذخيرة » بقلم مؤلفها ، تحصل له فكرة واضحة حول « التنافس » و« التنافر » القائمين آنذاك بين أدباء المشرق وأدباء المغرب ، وما كان يكنه بعض « المشارقة » بالخصوص نحو المضاربة من الاستعضار واحتقار ، وفي ذلك يكمن سر « التجاهل » ....

أمّا اعتبار ابن بسّام قد تأثّر بطريقة ابن جنّـي فذلك من باب الافتراض المحتمل لا سيما وابن ابن جنّـي (31) قد سبق ابن بسّام لكن ليس لدينا من الحجج العلمية القاطعة ما يثبت ذلك بل – قُلْ – لم يقدّم لنا المحقّق منها شيئا يذكر في مقدّمته ... (32) .

وأمّا اعتبار العكبري قد اطّلع على هذا الكتاب فذلك أيضا مـن باب الافتراض خاصة وأن العكبري سار في منهجه على غرار ابن بسام (33) وجاء بعده (34) ، لكن لم يوضح لنا المحقّق إمكانية حصول هذا «الاطّلاع» وسُبُلَه ومداه ، اعتماداً على شواهدَ علميّةٍ مضبوطةٍ ، ولا نؤاخـذه على ذلك كل المؤاخذة ، وهو لا يملك من الوثائق الكتابية إلاّ النسخة الوحيدة مـن الكتاب ...

وفيما يتعلّق بعنوان الكتاب فنتساءل لماذا فضّل سماحة الشيخ ما « كُتِب بالخطّ المشرقي (35) » على ما كُتِب بالخطّ المغربـيّ (36) ، والحال أن الفرق بينهما واضح ، إذ ينُصُّ العنوانُ الأوّلُ على وجود « سرقات » بينما لا يذكر العنوان الثاني هذه العبارة وهي هامّة لا سيما وأنّها تنطوي عـلى مفهوم بل مفاهيم – حسبما رأينا آنفا في باب الحديث عن السرقات – جدّ دقيقة ، وأن فحوى الكتاب لا يدل تماما على أن « ما وافق فيه كلامُ المتنبّـي كلامَ غيرِه » هو من « السرقات » كما جاء ذلك في دواوين البلاغة والنقد الشعري لقدماء العرب ونقادهم سواء منهم المشارقة أو المغاربة ... على ان من ينظر مليّا في أبيات المتنبّـي الواردة في فصول « السرقات » يلاحظ أن أغلبها

(31) رأينا أن ابن جني توفي سنة 392 .
(32) انظر ص ص ي – ك .
(33) انظر ص ل .
(34) رأينا أن العكبري توفي سنة 616هـ .
(35) العنوان بالخط المشرقي هو : « كتاب سرقات المتنبـي ومشكل معانيه » .
(36) العنوان بالخط المغربـي هو : « هذا الكتاب في حل مشكل معاني أبـي الطيب وبيان ما وافق فيه كلامه كلام غيره ممن تقدمه من الشعراء » .

من باب المآخذ المستملحة وأنها أبعدُ ما تكونُ عن السّرقات في المعنى المبتذل ، بل هي من نوع « ما اتفق فيه شعره مع شعر غيره » . ولو فرضنا أنها مآخذُ حسب الاصطلاح البلاغيّ المتّفقِ عليه قديما فالملاحظ أن أبا الطيب حريص كل الحرص على إدخال « تغييرات » في اللّفظ مستجيبا – في ذلك – لشروط الاستملاح البلاغي « للسّرقات » . ونذكر على سبيل المثال الشاهد التالي (37) : يقول المؤلف : (مؤلف الكتاب)

« فصل في سرقاته »

« أمّا قوله :

وكنت أعيب عَذلا في سماح فهأنا في السمـاح لـه عذول

« من قَوْل البحتري :

إلى مسرف في الجود لو أنّ حاتما رآه لأضحى حاتم وهـو عاذله

« أو قول حبيب :

عطـاء لو اسْطَاع الذي يستميحـه لأصبح من بين الورى وهو عاذله

« وقوله :

« وكلّ شواة غطريف تمنّى اسيرك أن مَفْرِقَهَا السّبيلُ »-

« من قول حاتم (38) :

« مضى طاهر الأثواب لم تبق رَوضةُ غداة ثَوَى إلاّ اشتهت أنّها قبرُ »

---

(37) ص 38 .

(38) « قوله من قول حاتم خطأ والصواب من قول حبيب كما في شرح العكبرى وفي ديوان تمـام .

ومن الواضح أن أبا الطّيب — إن كان أخذ المعنى عن البحتري أو أبـي تمام قد غيـّر ألفاظ الأبيات تغييرا واضحا ، وبذلك يكون المأخذ مقبولا وجانب البلاغة الشخصيّ متوفـّرًا في شعره ...

ولنعرّج الآن على مسألة عرضت في مقدمة الكتاب تتعلّق بتاريخ وفاة ابن بسام . فقد ذكر المحقِّقُ من ناحية : « ان صاحب الذخيرة توفـّـي سنة 540 كما في نفح الطّيب » (39) ثم ذكر بعد ذلك : « وقال الاستاذ الزركلي في كتابه «الأعلام»: إنـّه من الكتاب والوزراء ، وإنّه توفـّـي سنة 542 . ولعلّ مستنده في سنة وفاته ما قاله صاحب نفح الطيب ، فذكره في نفح الطيب ولم يصفه بالتغلبي ، وقال : إنـّه تأخرت وفاته إلى سنة 542 (40) وليس ذلك صريحا في أنـّه توفـّـي فيها ، وإنـّما يقتضي أنـّه كان حيـّا سنتئذ » انتهى هنا قول المحقـّق .

وإن من ينظر فيما جاء في هذه الأسطر من تناقض في إثبات تاريخ وفاة ابن بسام وإقراره يتساءل لماذا لم يقف المحقِّق على ما يَبْدُو أقربَ إلى الصّحة ، والمعروفُ لدينا أن ابن بسّام توفـّـي سنة 542هـ (41) ، فكان يكون مـن المستحسن إذًا ألاّ يؤكـّد المحقق شيئا في هذا المجال ثم يتراجع فيه .

على أن حرصه على « التحقيق العلمـي » قد تجلّى في نواحي الكتاب الأخرى سواء فيما يتعلق بالحواشي المتضمِّنة تراجمَ الأعلام ، والتعاليقَ والشّروحَ المختلفةَ أو فيما يخصّ القيام بفهرس الشعراء الواردة أسماؤهم في الفحوى ، على أنّ المحقـّق لم يعمَدْ إلى ذكر بحور الأبيات .

---

(39) ص ص ح — ط .

(40) « نفح الطيب » ط. الوهبانية بمصر سنة 1304هـ. ج 2 ، ص 272 » .

(41) قد أثبت ذلك — مثلا — محققو كتاب « الذخيرة » ومن بينهم العلماء الثقات من المشرق والمغرب وعالم الاستشراق ... كلهم أجمعوا على ذلك .

وقد جاءت الطبعة أنيقة في جملتها بقطع النظر عن قليل ما ورد فيها من غلطات مطبعية وأخرى في مجال التحقيق العلمي البحت ، ولا يمنع ذلك صاحبَه — سماحةَ الشيخ الإمام — من المساهمة في إثراء الأدب العربيِّ — والمغربي منه بالخصوص — بهذا الأثر الطريف الذي يوطِّد فضلَ ابن بسام وسمعتَه أديبًا ناقدًا ومؤرّخا للأدب العربي في أوسع معانيه ، ومن إتحاف أهل الزمان بهذه الباكورة . ورجاؤنا أن تعقبَها أعمالٌ أخرى من هذا القبيل ، فيُحقّق لنا سماحته ممّا يملك من المخطوطات « نفائسها » .

ح . الشاوش

طبقـات علمـاء افـريقية وتـونس

تأليف : أبي العرب بن احمد بن تميم القيـرواني ، تحقيق : علي الشابي ، وتصحيح : حسن اليـافي ، الـدار التـونسية للنشـر ، تـونس 1968 ، 254 صحيفة

تقديم : الحبيب الشاوش

يندرج هذا الكتاب في مجموع كتب التاريخ والأخبار والتراجم الخاصة برجال الدين من المحدّثين والقضاة والفقهاء المنضوين تحت اسم « العلماء » ممن عاش بإفريقية وتونس ، وقد سبق أن عُنـي بتحقيق هذا الكتاب ونشره الشيخ محمد بن أبي شنب الأستاذ بالمدرسة الثعالبية بالجزائر سنة 1914/1332 ، في مجموع يحمل العناوين التالية :

– كتاب طبقات علماء إفريقية ، تأليف : أبي العرب محمد بن أحمد ابن تميم التميمي .

– وكتاب طبقات علماء إفْريقية ، تأليف : محمد بن الحارث بن أسد الخشني .

– وكتاب طبقات علماء تونس ، تأليف : أبي العرب محمد بن أحمد ابن تميم التميمي .

وقد صدر هذا الكتاب مصحوباً بترجمة إلى اللّغة الفرنسية وتعاليق بقلم المحقّق ، سنة 1915 بباريس ، تحت عنوان :

Classes des Savants de l'Ifrīqīyā par Abū-l-ʿArab Moḥammed ben Aḥmed ben Tamīm et Moḥammed ben al-Ḥāriṯ ben Asad Al-Ḫošanī

ومن يتصفح فحواه ، كما حققه الشيخ ابن أبي شنب ، يلاحظ أنه ينطوي على سبعة أجزاء منها الثلاثة أجزاء الأولى والجزء الأخير : من تأليف أبي العرب ، لأحمد بن محمد الطلمنكي ، أما بقية الأجزاء (الرابع والخامس والسّادس) فمن تأليف محمد بن الحارث بن أسد الخشني ، لأحمد بن محمد الطلمنكي (1) .

وقد خُصّصَت السّتّةُ أجزاء الأولى لعلماء إفريقية ، أما الجزء السابع فلعلماء تونس .

ومن الملاحظ أن الكتاب متبوع بفهارس لأسماء الرجال والنساء ، والأبيات الشعريّة ، وأسماء الكتب ، وأسماء القبائل ، وأسماء الأماكن ؛ ولمحقّقه فضل نقله إلى اللّغة الفرنسية مساهما هكذا في ترويجه — فضلا عن البلدان العربية — في العالم الغربي وعالم الاستشراق عامّة ، وقد صدر

(1) تفصيل هذه الأجزاء كما يلي :

الجزء الأول : ص ص 1—39 : تأليف أبي العرب ... لأحمد بن محمد الطلمنكي لعمر بن علي بن أحمد بن عطية بن يوسف بن أبي بكر الأنصاري .

الجزء الثاني : ص ص 44—94 تأليف أبي العرب ... لأحمد بن محمد الطلمنكي .

الجزء الثالث : ص ص 97—125 تأليف أبي العرب ... لأحمد بن محمد الطلمنكي .

ألجزء الرابع : ص ص 129—155 : تأليف محمد بن الحارث بن أسد الخشني لأحمد بن محمد الطلمنكي .

الجزء الخامس : ص ص 159—183 : تأليف محمد بن الحارث بن أسد الخشني لأحمد بن محمد الطلمنكي .

الجزء السادس : ص ص 187—241 : تأليف محمد بن الحارث بن أسد الخشني لأحمد بن محمد الطلمنكي .

الجزء السابع : ص ص 245—256 : تأليف أبي العرب ... لأحمد بن محمد الطلمنكي « ذكر علماء تونس » .

الكتاب في طبعة أنيقة واضحة استغلها البحاثون العرب والمستشرقـون منذ ما يقارب الستين عاما .

على أن للمحققين علي الشابـي ونعيم حسن اليافي فضل العناية بإعادة نشر الكتاب وإضافة الكثير ممّا أهمله ابن أبـي شنب مثل تقديم الكتاب بدراسة لعصر المؤلف وبيئته وحياته ومؤلفاته ، وإلحاق ذلك بما جاء في أمهات المصادر من تراجم أبـي العرب ، أو إعقابه ـــ كما فعل المحققان في آخر الكتاب ـــ بنقول كتب الطبقات عن أبـي العرب ، ومما يلفت النظر في هذه الطبعة الجديدة كثرة التعاليق في الحواشي والتراجم لمختلف الأعـلام الـورادة أسماؤهم في الفحوى وبيان المصادر التي استخلصت منها هذه التراجم ولئن بدا المجهود كبيراً والحرص ظاهراً على إعادة تحقيق الكتاب تحقيقا علميّا أوفر . فلننظر في مدى توفّق المحققين . فنبدأ باستعراض أقسام الكتـاب ومشمولاته قبل أن نبدي وجهة نظرنا في قيمته وإبراز مزايا التحقيق أو هناته إن كانت ...

لقد ذكرنا أن من فضل المحققين حرصهما على تصدير الكتاب بمقدمه (2) عنوانها : « الأرضيّة الحضارية لعصر أبـي العرب القيرواني » اشتملت في قسمها الأول على ثلاثة فروع تناولا فيها بالبحث :

(أ) الصراع السياسي (ب) الصراع المذهبـي (ج) أسلـوب التفكيـر .

وخصص القسم الثاني من هذه المقدمة « لأبـي العرب وكتابه » واستعراض مؤلفاته ، وعقب ذلك يأتي « ملْحق المقدمة » (3) بعنوان « أبو العرب في كتب التراجم » وقد عرف المحققان ـــ بعد الحديث عن مميزات عصر أبـي العرب وبيئته من الناحية السياسية والمذهبية والفكرية عامّة ـــ بترجمة حياة

(2) ص ص 7—31 . ورد في ص 31 تاريخ تأليف هذه المقدمة ومكانها (= القاهرة (الجيزة) في 15 رمضان 17/1384 جانفي 1965) .

(3) ص ص 33—40 .

(4) المقدمة ص 25 .

المؤلف ومما ورد في هذا الشأن أنه ولد بالقيروان بين سنة 864/250 و873/260 ، وقد عاصر أبو العرب قيام الدولة الشيعية في إفريقية (5) وهو « يشهد بأسف التغيرات الكبيرة التي طرأت على السّنّة وإعدام العلماء الذين حافظوا على آرائهم السّنّيّة ، والإسراف في الغرائب وشتم الصحابة علنا » . ولما ثار « أبو يزيد صاحب الحمار » على العبيديين انضمّ له أبو العرب مع صفوة من علماء القيروان ورجالها ، واتجهوا إلى المهدية فواقعوا الشيعة في مكان قريب منها في رجب 944/333 ، وبعد أن حققوا بعض التقدّم تفرقت صفوفهم إثر تخلّي أبي يزيد عنهم الذي خشيَ سلطتهم لو قدّر لهم الظفر ، ويقال إن أبا العرب لما خرج لهذه الحرب درّس كتابيْ الإمامة « لمحمّد بن سحنون » وكان يقول : « سماع هذين الكتابين هنا عليّ أفضل من كل ما كتبت » .

أما وفاة أبي العرب فكانت لثمان بقين من ذي القعدة أو ذي الحجة سنة 944/333 ، ودفن بباب سَلَم بالقيروان .

هذا -- باختصار -- ما نعرف عن المؤلف .

وبخصوص البيئة التي عاش فيها أبو العرب فقد لاحظ المحققان أنها امتازت بنوع من التزمّت والجفاف الفكري والضحالة في مجال الإنتاج الأدبي والشعري منه بالخصوص ، فيقولان بالحرف الواحد :

« ... ليس غريبا أن نجد عندهم (أي عند المغاربة) صوت الشعر خافتا وصوره باهتة لأنهم يعتبرون الخيال والإمعان فيه ضربًا من التحلّل ....» .

ثم يستطردان فيلاحظان أنه « كان ذلك في الوقت الذي عذبت فيه الغنائية في الشعر العربي ورقّ الخيال وتألّقت صورُه وانطلقت العاطفة بكلّ أبعادها في بغداد والكرخ والبصرة وحلب والرّي ... » (6) .

(5) نفس المرجع ص 26 ، نقلا عن المدارك ، 73/2 أ .
(6) المقدمـــة ص 20 .

ورأينا – في هذا الموضوع – أنه لا يجب التسرّع في إبداء مثل هذه الأحكام بشأن الحياة الأدبية بإفريقية في عصر أبـي العرب ، لاسيما وأنها لم تحظ إلى اليوم بما يكفي ويشفي من البحث والدّراسة لنعلم حق العلم ما كانت عليه من جفاف أو خصب ... في ميدان الإنتاج الأدبـي عامّة والشعري خاصّة ... على أننا نعلم – مثلا – اليوم بفضل الدراسات والبحوث العلميّة أن هذه الرقعة من الأرض – أرض إفريقية – قد أنتجت خلال العقود والسنوات التي تلت عصر أبـي العرب ، عددا كبيرًا من الكتاب والشعراء ، فعسى أن يكون عصر مؤلفنا حافلا – كما أكّد ذلك العلامة حسن حسني عبد الوهاب في مؤلفاته عن إفريقية – بالإنتاج الفكري والأدبـي وأن يكون قد ظهر فيه ثلّة من الشعراء الفحول ... هذا ما ينبغي التحرّى فيه واستيعاب درسه قبل البتّ فيه بإصدار الاراء المتسرّعة في أحكامها بشأنه ...

وأما الطريقة التي اتبعها المحققان فقد صرّحا بشأنها : « ولما عزمنا على نشر الكتاب لأهميته بحثنا عن مخطوطات له في أكثر مكتبات العالم فلم نعثر على أيّة مخطوطة ، والذي يبدو أن المخطوطة التي نشر عنها ابن أبـي شنب النّص وقعت في يد لم نوفّق إلى الوصول إليها ، لذلك كان اعتمادنا على النسخة المطبوعة » .

وعن الهدف الذي من أجله عمدًا إلى إعادة نشر الكتاب صرحا قائلين : « وبعد فنحن بهذا العمل الذي نعتبره باكورة أعمالنا في الحقل المغربـي إنما نهدف إلى الكشف عن الحياة الفكرية في المغرب الإسلامـي في عصوره الأولى ... » .

وإننا نبارك هذه العناية بمثل هذا الكتاب النفيس الذي يرجع الفضل في المبادرة إلى تحقيقه والتعريف به إلى الشيخ محمد بن أبـي شنب ، وفضل الحرص على إعادة تحقيقه تحقيقا علميًّا بمزيد من الدّقة والشمول في آن واحد إلى المحققين الشابـي واليافي .

وقد اجتهد المحققان وأصابا في تصدير الكتاب بمقدمة ضافية تعرضا فيها لمميزات بيئة المؤلف وحياته على أنّ «الملحق» الذي أتبعاها به ــ حيث أوردا ترجمات أبي العرب في المصادر القديمة ــ نعتبره غير ضروريّ خاصّة وأن هذه المصادر معروفة ، يستطيع القارىء أو الباحث أن يرجع إليها ليستكشف بنفسه ما يريد بشأن ترجمة المؤلف ...

على أننا استحسنا ، من ناحية أخرى ، ما عمد إليه المحققان في الحواشي من إثبات تراجم الأعلام وذكر المراجع والشروح والتعاليق الشافية لرغبة كل باحث ، وكذلك الفهارس التي وضعاها للايات ، والأحاديث ، والأعلام ، والأماكن والبلدان والأربطة والقصور ، والقبائل والأفخاذ ، والأبيات الشعرية ، والكتب والمراجع .

ولئن فهرس ابن أبي شنب لأغلب هذه الأبواب فقد أهمل تراجم الأعلام الواردة أسماؤهم في الكتاب كما أهمل بيان المصادر والمراجع الصالحة لإطلاعنا على حياة المؤلف وتراثه .

ولا يسعنا إلا الإشادة بما وضعه المحققان من ملحق في اخر الكتاب ، يشتمل على « نقول كتب الطبقات عن أبي العرب » ومنها :

(أ) ما نقل عن أبي العرب خارج التراجم تحت عنوان « أعلام ذكرهم أبو العرب في كتابه دون ترجمة ، تورد عنهم كتب الطبقات تفاصيل منقوله » (7) .

(ب) أعلام ترجم لهم أبو العرب (8) ، تحت عنوان : « أعلام ترجم لهم أبو العرب وجدنا عنهم تفاصيل أخرى في كتب الطبقات منقولة عنه والتراجم مرتبة حسب ورودها في الطبقات » .

---

(7) من أهم المصادر : « الريـاض » و« المعـالم » .

(8) ص ص 232—237 .

(ج) أعلام حذفهم الطلمنكي أو ترجم لهم أبو العرب في كتبه الأخرى ووجدنا إشارات لهم في الكتب اللاحقة ، ومن الملاحظ أن التراجم الواردة مرتبة حسب تاريخ الوفاة» ، وبيّن المحققان أن « الذي لم يعثرا على سنة وفاته جعلاه في نهاية الترقيم » (9) .

ولايخفى — ختاما — ما ينطوي عليه هذا الكتاب من جمّ الفوائد — ممّا يعلّل المبادرة الطيبة إلى تحقيقه وإعادة نشره — لاسيما وأنه يطلعنا على من جادت به أرض إفريقية من علماء ، فهو من هذه الناحية صورة ناطقة عن مساهمة المغاربة — قديما — في التراث الفكري الإسلامي بوجه عامّ ، وعن روح الاصالة التي تميّزت بها إفريقية عن بلاد المشرق في مجال العلوم الدّينيّة ، ويعتبر الكتاب — بالنسبة إلى تونس — تراثا نفيسا يكشف النقاب عن ثلة من رجال الفكر عاشوا في ربوع هذه الدّيار ، كما تتجلى من خلال هذا الكتاب الطريف مكانة أبي العرب القيرواني الذي أخذعنه ونقل وتتلمذ كثير من رجال العلم مثل أبي بكر المالكي صاحب « رياض النفوس » ، وابن فرحون صاحب كتاب « الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب » ، والقاضي عياض صاحب كتاب « ترتيب المدارك وتقريب المسالك » ، والدّباغ صاحب « معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان » ، وغيرهم ممن جاء بعدهم ...

ح. الشاوش

(9) المصادر : « المدارك » — « الرياض » — « المعالم » — « الديباج » .

حليــة المحــاضرة في صناعــة الشعر

تأليف : ابي علي محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب اللغوي البغدادي المعروف بالحاتمي ، تحقيق : جعفر الكتاني (1) بـاريس في 1969/9/29 – جـزءان – 634 ص مرقونة منها مقدمة بالفرنسية 48 ص

تقديم : الحبيب الشاوش

لم يكن الحاتمي معروفا إلا بما جاء عنه في كتب التراجم وتاريخ الأدب من نبذ تخص اسمه ونسبه ونشأته العلميّة وتعداد مؤلفاته التي بقيت مغمورة سنين طوالا ما عدا رسالته في أبـي الطيب المتنبّـي والتي أصبحت معروفة نسبيا في أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر ولم تنشر كاملة مفردة إلا منذ أربعين سنة خلت وقد مرّ على وفاة صاحبها زهاء الألف عام (2) .

---

(1) حقق انكتاب المذكور في نطاق اطروحة المرحلة الثالثة قدمها بباريس في 1969/9/29 وهي تحمل رقم 86 بمكتبة معهد الدراسات الاسلامية رأينا تقديمه وهو غير مطبوع ، لقيمة كتاب الحاتمـي .

(2) هي الرسالة الحاتمية نشرت لأول مرة في « رائد سوريا » سنة 1868 . ثم في القسطنطينية (استمبول) في سلسلة « التحف البهية » سنة 1032هـ ثم نشرها ريشر (Richer) سنة 1926 في مجلة « Isiamica » (الصفحة الأولى : 439) ثم نشرهـا فؤاد أفـرام البستاني في مجلة « المشرق » سنة 1931 . وفي نفس السنة صدرت عن « المطبعة الكاثوليكية » . بيروت ، 1931 في سفر خاص .

و« حلية المحاضرة في صناعة الشعر » من أهمّ ما ألف أبو علي الحاتمي في باب محاسن الشعر والشعراء العرب القدامى ، وهو كتاب من نوع « العمدة » لابن رشيق من حيث الغرض والفحوى إلا أنّه أضخم حجما وأغزر مادّة ، كما سنبيّنه بعد حين . ويساعدنا هذا الكتاب على تصوّر قيمة صاحبه بأكثر دقة وشمول — وإن نسبيّا — لأن بقيّة مؤلفاته ظلت مجهولة إلى اليوم .

وأمّا ما نعرفه عن الحاتمي فيخصّ نشأته دون سائر مؤلفاته وهو أبو عليّ محمّد بن الحسن بن المظفّر الكاتب اللّغوي البغدادي المعروف بالحاتمي (3) ، ولد ببغداد حوالي سنة 932/320 وتوفي بها يوم الإربعاء لثلاث بقين من شهر ربيع الاخر سنة 28/388 أفريل 998 . وكان من مشايخه أبو الفرج الاصبهاني صاحب « الأغاني » وأبوه الذي كان شاعرًا وأديبا ، وقد طالع في شبابه مؤلفات في اللّغة والتاريخ والشعر وبعض دواوين ومن جملة الذين اعتمدهم لتأليف « حلية المحاضرة » نخصّ بالذكر منهم : هشام الكلبي (ت204/819—20) وابن سلاّم الجمحي (ت231/845—6) صاحب « طبقات فحول الشعراء » ، وأبا تمام (ت235/849—50) صاحب « الحماسة » والجاحظ (ت255/869—70) في « البيان والتبيين » ، وابن قتيبة (ت276/889—70)

(3) راجع : الثعالبي : اليتيمة (ط. م. م. عبد الحميد) ، III ، 108—111 و131—133 . السيوطي : بغية الوعاة ، ط. القاهرة ، 1326 ، جزء واحد (قطع 4) ص ص 35—36 . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ط. القاهرة ، 1948/1367 (الطبعة الأولى) III ، 482—486 . ياقوت : معجم الأدباء . ط. مرجوليوث 1923 ، ج VI ص 501 الذهبي : كتاب العبر ، ط. الكويت ، 1961 ، III ، 40—41 . البديعي ، الصبح المنبي عن حيثيات المتنبي (في : Régis Blachère : Un poète du 4e/10e s., source biog. p. XIX ج 1 ، 144—173 . البستاني : مجلة « المشرق » ، 1931 . ص ص 132—9 و196—206 . زكي مبارك : النشر الفني في القرن الرابعه . القاهرة ، 1302—1934 ج II . ص ص 115—116 و113 مذكرة 1 . جعفر الكتاني : مقدمة « حلية المحاضرة » (باللغة الفرنسية » ج II ص ص 3—5 و8—16 . راجع كذلك .

Flügel, grammatischen Schulen der Araber, Leipzig, 1862, 1 vol. in 8e, pp. 238-40 *Brockelmann*, I, 88 et surtout : *R. Blachère* : « Un poète..., » p. 223 et la bibliographie qu'il donne sur Hâtimi.

في « الشعر والشعراء » والمبرّد (ت 900/287) في « الكامل » وأبا الفرج الاصبهاني (ت 365/975—6) في « الأغاني » . وممن عرفهم الحاتمي وحصلت بينه وبينهم علاقة متينة من مشايخه : أبو عمر الزاهد وهو غلام ثعلب (261/874—5 — 345/956—7) الذي كان به معجبا شغوفا .

ومما حكاه الحاتمي بشأن علاقته بعمر الزاهد هذا (4) ، أنه (أي الحاتمي) اعتلّ يوما فتأخر عن مجلس شيخه أبي عمر الزاهد فسأل عنه فقيل له : إنّه مريض ، فجاءه يعوده فوجده قد خرج إلى الحمّام ، فكتب على بابه باسفيداج :

(متقارب)

« وأعجب شيء سمعنا به عليل يُعَاد فلا يُوجَدُ »

ومن تلاميذ الحاتمي نذكر بالخصوص التنوخي صاحب « الفرج بعد الشدّة » و« نشوار المحاضرة » . أما مؤلفاته فنذكر منها : « الرسالة الحاتمية » وقد أورد لنا نصّا منها ابنُ خلكان في الوفيات (5) ، وكتاب « الهلباجة » (لم ينشر) وقد ألّفه ردّا على شخص هجاه لدى الوزير أبي عبد الله بن سعدان ، يسمّى « الهلباجة » ، و« الحلي العاطل » وقد ذكره في « حلية المحاضرة » . وغبر هذا الكتاب منذ القرن الرابع هـ. و« الموضحة » التي ألّفها سنة 352هـ (6) و« حلية المحاضرة » وهي موضوع بحثنا هذا .

ومن أهم هذه المؤلفات المعروفة لدينا : « الرسالة الحاتمية » و« حلية المحاضرة » . أما « الرسالة الحاتمية » فتتمثل قيمتها في كونها تصوّر لنا جانبا

(4) ابن خلكان ، الوفيات ، ط. القاهرة 1367/1948 III ، 486 .
(5) نفس المرجع : ص ص 482—486 .
(6) جعفر الكتاني : مقدمة « حلية المحاضرة » . ج II ص 17 .

من حياة صاحبها في بلاط أبي محمد المهلبي (7) (ت 352/963–4) وزير معز الدولة البويهي (8) (ت 356/966–7) أول امير للدولة البويهية دخل بغداد ونشر نفوذ هذه الدولة بالعراق واستوطن بغداد ، وما كان يدور في مثل هذه البلاطات من مناوشات وتنافر بين الشعراء في علاقتهم بالأمراء والوزراء وذلك نتيجة التسابق نحو نيل الحظوة وعلوّ المنزلة بكل الوسائل الممكنة. ويروي لنا الحاتمي في رسالته هذه كيف تصدّى لأبي الطيب المتنبّي عندما حلّ ببغداد قادما من مصر بعد ان كان يعيش في ظل سيف الدولة وكان المتنبّي معروفا لدى معز الدولة ووزيره المهلّبي بكبريائه وإعجابه بنفسه أضف إلى ذلك أن البويهيين كانوا اعداء الحمدانيين فممّا حزّ في نفس معز الدولة ووزيره ان المتنبّي قدم بغداد بعد أن قضى سنوات طوالا في خدمة سيف الدولة ومدحه وإذاعة صيته في الافاق ببليغ شعره وقوّة بيانه وذلاقة لسانه ، ولم يسع المهلبي إلا ان يؤلّب الحاتمي على أبي الطيب ليغض من قيمته ويهاجمه بلاذع لسانه ويكيل له من هجائه ما عسى أن يحط به من قيمة الشاعر الطارىء على بغداد وعلى البويهيين بها (9). فألف الحاتمي رسالته هذه حيث روى لنا ما كان منه من هذا التصدّي والمهاجمة العنيفة للمتنبّي وكيف لقيه خصمُه باللّين وطيب الأريحية مما ردع الحاتمي عن سوء

---

(7) انظر المهلبي في : ابن الجوزي : المنتظم (ط. حيد اباد . الدكن) ج . VII (سنة 1358هـ) ص ص 9–10 . الذهبي : العبر ، ط. الكويت ، 1961 ، ص 256 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان : القاهرة . الطبعة 1 ، 1367/1948 ج 1. ص ص 392–395 . ترجمة رقم 170 . ابن شاكر : فوات الوفيات : القاهرة بلا تاريخ ج 1 ص ص 256–260 ، ترجمة رقم 102 ياقوت : معجم الأدباء ، ج 9 ، 118 ؛ الثعالبي : اليتيمة . ط. القاهرة (م. م. عبد الحميد) ، ج II ص ص 224–241 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب : القاهرة ، 1350هـ ج II ص 354 و ج III ص ص 9 – 11 ؛ جعفر الكتاني : مقدمة «حلية المحاضرة» ج II ص ص 10 – 14 . *Régis Blachère*, un poète, (p. 222)

(8) انظر أخبار معز الدولة في : ابن الجوزي : المنتظم ج VII ص ص 38–39 . الذهبي : العبر : ج II ص 291 وص ص 294–295 . ابن العماد : الشذرات ج III ص 9 ، 39 . ابن خلكان : الوفيات ج 1 ص ص 157–159 ، الخ .....

(9) كان قدوم المتنبي إلى بغداد سنة 352هـ (في شعبان)/963 (أوت – سبتمبر) .

معاملته له (10) فيما بعد .. والسبب في هذه المشاحنة بينهما راجع إلى فترة سابقة التقى خلالها الحاتمي بالمتنبي في بلاط سيف سدولة بحلب حيث لم يحظ بعطف سيف الدولة لمكانة المتنبي عنده وتفضيله إياه على غيره من الشعراء ، إذ فضل أمير حلب أبا الطيب الشاعر الفحل على أبي علي الحاتمي الأديب اللّغوي ، ذلك أن الحاتمي كان شاعرًا مقلاّ (11)، لم يرو له أصحاب التراجم إلا أبياتا قليلة :

بيتان في الهجاء ، وستة أبيات في وصف الليل ونجومه ، وأربعة أبيات في وصف النديم ، وخمسة أبيات في «ليلة شراب» ، وثلاثة أبيات في وصف أيام السعادة ، وخمسة أبيات في مدح سيف الدولة ، وبيتان في إيثار الحبيب على أن فضله يبرز في كتابه «حلية المحاضرة» وهو حصيلة ما «تثقف» به الحاتمي بفضل دراساته ومطالعاته المتنوعة في مجال الأخبار والأشعار والنوادر والروايات مما يمثل «الأدب» في معناه المتعارف قديما .

ويحتوي «الفحوى» على تسعة فصول (منها ثلاثة في الجزء الأول وستة في الجزء الثاني) مسبوقة بتوطئة للمؤلف فيها يبسط غرضه من تأليف الكتاب . وملخص هذه الفصول كما يلي :

الفصل 1 : في محاسن الشعر والبديع .

الجزء الأول الفصل 2 : نماذج وأمثلة من بليغ الشعر العربي القديم .

الفصل 3 : أغراض الشعر العربي وأحسن ما قيل في هذه الأغراض (وصف البلاغة ، وصف الشعر الخ ...) .

(10) إنتهت الخصومة بينهما بعد وفاة المهلبي فمعز الدولة وكان ذلك على التوالي سنتي 352 و356هـ .

(11) الكتاني : مقدمة «الحلية» ، ج II ص 17 .

الفصل 4 : شواهد شعرية في الإستعارة والكناية والألفاظ والمعاني وبعض الحالات النحوية والتراكيب مثل التقديم والتأخير ...

الفصل 5 : السرقات : أنواعها . الاصطلاحات البلاغية المستعملة في تسميتها .

الفصل 6 : فصل من المعاني والأحاجي : أحسن ما قيل في الأوصاف (أغراض متنوعة) .

الجزء الثاني

الفصل 7 : شواهد من أبيات تتناسب أوائلها وتختلف معانيها ... أبيات أول كل بيت منها : « عجبْتُ » أو : « وَاورُبَّ » .

الفصل 8 : أبيات من « كتاب الحماسة » « جمعتُ بِجمْعِهَا شملَ الإحسان » وهي في أحسن ما قيل من مختلف الأغراض الشعرية .

الفصل 9 : « في السباق والمصلى » : شواهد من امرىء القيس والنابغة الذبياني والاعشى وطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة ، وأوس بن حجر .

والملاحظ أنْ ليس للكتاب خاتمة .

وممّا يلفت الانتباه أن الحاتمي يبدو ميّالا - خلال كتابه هذا - إلى انتقاء أحسن ما جادت به قرائح الشعراء العرب القدامى في مختلف المعاني فيسوقها شواهد ونماذج لبلغائهم الافذاذ ومثال ذلك ما أورده في الفصل الثّامن وهو يتضمن أحسن « ما قيل في الأضياف ، والسُّرى والكَـرَى ، وقصر الزيارة ، والنحول والنحافة ، والبكاء قبل الفراق وحذراً من وقوعه ،

وتناسب الأرواح دون تناسب الأشباح ، وامتزاح القلوب وتعافيها ، واتفاق الخلق والأسماء ، وتباين الخلائق والطباع ، وحسن المحبوب في عين محبّه ، وحبّ الكبار ، وحبّ الصغار » (12) .

ومن أهمّ ما جاء في الكتاب باب السّرقات وهو موضوع شغل بال عدد كبير من نقاد الشعر والأدباء منهم الآمدي (ت 391) في « الموازنــة » والقاضي الجرجاني (ت 392) في « الوساطة » ، علاوة على ابن المعتز في « سرقات الشعراء » وبشر بن تميم في « سرقات البحتري » وأحمد بن أبي طاهر في « سرقات أبي تمام » ومهلهل بن يموت في « سرقات أبي نواس » وأخيرًا « سرقات المتنبّي ومشكل معانيه » لابن بسّام النحوي (13) ، ولا ننسى طبعا غير هؤلاء من الأعلام المشهورين ممن طرق هذا الباب ، أمثال أبي هلال العسكري في « كتاب الصناعتين » وابن رشيق في كتاب « العمدة » وابن خلدون في « المقدمة » الخ ...

ويبدو أن الحاتمي قد اطلع على العدد الكبير من المؤلفات القديمة التي صنفت في هذا الباب . فقد اعترف أنّه قرأ كتاب « الموازنة » (14) للامدي ، وكتاب « الاغاني » وتتلمذ على مؤلفه ونقل عنه عدة مرّات ، وأنه اطّلع على غير ذلك من المؤلفات مثل « الشعر والشعراء » لابن قتيبة « وطبقات الشعراء » لابن سلاّم .

وفيما يخص نظرة الحاتمي إلى « السرقات » نجد تشابها كبيرا بينه وبين ابن قتيبة الذي يرى أن النّاقل متى سبك معاني غيره في أسلوب شخصيّ أصبحت تلك المعاني له ، وأصبح هو « مبدعا مبتكرا » لا سارقا ، فله فضل

(12) « حلية المحاضرة » : ج II من الفقرة 1391 إلى الفقرة 1504 .
(13) تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ، تونس ، 1970 ، وقد قدمناه في نفس هذا العدد من « الحوليات » .
(14) الكتاني : المقدمة ج II . ص 39 .

الأسلوب والتعبير كما لغيره فضل الإبتكار للمعاني ، ثم إن للسرقة أشكالا تتميز بها عن التقليد ، ويذهب الحاتمي في كتابه إلى نفس ما يذهب إليه ابن سلام الجمحي ، فلا يعتبر التشابه بين قصيدتين متعاصرتين من باب السرقة في شيء ، ويقول الحاتمي مدعما نظرته : « إذا نقل شاعر شيئا أو أشياء متعارَفة لدى جميع الشعراء فلا يُسَمَّى ذلك سرقةً . أما إذا نقل عن شاعر واحد فكرة أو بيتا عُرف بها أو به فذلك يسمّى سرقة ، ويتسامح الحاتمي مع التلميذ الذي ينقل عن أستاذه فلا يعدّ ذلك سرقة (15) ، وإن ما يصرح به أبو هلال العسكري في « كتاب الصناعتين » والقاضي الجرجاني في « الوساطة » وابن رشيق في « العمدة » في مجال السرقات متقارب متوافق ، تنصهر جملته في جملة ما أقره الحاتمي في « حلية المحاضرة » ، بقطع النظر عن الفوارق الدقيقة والصّيغ التعبيرية المتباينة بين هذا وذاك ...

وقيمة الكتاب في ما زخربه من الاصطلاحات البلاغية ــ فضلا عما رأينا ــ من نوع « الاجتلاب والاستلحاق (16) والاصطراف ، والانتحال والانحال والاغارة والمواردة والمرافدة ... والالتقاط والتلفيق (17) » الخ ...

أضف إلى هذا كله أن الكتاب ورد طافحًا بالشواهد عن الاحداث الأدبية والنوادر والاشعار الجديدة التي لا توجد في الدّواوين بالنسبة إلى عدد من الشعراء ، يذكرها الحاتمي على سبيل الاستدلال وضرب الأمثلة والشواهد ، وقد يبدي رأيه بخصوص ما يرويه ، معتمدًا آراء غيره مما هو متعارَف ومُتّفَق عليه سابقا ، وبذلك تكون « حلية المحاضرة » وثيقةً تاريخية أدبيّة للباحثين في تاريخ الأدب ومن تحدوهم رغبة الاستيعاب لآثار الشعراء ممن لم تجمع دواوينهم أو ممن جمعت لهم دواوين بقيت منقوصة مبتورة بدرجات مختلفة ومقادير متباينة ...

---

(15) نفس المرجع : المقدمة ج II ص ص 39–40 .
(16) يعزوه ابن رشيق في « العمدة » ج II . ص 215 إلى الحاتمي في « حلية المحاضرة » .
(17) الحلية . ج II . المقدمة ص ص 42 وما بعدها .

ولا أدلّ — إجمالا — على قيمة هذا الأثر الجديد، من مساهمته في إثراء عدد كبير من المؤلفات، من بينها: «الغيث المسجم» للصفدي، و«معاهد التنصيص» للعبّاسي، و«العمدة» لابن رشيق و«زهر الاداب» للحصري، و«اللآلي» للبكري و«سر الفصاحة» لابن سنان الخفاجي و«البديع في نقد الشعر» لأسامة بن منقذ، فضلا عن كتب التراجم التي أكب فيها أصحابها على التعريف بالحاتمي ومؤلفاته وإبراز مكانته من نوع «إرشاد الاريب» لياقوت و«وكشف الظنون» لحاجي خليفة (18) الخ ...

وفيما يتعلّق باهتداء المحقّق إلى نشر «حلية المحاضرة»، فهو يصارحنا بأنّه وقف على «المخطوط» الأصل وهو في نسختين، «بفضل المرجع» Bibliographie Bell وبفضل مساعدة ابن عمّه محمّد إبراهيم أحمد بن جعفر الكتاني الذي مكّنه من نسخة للمخطوط الوحيد لكتاب «الحلية» المحفوظ بالمكتبة القومية بالرباط، ويوجد من هذا المخطوط نسختان وقع نسخهما بفاس في سنة 990هـ. وهما ملك جامع القرويين (19)» .

وأن الحالة التي وجدهُما عليها، يرثى لها، مما اضطرّه إلى تصوير النسختين وقراءتهما بالمجهر؛ وتوصل إلى استخراج نصّ واحد منهما اعتماداً على المقارنة بين النسختين، ويخبرنا جعفر الكتاني بأنه — إلى جانب ذلك — رجع إلى المصادر القديمة لاثبات الأبيات الشعرية والشواهد والنوادر الواردة في الكتاب، ومن بينها «اليتيمة» للثعالبي و«الاغاني» للأصفهاني الخ ...

وهكذا يتضح مما سبق أن المحقق اتبع طريقة علمية قائمة على التحرّى والتثبّت فجاء التحقيق مرضيا .

---

(18) هذا بقطع النظر عن المؤلفات الحديثة خاصة : طه إبراهيم في «تاريخ النقد الادبي عند العرب»، وزكي مبارك في «النثر الفني ......» وبقطع النظر عن الدوائر العلمية الكبرة من نوع : Bibliographie Bell ou Brockelmann G A.L. + Suppl.

(19) الحلية : المقدمة ج II ص 3 (باللغة الفرنسية) .

على أن المقدمة التي ألفها المحقّق باللّغة الفرنسية (20) سادها كثيرٌ من الفوضى من حيث التبويب للمواضيع المطروقة والترتيب لموادّها ، وبقدر ما كانت تزخر بالمعلومات عن الحاتمي وكتابه « الحلية » وعن المصادر التي اعتمدها المؤلف والمحقّق ، كانت لغتها « مهلهلة » إلى حدّ كبير ...

إلاّ أن ذلك لا يغضُّ من قيمة العمل الذي أنجزه ، وإن لصاحبها فضل المساهمة في إثراء الأدب العربي والنقد الشعري بالخصوص ، واضعا لبنة جديدة في صرحهما ، وكاشفا عن كنْزٍ كان مطموس الذكر مغمورا ، يزخر « بالجواهر والدرر » التي ينتظم بها عقد الأدب العربي « وتُثري بها لغة الضاد في مختلف العصور » .

ح. الشاوش

(20) وردت هذه المقدمة في الجزء II من الكتاب .

الطـرق البيداغوجية

Les méthodes pédagogiques (par Guy Palmade).
7e éd. Presses Universitaires de France, Paris, 1968

ترجمة : البشير الزريبي ومحمد الغدامسي ، طبع الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس 1971

تقديم : احمد بكير محمود

ينقسم هذا الكتاب إلى قسمين مهمّين ، الأوّل في البيداغوجيا والثاني في علم النفس ؛ ويتناول مواضيع مهمّة هي محور الباحثين في هذا الميدان ، مثل الطرق التقليدية للتربية . والأخذ بالوجهة العلميّة النفسية ، وبسيكولوجية الطفل والمراهق ، والطرق الحديثة في علم النفس ، وعلاقات المعلم بالتلاميذ . والقسم الثاني الذي هو بسيكولوجي تربوي يتناول طرق التربية النفسية كالنظام التربوي في المدرسة والطرق الملائمة للطفل ثمّ علم النفس الاجتماعي والبيداغوجي ، والمربّي والطرق التربويّة .

وهو كتاب يهدف مؤلفه إلى هدفين : إيصال المعلومات للطفل بأنجع الطرق وأيسرها كذلك ، استعمال طاقات الطفل وتعوّد المعلم على استخدامها وجعل التلميذ محورًا مهمًّا في صفّ الدراسة ، وهي طريقة ينبّه إليها الكثيرون قبل قي بلماد (Guy Palmade) وأبَى أكثر المعلمين استعمالها ؛ وكان ممن نادى بها هيلان باكهارت (Hélène Pakhart) الأميركيّة صاحبة

مدرسة دالتون (Dalton) القائلـة بإعطـاء أكبر قسم من الحريّة للطـلاّب في وضع برامجهم المـدرسيّة وطـرق تعلمهـا ؛ وهو رأي فرينـي (Feinet) الفرنسي بعدها .

وبالماد (Palmade) في كتابه هذا تـراهُ يحشر المعلـومـات حشراً ؛ ففيه من البيداغوجيا وقد تعرّض إلى آراء جمّة منها ، وكذلك الاجتماع وعلم النفس وفلسفة التربيّة . كما أنّه يبـدو معتدّاً بـآراء علمـاء التربيّة الفـرنسيين أكثـر من غيـرهم ، مثـل كوبرنيـك (Copernic) وجـاكولي (Jacoulet) ودوركايـم (Durkheim) وحتى دوبـاس (Debesse) صاحب الآراء السطحيّة فـي هذا الميدان .

وكثيراً ما يذكر بالماد آراء علماء آخرين دون أن يسميّهم ، كما ورد في صفحة 8 (فالـرأي للعـالم الانكليـزي واتسـون (Watson) وفي صفحة 9 ، في حديثـه عن علم النفس الاختيـاري هو مديـن للبـاحثيـن الكبيرين الروسي بافلوف (Pavlov) والأمريكي طورنديك (Thorndike) . ثمّ إنّه يفضل نظريّة تين (Taine) الفرنسي على نظريتيهما . والمؤلف ، إذا مال إلى طريقة واعتقد نجاعتها ، فهو يتحمّس إليها ويدافع عنها دفاع الجازم بصلاحيتهـا جزمـا مطلقـا ؛ من ذلك صفحة 32 و مـا بعدهـا في الحديث عن الطرق البيداغوجيـة التقليـدية والعصريّة ؛ فمن الواضح أن التجربة في التربية لم تصل بعد إلى قوانين علميـة ثـابتة ، فكلّ طريقـة مهما كانت نجاعتها فإنها لا تنطبق على كل التلامذة ، لأن في كلّ عملية استثناءات ، والحسن والرديء في هذه التجارب إنمـا هو نسبـي .

وعلى كل فالكتاب مجموعة آراء المربّين الحديثين في العالم اليوم ، يفيد مطالعه ويساهم في تكوينه البيداغوجي ، وقد أحسن المترجمان الاختيـار بنقله إلى العربيّة .

أ. بكيـر محمود

الليث بن سعد ، فقيــه مصــر

للدكتور السيد احمــد خليل ، مطابع
دار المعارف بمصر ، سنة 1969

تقديم : احمد بكير محمود

يقع هذا الكتاب في 190 صفحة من الحجم الصغير ، قدّم له صاحبه في ستين صفحة وفهرس مواضيعه في صفحتين . تناول فيه حياة الليث بن سعد بن عبد الرحمان الفهمي ، أحدُ أئمة الفقه الإسلامي ، وهو معاصرُ الإمام مالك بن أنس وزميله وصديقه ، وأحد الأئمة الموسرين الكرماء من الذين اشتهروا بالذكاء والعلم والثّراء مع إيثار وفضل ، وهو الذي قال فيه ابن وهب « لو لا أنّ الله أنقذني بمالك والليث لهلكت » فسئل عن ذلك . فقال « أكثرت من الرواية واشتبهت عليّ ، فكان مالك والليث يشيران عليّ بأن أستعمل هذا وأترك هذا » . يتناول هذا الكتاب مسائل جرت فيها خلافات فقهية بين المالكية والشافعية والظاهرية وبين مالك نفسه والليث ، إلاّ أنّها بين هذين الإمامين لم تصل إلى ما وصلت إليه بعدهما ، وأهم هذه المسائل : العمل بعمل أهل المدينة الذي اتخذه مالك ركنا من أركان مذهبه وعليه كلّ المالكية .

ويتحمّس صاحب الكتاب لرأي الشافعية والذي هو في الحقيقة رأي الليث ويناقش المسألة كأنّ الخلاف يقع في عصرنا اليوم ،ويريد أن يبرّر

ما قال به الشافعية متأثرين برأي اللّيث الإمام ، وهي مسألة كثر فيها الأخذ والرّدّ من قديم وأحسن من عالـجها القاضي عيّاض في ترتيب المدارك : « اعلموا أكرمكم الله أنّ جميع أرباب المذاهب من الفقهاء والمتكلمين وأصحاب الأثر والنّظر إلْبٌ واحدٌ على أصحابنا على هـذه المسألة مخطئون لنا فيها بزعمهم ... » الخ ...

والكتاب على صغر حجمه فيه بعض المعلومات عن هذا الإمام الذي لم يوفّه أحدٌ من الدّارسين حقّه بمافيهم صاحب هذا التأليف ، وكان على المؤلف أن يمحضّه أسلوبا علميّا صرفا ، لكنّه كثيرا ما يغلب عليه « المرق » في تحريره لاسيّما في المقدّمة ، فإنّك لتقرأ قفيزا من الكلام لتخرج « بحفنة » علم ، وهو أسلوب مملّ رغم طلاوته أحيانا وكثرة مائه ، وكما قال النحاة : «لكن من التطويل كلت الهمم » . والمؤلف يؤخذ عليه تعصّبه لشافعيته فهو يذكرنا بالجدل بين أنصار المذاهب في القرون الثالث والرّابع والخامس ، كما يذكّرنا بالرّبيع بن سليمان المرادي صاحب الأم ، المنسوب إلى الإمام الشافعي ،وليس هنا مكان الرّدّ عليه فيما كتب . ثم إن المؤلف قد ترك مصادر كثيرة عن اللّيث ، منها مصادرعربيّة وأخرى فرنسية ، وقد اقتصر على ما كُتِبَ بالأنكليزية لمعالجة موضوعه ، والمصادر العربيّة التي رجع إليها أكثرها ثانوية الأهميّة .

أ. بكيــر محمود

المحمــدون من الشعــراء

تأليف : علي بن يـوسف القفطي ،
تحقيق : حسن معمــري ، منشورات :
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ،
الرياض ـ المملكـة السعوديـة ، ط :
بيــروت 1390/1970 ، 463 صحيفـة

تقديم : الشاذلي بويحيى

القفطي من أولائك المؤلفين الذين لا يكاد يخلو كتاب من كتب الباحثين في علوم العربيّة والإسلام من تداول أسمائهم واعتمادهم مراجع أكثر من غيرهم لا يقلّ في ذلك عن مرتبة ياقوت وابن خلّكان والسيوطي . ويكـاد ينحصر اهتمام هؤلاء الباحثين بالقفطي في كتابه الشهير « إنباه الرواة على أنباه النجاة » ـ على نقصه (1) ـ دون التفات عادة إلى المختصر المطبوع من كتابه « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » وهما الكتابان المطبوعان المعروفان من تآليف القفطي العديدة (2) إلى أن ظهر كتاب له ثالث « المحمّدون من الشعراء وأشعارهم » بتحقيق الاستاذ ح. معمّري .

(1) لم يطبع منه إلا ثلاثة أجزاء . انظر مقدمة المحقق ص 9 .

(2) وعددها 27 كما ضبطها محقق « المحمدون » في مقدمته ص 8-10 .

والحقّ انّ هذا الكتاب كان قد طبع في الهند (3) لكنّ عوائق الرواج التي تعترض الكتاب العربي عامّة وانتشار المطبوع منه – بله التعريف بغير المطبوع – جعلته يبقى منسيا لم يعتمده الباحثون فيما نعلم ولم يشتهر ذكره فلم يشعر الأستاذ معمّري بوجوده عندما عزم على تحقيق نسخة مخطوطة من هذا الكتاب محفوظة بمكتبة باريس الوطنيّة .

غير أنّ النظر في إخراج هذا الكتاب وصورة تحقيقه وتقريب الفائدة من استعماله يجعل الباحث يبارك هذه الغفلة التي كانت سببا في طبعه ثانية . فلقد اعتنى الاستاذ ح. معمّري بتحقيقه عناية فائقة لأنّه أعدّ عمله هذا أطروحة قدّمها إلى جامعة باريس لنيل دكتورا المرحلة الثالثة بإشراف الأستاذ ش. بلاّ . وفي كلّ ذلك ضمان عمل علميّ جدّيّ يثبته الاختبار وفحص الكتاب . فقد كنّا اطّلعنا على مخطوطه بمكتبة باريس الوطنيّة وأفدنا منه بعض التراجم لإعداد كتابنا عن « الحياة الأدبيّة بإفريقية في العصر الصنهاجي » (4) فتسنّى لنا اليوم عند مطالعة عمل الأستاذ ح. معمّري تقدير مجهوده الكبير حقّ قدره والوقوف على ما تنجرّ عن هذا المجهود من فائدة وما يوفّره للباحث من إعانة واقتصاد عناء وتيسير الغنم الكبير .

فتحقيق النصّ صحيح ووفّق المحقّق إلى قراءته قراءة مصيبة في جملته (5) بما في ذلك الأشعار على عسرها وكثرتها وانفراد الكتاب أحيانا بروايتها وقد أبى المحقّق الا أن يذكر بحور جميع هذه الأشعار – وقد وفّق في ذلك

---

(3) أنظر مقدمة الناشر – وهو غير المحقق – (ص 3-4) حيث يصف هذه الطبعة بدون ذكر تاريخها.

(4) تحت الطبع .

(5) على أننا في تصفحنا الكتاب دون إطالة – لما ذكرناه من أننا كنا طالعناه مخطوطا – وقفنا على بعض القراءات قد لا نوافق عليها المحقق . من ذلك مثلا ما جاء في السطر الأخير من ص 23 : « وكان يتطيب ويتنجم » . ويعلق عليه المحقق بقوله : « في الأصل يطبب وينجم والصواب ما ذكرناه وبهذا الوجه ورد في اليتيمة » . ولعل الأصل أقرب إلى الصواب فالفعل الأول « يتطبب » من الطب والثاني « ينجم » أو « يتنجم » من التنجيم وهما حرفتان نعلم أن المتيم الإفريقي – صاحب الترجمة – كان يحترفهما بالإضافة إلى مهنة الشعر (انظر ترجمة

أيضا – ومعلوم أنّ من فوائد ذكر الأوزان زيادة الاحتياط والتثبّت في قراءة الشعر على وجهه .

ولم يقتصر المحقّق في التحرّي على هذا بل زاد فبحث عن مواطن تلك الأشعار وبعض النصوص النثريّة أيضا في غير هذا الكتاب فقارن بين مختلف رواياتها وذكرها في تعاليقه مع ضبط مراجعه ضبطا محكما وهي عديدة أحيانا .

وهذه الطريقة توخّاها المحقّق أيضا في التعريف بأسماء الأعلام سواء في ذلك أسماء من ترجم لهم القفطي من المحمدين ومن جاء ذكرهم في غضون النصّ فعرّف بها وأضاف إلى ذلك مراجع – عديدة أحيانا أيضا – لزيادة التعريف . وهو عمل جليل مفيد لا سيّما أنّ المحقّق لم يقتصر في ذلك على أسماء الرجال بل تجاوزها إلى الأماكن والبلدان والقبائل والوقائع الخ...

فجاء تحقيق النصّ كاملا تامّا جديرا أن يطلق عليه عبارة التحقيق العلميّ الذي ليس بدونه فائدة من نشر النصوص .

وقدّم المحقّق كتابه بمقدّمة ثريّة على قصرها (من ص 7 إلى ص 15) ترجم فيها للمؤلّف مع ذكر مصادر هذه الترجمة وثبت لمؤلّفات القفطي . ثم وصف مخطوطة باريس التي اعتمدها لتحقيق الكتاب . ثم استنبط من الكتاب مصادر القفطي وأخيرا استخلص قيمة هذا التأليف قبل أن يختم ببيان طريقة تحقيقه الكتاب .

وهي كلّها بيانات لا يخفى ما فيها من الفائدة للقارىء . وكان المحقّق على علم من هذه الفائدة فألحّ على الضروري منها بأن لم يقتصر – مثلا – في

المتيم في كتابنا المذكور ، تحت عدد 56) . وفي اليتيمة ط. مصر 1934-1936 ج 3 ص 146 : « وكان يتطبب ويتنجم » .

زمن ذلك أيضا قوله ص 270 س 4 : «.. أحد الشعراء الموجودين» لابد أن يكون « المجيدين » أو « المجودين » من الإجادة أو التجويد في الشعر . فمن قراءة الترجمة يتبين أن هذا الشاعر وهو أبو علي محمد بن الشبل البغدادي كان حيا سنة 455 فلم يكن إذن من « الموجودين » في القرن السابع زمن القفطي . ولعلها غلطة مطبعية .

ذكر مصادر القفطي في هذا الكتاب على مجرّد الإشارة العامّة إلى نوعها وكيفيّة تصريح القفطي بها أو السكوت عنها بل خصّص لهذا الباب أحد فهارس الكتاب فيه أسماء المؤلّفات التي اعتمدها القفطي في تأليفه هذا استخرجها المحقّق بتتبّع نصّ الكتاب .

ويتجاوز عمل المحقّق هذا الضبط لمصادر القفطي – على ما فيه من كامل الشمول – إلى نوع من التدقيق والفحص الذي لا تخفى كذلك فائدته النقديّة لمعرفة طريقة القفطي وغيره من المؤلفين في التراجم : وذلك أنه رجع إلى تلك الكتب التي اعتمدها القفطي وقارن بين نصوصها وما أخذه القفطي منها ويخبرنا في هذه المقدمة بأنّ نتيجة هذا الفحص هي ان القفطي « تارة يأخذ الترجمة حرفيّا وبتمامها وتارة يحذف منها وتارة يزيد وتارة لا يشير إلى مصادره » (6) . هذا وغير خفيّ ما في الرجوع إلى مصادر المؤلّف من إمكان اصلاح أخطاء المخطوط بل وسهو المؤلّف أيضا أحيانا وقد كان ذلك فعلا فاغتنمه المحقق واعتمده في إخراج الكتاب .

وأخيرا يتوّج المحقّق عمله في نهاية الكتاب – بعد التنبيهات والاستدراكات – بفهارس « لأسماء الشعراء » و« للأمكنة والبقاع والبلدان » و« للكتب والرسائل والمقالات » و« للقوافي » – أي الأشعار – يتلو ذلك سلسلة « المصادر والمراجع » وهي متنوّعة فيها المخطوط والمطبوع والعربيّ وغير العربي والقديم والحديث ودواوين شعر وكتب تاريخ وطبقات وتراجم وشروح ومختارات علاوة على ما ذكر في الحواشي ولم يرسم في هذا الثبت . فتتمّ بذلك فائدة الكتاب ويطمئنّ إليها القارىء والباحث ممّا يجعل منه أحد مصادر البحث العلميّ في مادّة الأدب العربيّ .

فهو كتاب يضاف إلى السلسلة الطويلة من كتب الطبقات والتراجم ذلك الفنّ الذي تكاد تمتاز به الثقافة العربيّة الإسلاميّة على غيرها من الثقافات

(6) المحمدون ص 14 إلى 15 .

والذي لا يزيد الباحثَ ظهورُ كتاب منه إلا شغفا و تطلّعا إلى غيره من الكتب العديدة الغابرة مع بعض التسلّي به عن فقد تلك الأخرى إذ كلّ كتاب من هذا النوع يأخذ من أمثاله الشيء القليل أو الكثير وهي طريقة كثيرا ما نعيب المؤلّفين القدماء باتّباعها كأننا نرى في ذلك ضربا من السرق والحقّ أنّ قلّة انتشار الكتاب قبل اكتشاف الطباعة كانت تفرض الجمع على المؤلّفين لزيادة الفائدة ونشر العلم فنُقل بذلك في الكتب العديدة ما وجدوه مفيدا في كتاب واحد . وهكذا وصلتنا مادّة غزيرة من كتب مفقودة لم نكن لنعلم من محتواها شيئا لو لا تلك الطريقة القديمة في « التأليف » حيث يضمّ المتأخّر إلى كتابه شيئا ممّا في كتب من سبقه .

وفي كتاب « المحمدون من الشعراء » للقفطي نصيب غير قليل من هذا الغنم إذ ينقل فيه صاحبه أشعارا وأخبارا من كتب لم تصل إلينا بل ويكشف لنا عن أسماء شعراء لم نكن نعرفهم من قبل . وبقدر ما نجد في تعاليق المحقّق من عبارات من قبيل قوله « لم نجد له ترجمة ولم نجد له شعرا في غير هذا الكتاب » أو قوله « انفرد القفطي بذكر هذه الأبيات » — وهي عديدة تفوق الحصر — بقدر ما يزيد يقيننا بقيمة الكتاب في بعث نصيب من التراث الأدبي والعلمي العربيّ الغابر . ولا تنحصر قيمة الكتاب في بعث ما دفِن من هذا التراث لأنّ للقفطي مصادر أخرى غير الكتب هي مصادر مباشرة شفاهية أو كتابيّة فنجده عند سياق خبر أو ذكر شعر يقول أحيانا : « كتب إليّ (فلان) ... أخبرني (فلان) سماعا عليه من كتابه بقراءة (فلان) ... أخبرنا (فلان) قال أخبرنا (فلان) لنفسه إجازة... (7) أو « أنبأنا (فلان) أنشدني (فلان) قال أنشدني (فلان) لنفسه من قصيدة » (8) . ومثل هذا كثير في الكتاب وهو مفيد لجدّته وانفراد الكتاب غالبا بروايته .

(7) ص 90 مثلا .
(8) ص 52 مثلا .

ورغم كون الكتاب يبدو ناقصا (9) فقد ضم 328 ترجمة لشعراء ممّن اسمه محمّد من الجاهليّة إلى بداية القرن السابع رأينا أنّ منهم من لم يكن معروفا ومن المعروف منهم من زاد هذا الكتاب في التعريف به وبأشعاره وقد أورد القفطي في كتابه هذا شعرا كثيرا ممّا يزيد في قيمة الكتاب ويكشف عن اهتمام القفطي بالأدب بينما المشهور عنه أنه يميل إلى التأليف في التاريخ وما إليه من تراجم وأخبار وغيرها مما ينتسب إليه مبدئيّا كتابه هذا . ولسبب ما – لعلّه توفّر المادّة لدى القفطي أحيانا دون أخرى أو بالأحرى ميل منه وهواية خاصّة – نرى التراجم تتفاوت لا طولا وقصرا فقط بل وكذلك اعتناء أو قل عناية كترجمة الأبيوردي (10) حيث يهتمّ اهتماما خاصّا بالشاعر وبشعره تحليلا ونقدا وكترجمة ابن الشبل (11) « وهي أطول التراجم » حيث يذكر القفطي نماذج كثيرة من شعر هذا الشاعر البغدادي يرتبها على حروف المعجم كأنها صورة مصغرة من ديوانه وهو من علامات تعلّقه به وبشعره .

وقد يأسف القارىء أحيانا لقلّة الضبط في عمل القفطي عندما يذكر شاعرا دون تحديد زمانه أو موطنه ويتكرّر مثل هذا الإهمال كثيرا وهو معروف عند جلّ المؤلّفين القدماء عدا ياقوت الحموي – غالبا – فليت القفطي استفاد منه هذه الطريقة وقد عاصره وصاحبه زمنا في الظعن والإقامة .

ثم إن القفطي على كثرة مصادره وتنوعها لم يبد منه اهتمام كبير بشعراء المغرب فلم نعثر له في هذه المصادر إلا على كتابين مغربيّين هما كتاب « الدرة الخطيرة في شعراء أهل الجزيرة » لابن القطّاع الصقلّي وكتاب « الذخيرة »

(9) انظر التعاليق في ص 366 و367 . ومن النقص في مخطوطة باريس ما أشار إليه السيد حمد الجاسر المشرف على طبع الكتاب في بيروت وقد أضافه إلى المنشور نقلا عن المخطوطة الهندية وهي بخط القفطي . انظر ص 5 .

(10) عدد 18 ص 47-50 .

(11) عدد 254 ص 270-290 .

لابن بسّام . ولا وجود فيها لكتاب واحد إفريقـيّ من أمثال كتاب « الأنموذج » وكان رفيقه ياقوت يملك منه نسخة بخطّ ابن رشيق مؤلّفه .

ويذهب الظنّ بالباحث المتأمّل في هذا الكتاب إلى انّ السبب في ذلك قد يكون بعض تهاون القفطي بكتابه هذا جمع فيه مادّة كانت متوفّرة لديه في مكتبته الخصبة وعند تأليفه غير هذا الكتاب من كتب التراجم دون اعتناء خاصّ به . قد يؤيّد ذلك ما لاحظه المحقّق من أنّ المؤلف « قد يخصّص ترجمتين لشاعر واحد ... كما يكرّر بعض المعلومات في التراجم ... وينسب تارة نفس الأبيات لعدّة شعراء ... أو ينسب الأبيات إلى الشاعر الذي لا صلة له بها » (12) .

هذه الهنات — أو الهفوات على حدّ تعبير المحقّق (13) — إن كانت لا تنال من قيمة الكتاب وقد بيّنا أنها ذات شأن فإنها تنبّه لا محالة إلى التفاوت بين هذه القيمة المحدودة نسبيّا والجهود العديدة المبذولة في سبيل إخراج هذا الكتاب . فزيادة على ما بذله المحقّق من جهد كبير رأينا فائدته لإتمام الانتفاع بالكتاب وعلى ما استنجد به من عون ووسائل شتّى رأينا كذلك ثمرتها فقد تظافر معه دار نشر من المملكة العربية السعوديّة وناشر من بيروت (14) كلّ ذلك بعد أن ظهرت طبعة سابقة للكتاب بالهند . فهل من سبيل إلى بعض التنسيق في حركة نشر الكتاب العربيّ ؟

ش . بويحيى

(12) ص 13 و 14 حيث ينبغي إصلاح رقم صحيفة الترجمة عدد 75 فهي ص 110 لا 101 .

(13) ص 13 .

(14) ذكر هذا الناشر في مقدمة له (ص 3ـ6) أنه قابل النص بالمخطوطة الهندية وهي بخط القفطي وعنها نقلت النسخة الباريسية التي اعتمدها المحقق ح. معمري . ولاحظ نقصا بالنسخة الباريسية فأضاف إلى المنشور ما كان ناقصا وهو يبلغ 30 ترجمة مع تصويبات اعتمادا على نسخة المؤلف وبعض إضافات إلى تعاليق المحقق ولم ينشر المقدمة التي وضعها المحقق بالفرنسية لأنها لا تزيد شيئا عن العربية على حد قوله ولصعوبة الطباعة بالحروف اللاتينية ! كما ذكر ان الاستاذ رياض مراد كان قد اعتنى أيضا بهذا الكتاب دون أي تفصيل لهذا العمل ولا ذكر لتاريخه .

تصويب خطإ مطبعيّ في هذا العـدد

الفصـل	الصفحة	السطر	الخطأ	صوابه
حـول نشـر كتاب « قطب السرور »	10	5	الديـَم	الدّمـَن

دكتـورا دولـة (تـابـع)

اسماء الزملاء المدرسين بكلية الآداب والعلوم الانسانية ، الذين ناقشوا أطروحة « دكتورا دولة » ، (Doctorat d'Etat) لدى جامعة باريس ، وذلك منذ صدور « حوليات الجامعة التونسية » سنة 1964 :

الاسـم	المـوضـوع	تاريخ المناقشة
9) **محمد عبد السلام**	« المـوت في الشعر العـربي منـذ الجاهلية الى آخر القرن الثالث للهجرة » (Le thème de la mort dans la poésie arabe des origines jusqu'à la fin du IIIe/IXe Siècle).	15 جـوان 1971

تصويب أخطـاء مطبعية (العـدد السابع)

1) وقعت أخطـاء مطبعية في مقال الشـاذلي بو يحيى **(من شعر علي الحصري)** ؛ والصواب هو :

ص		البيت عدد		
ص :	25	البيت عدد :	2	تُسَرُّ
»	26	» »	3	وكُلُّ
»	»	» »	10	يَوْمِيِّ... لِفَقْدِهِمْ
»	27	» »	14	بِتُّ
»	28	» »	24	تَتْرَى
»	33	» »	64	وَأُضْحِي

***

2) وقعت إضافـة سطر في عنوان مقـال حسن الصـادق الاسـود ، **(توفيـق الحـكيـم ، فنّـانُ الفُرجـة .. وفنّـانُ الفكـر)** ص . 113 ، والصواب — بعد حذف الإضافة — هو :

تأليف : الدكتُور علي الراعي — كتاب الهلال — العدد 224 ، نوفمبر 1969 ، تقديم : حسن الصادق الأسود

***

3) طُبِـعَ في الصفحة 133 بالعنوان ، «**فهرس مخطوط ....**» والصواب هو : **فهرس مخطوطات....**